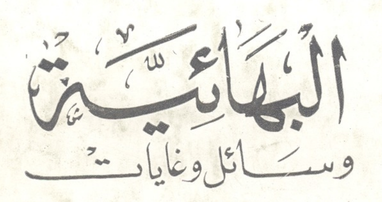
الدكتور
طه الدسوقى



الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

دار الهدى للطباعة
٣ ش النوادى بالسيدة زينب



الدكتور
طه الدسوقي



الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

دار الهدى للطباعة
٢ ش الشهداء بالسيدة زينب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

سبق لنا قبل ذلك بسنوات أن تفرغنا للنظر فى الحركات الدينية الحديثة للوقوف على طبيعتها ، ومحاولة التعرف على أسبابها وغاياتها من غير أن يكون هناك ضجة عالية ، أو أعصاب متوترة ، أو نفوس مشحونة .

ولقد رأينا أن ننظر فى هذه الحركات الدينية الأخيرة يوم أن نظرنا فيها ، لكى يكون النظر والتأمل فى مثل الظرف الذى أحاط بنا حين نظرنا فيها من الهدوء والسكون ، أدعى إلى الحيدة فى الأحكام ، وأبعد عن سيطرة الهوى والانفعال

نظرنا فى الحركات الدينية الأخيرة ، وقارنا بين المشهور منها (القاديانية والبابية والبهائية) وسطرنا ما لاحظناه من ملاحظات ، وما استنتجناه من نتائج ، وحجبناه عن النشر لانشغالنا بغيره .

وفى هذه الأيام التى أقدم فيها البحث للقراء قد توصلت السلطات فى مصر مشكورة إلى الكشف عن بعض العناصر البهائية التى تحتل مراكز قيادية فى الفكر والثقافة .

ورغم أن هؤلاء الذين ينتمون إلى البهائية حين انكشف أمرهم إلى الجماهير ، قد أثاروا الحفيظة الدينية عند الأمة ، وحملوا الكثيرين من المفكرين على أن يعملوا أقلامهم فى أناة أو عجلة ، ليكتبوا عن البهائية فى أسبابها وغاياتها ، برغم هذا كله وكثير غيره ، رأيت أن أقدم ما كتبته للقراء فى حالة هدوء نسبى

ليكون أدعى إلى الثقة به، وآمن من تأثير الانفعال العاطفي، وأقرب إلى الواقعية في الأحكام التي تعتمد على النصوص الصحيحة المنسوبة إلى كبراء هذه النحلة، والشواهد التي نراها صحيحة من التاريخ، والكتابات التي سطرها المؤرخون للبهائية ممن يدينون بها أو يتحمسون لها.

والله أسأل أن أكون بلغت بالبحث غايته من الكشف عن حقيقة البهائية بواعث وغايات، وأضفت إلى القارىء المسلم ما ينفعه، وهو في موقفه الدفاعي عن دينه، وما يؤمنه من غوائل التضليل، وجنود الغواية والضلال..

دمياط في:
٢٧ جمادى ثاني — ١٤٠٥ هـ
١٩ مارس — ١٩٨٥ م

المؤلف
د. طه الدسوقي

الحقيقة من التاريخ

صراع الخير والشر :

من الحقائق الكبرى التى عاصرت وجود الإنسان واستمرت معه تلازمه منذ لحظة وجوده على الأرض وإلى أن تقوم الساعة ، قضية الصراع بين الخير والشر .

ولقد وجد الإنسان نفسه فى شخص أبيه آدم طرفا فى قضية هذا الصراع ، غير أن هذه القضية نفسها لم تلبث أن استحكمت فى أبناء آدم فانقسموا على أساسها إلى فريقين : فريق يلهث الشر ويبتغيه ، وآخر ينشد الخير ويفنى حياته فيه .

غير أن الله عز وجل حين خلق الإنسان على الفطرة السليمة جعله يشعر شعوراً ذاتياً بالاعتزاز حين يجنح إلى الفضيلة ويتخذها له منهج سلوك ، وأسلوب حياة ، وهو فى نفس الوقت يشعر بالدونية والخسة حين يعب من الرذيلة أو ينضم إلى معسكر الغى والفجور .

والشيء الذى لا يقبل الجدال أو النزاع هو أن أهل الفجور والضلال يستمرئون السير على أسلوب الرذيلة ومنهج العصيان ، ولكنهم يكرهون كراهة مطلقة أن يروا الفضلاء من الناس والأماجد الذين يسيرون على منهج الخير ، ويعتبرونه أسلوب حياتهم الذى لا يرضون به بديلا .

وهذه الكراهية وهذا المقت ليس سببه عداء شخصيا بالطبع وإنما سببه حين نستبطن الذات هو أن الفاجر حين يوجد فى مجتمع واحد مع الأبرار يجد نفسه قد وضع فى موقف المقارنة التى لا يريدها ولا يبتغيها لأنه يدرك تماما أنه

هو الخاسر فى هذه المقارنة ، وهو المهزوم دون أن يستطيع أن يجد من يقيل عثرته أو يرفع عنه الذلة والمهانة .

ومن هنا فإن الفجار لا يطيقون رؤية الأبرار ، وأهل الرذيلة والضلال لا يحبون أن يروا الفضلاء من الناس والعظماء الذين يسيرون فى ظل منهج الرشاد ، ولذا فإنه لا عجب أن نرى هؤلاء الأشرار فى حالة مواجهة دائمة مع الأفاضل والأماجد .

غير أن هذه المواجهة ربما لا تؤتى ثمارها من تدمير الفضيلة وطمس معالم الخير فى الوجود فيتحولون عن هذه المواجهة الظاهرة إلى حياكة المؤامرات ، وإحكام الخطط السرية لضرب الفضيلة وأصحابها عن طريق الغدر والدس والخيانة .

من أجل ذلك وجدنا المنظمات اليهودية العالمية التى كان لها أكبر الأثر فى نشر التخريب والفساد عن طريق الجمعيات والمنظمات السرية .

على أننا لسنا محتاجين إلى التأكيد على أن الخير والفضيلة والحق والعدل وجميع القيم الإنسانية ترفض أن تتأسس فى الظلام وتأبى إلا أن تكون تحت الأضواء ، إذ أنه ليس فى عناصرها أو فى مكوناتها ما يجعلها تتوارى خجلا ، أما قضية الرذيلة والطغيان فإنها لا تنتشر إلا طبقا لمؤامرات تحاك فى الظلام وأفكار تنسج خيوطها وتدبر بليل .

ولقد جنت المسيحية ومجتمعاتها كثيراً من الويلات والتمزق الذى تحمل كبره المنظمات اليهودية السرية كذلك تكون ، وكذلك كانت فى المجتمع الإسلامى القديم والمعاصر .

القوى المناهضة للإسلام :

منذ أن بعث الله نبينا محمداً ﷺ لإنقاذ البشرية من غيها إلى طريق الرشاد والكمال والقوى المناهضة له لا يهدأ لها بال ولا يستريح لها وجدان .

وقد أخذت هذه القوى تعدل فى خططها ، وتغير فى أساليب مواجهتها ، ولا هدف لها من التغيير والتبديل إلا القضاء على الإسلام أو اتخاذه وسيلة لإضعاف روح المسلمين حتى يتمكنوا من استغلال أراضيهم ، والسيطرة على مصادر الثروة عندهم .

وتختلف الوسائل والأساليب باختلاف البواعث والغايات ، غير أن القاسم المشترك بين هؤلاء المناهضين للإسلام جميعا هو استهداف الإسلام إما غاية تبرر كل وسيلة أو وسيلة لغاية استهدفها أصحابها وسعوا فى تحقيقها سعياً حثيثا .

وهذا الإجمال يوضحه أن نقول : إن القوى التى استهدفت الإسلام على اختلاف مقاصدها وغاياتها كثيرة ومتعددة .

منها : اليهود الذين أحسوا بأن الإسلام حين يشمل بهدايته أهل الأرض جميعا قد يهدد مالهم من مصالح اجتماعية ومادية ، فواجهوه فى بادىء الأمر صراحة على خلاف عاداتهم ، سواء كانت هذه المواجهة مواجهة ساخنة بالسلاح أو مواجهة فكرية ، ظانين أنهم بهذه المواجهة قد يضعون النبى فى حرج أمام أمته .

ولكنهم قد فشلوا فى هذه الميادين التى تقوم على أساس المواجهة الظاهرة ، فرأوا أن يعودوا إلى طرائقهم الأولى من اصطناع أسلوب التآمر الخفى ، وبدأ ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) بعد أن أعلن إسلامه فى الظاهر يؤسس منظمة سرية فى مبادئها نسبت إليه وسميت بالسبئية

وكان عبد الله بن سبأ هذا هو أول من وضع فى الإسلام مبدأ الرجعة ومبدأ توقع خروج المهدى المنتظر ، وقد نقل هذه الأفكار وغيرها من الفكر اليهودى الذى كانت له تجاربه فى التخريب على مدى أزمنة وعصور طويلة .

غير أن أخطر ما قال به عبد الله بن سبأ : هو أن القرآن له باطن وظاهر ، وأن الظاهر غير مراد ، والباطن لا يفهمه إلا الأئمة ، وليس من الضرورى أن يكون هذا الباطن منسجما مع العقل أو متمشيا مع المنطق .

وهذا المبدأ بالذات كان القصد منه وضع خط فاصل بين ألفاظ القرآن ومصطلحات الشرع من جهة ، والمضامين والمعانى التى تنصرف إليها هذه الألفاظ وتحتويها هذه المصطلحات .

وكان المخطط الذكى فى مجال التخريب ، وضرب الوحـــدة الاجتماعية فى المجتمع المسلم يرى أن أهم وسيلة من وسائل الوحدة الاجتماعية هى : الارتباط الوثيق ، والرابطة القوية التى تكون بين الألفاظ والمعانى ، ولو أمن حل هذه الرابطة لأمكن إدخال الكثير من الأفكار المتناقضة والمفاهيم المتضادة والمحتويات المتضاربة بحيث يمكن لكل فرقة من المسلمين أن تتعلق بمضمون من هذه المضامين ويقع بينهم الخلاف فيضعف بعضهم بعضاً ، وانتشر بين المخططين مبدأ يقول : إن الشجرة ينبغى أن يقطعها أصحابها .

وحاول زعماء اليهود ومفكروهم أن يبحثوا جادين عن نقطة ضعف فى المجتمع المسلم يمكن لها أن تقبل بمثل هذه الأفكار وتدين بها بغير مناقشة عقلية أو اصطناع المنطق أو استخدام الفكر .

وكان أضعف المناطق فى المجتمع المسلم منذ أول أمره هو المجتمع الفارسى ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل من أهمها : أن الدهماء من الناس والعامة من الشعب كانوا يؤمنون بفكرة تقديس الحاكم قبل الإسلام ، وفطرتهم قد دربت على استمراء هذا المبدأ واستحسانه منذ آماد ضاربة فى بطون التاريخ ، وحين دخلوا الإسلام لم تتغير فطرهم كثيراً فهى ما زالت مستعدة لتقدير الحاكم والزعماء ، ومن أجل ذلك فإنه لا يستعصى على اليهود أن ينشدوا تحت ستار محبة أهل البيت والتشيع لهم المبـــدأين الخطيرين : انتظار المهدى ، وتفسير نصوص الشريعة تفسيراً باطنيا .

أما أهل الرأى والفكر من سكان هذه البلاد ، فإنه من الممكن لليهود أن يلهبوا فى صدور البعض منهم نار الحماسة القومية ، والتعصب للمجد الوطنى القديم ، ومحاربة هؤلاء العرب ، وانتزاع مقاليد الحكم من أيديهم ، على أن

هؤلاء الوعاء إذا قاموا بثورات وقلاقل وفتن واضطرابات فإنه من الجائز لهم أن يستغلوا فطرة الشعب ، واستعداده لتقديس القادة والوعاء ، فيدعى البعض أنه المهدى المنتظر ، ويدعى آخر بأنه نبي جديد ، ويدعى ثالث بأن الألوهية قد حلت فيه فهو إله بواسطة نظرية الحلول ، والشعب يصدق لأنه قد آمن بأن للقرآن والسنة ظاهر غير مقصود ، وباطن لا يدركه إلا المطرة من أهل البيت ، والأئمة الذين ورثوا العلم .

واستمر اليهود يعملون عملهم بطريقة سرية خفية منذ أول الأمر وإلى اليوم ، فكانوا هم المسئولون عن كل فتنة أطلت برأسها ، وعن معظم الاضطرابات التي أقضت مضجع الآمنين من أبناء المجتمع والحاكمين .

ومن بين الفرق المناهضة للإسلام : المستعمرون .

والمستعمر لا يستهدف الإسلام غاية ، وإنما يستهدفه وسيلة لإضعاف روح المقاومة إذا استطاع أن يحدث بين أفراد هذا المجتمع فرقة دينية واختلاف عقائدى أو تشريعى ، أما الهدف النهائى فهو السيطرة على الأرض واستثمار جهود الشعب واغتصاب ثرواته .

وتختلف طبيعة كل مستعمر وأسلوبه فى التعامل باختلاف الشعوب والأهداف .

فنحن قد رأينا فى الهند ـ مثلا ـ الأسلوب الذى ابتدعه المستعمر الإنجليزى فى خلق نوع من الفرقة الدينية والقومية ، ولم يكن هذا الأسلوب إلا نوعا من استهداف الدين كوسيلة للاحتفاظ بالأرض والثروة وجهود البشر .

وفى إيران يختلف الأسلوب باختلاف طبيعة الشعب والهدف غير الهدف فى الجزئيات والتفاصيل ، غير أنه هو فى الغايات والنهايات .

إن المستعمر الطامع فى إيران بالدرجة الأولى هو روسيا القيصرية قديما (الاتحاد السوفيتى حديثا) .

إن المتأمل فى طبيعة الأرض التى يسكنها الروس يجد أنها تقع فى الجزء الشمالى لقارة آسيا وجزء من شمال شرق قارة أوربا .

وهذه الطبيعة الجغرافية تقطع صلتها بالمياه الدافئة فهى إن أرادت الخروج للمياه الدافئة ليس لها سوى مضيق البسفور والــدردنيل إلى البحر الأبيض المتوسط .

ولكنها حين تريد الخروج إلى المحيط الهندى سوف يعترضها الهند وباكستان وإيران ، وعليها إن أرادت الخروج فى يسر أن تستولى على أحد هذه المناطق .

وفى عهد روسيا القيصرية كانت شبه القارة الهندية تحت السيطرة الإنجليزية ، وكان من الصعب عليها أن تتعامل مع انجلترا فى منافسة من هذا النوع ، فلم يكن أمامها إلا الأراضى الإيرانية لكى تستولى عليها ، ولذا وجدناها فى القديم قد نشرت مجموعة من الجواسيس والعملاء بقصد اختيار طريقة مناسبة لإضعاف صفوف المجتمع الإيرانى ، وفى نفس الوقت البحث عن طريقة مناسبة لكى تخلق مجموعة من أبناء هذا الشعب يؤيدونها ويتحمسون لها .

ومن هذا المنطلق قد وجدنا بعض العملاء الروس قد وقف بكل جهده وراء من ادعى النبوة فى إيران يوفر لهم المال إن احتاجوا إليه ، ويحميهم من السلطة والسلطان إن وقعوا فى أمرها ، ولم يعد خافيا اليوم أن الروس كانوا من بين العناصر التى شجعت ودعمت الحركتين البابية والبهائية اللتين هما موضع بحث الفقرات التالية[١] .

ولم يكن لروسيا القيصرية على ما نظن أهداف تتصل بالجوانب المذهبية أو الفكرية ، وإنما قصارى ما كانت تهدف إليه هو الوصول إلى المياه الدافئة فحسب .

ولما تحولت روسيا إلى معقل للشيوعية بعد ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ ، أصبحت تنافس الرأسمالية العالمية وتدخل معها فى صراع أيديولوجى .

---

(١) انظر حقيقة البابية والبهائية ـ محسن عبد الحميد .

فالاتحاد السوفيتى منذ هذا التاريخ أصبح له رسالة مذهبية ، والرءوس المفكرة فى المذهب الشيوعى ترى أن من أعدى أعداء هذا المذهب العصبية للقومية أو الدين ، أو الانتماء على أى لون من ألوان الانتماء الذى يحول دون تحقيق الشيوعية العالمية .

ومن هنا فإن الاتحاد السوفيتى يعمل جاهداً على محاصرة كل عقبة كئود تحول بينه وبين هدفه ، ومحاولة تحطيمها .

وعلى ذلك فإن الهدف القديم لروسيا القيصرية الذى يدفعها إلى الاستيلاء على إحدى الدول المطلة ، أو الموصلة إلى المحيط الهندى ، قد انضم إليه هدف آخر بعد الثورة البلشفية ، وهو الهدف المذهبى الذى يرمى إلى كسب ميدان جديد لصالح الشيوعية ، ولذا فإن الهدف قد بات هدفا مزدوجا إذا خبت نار أحد عنصريه ساعد توهج نار الآخر واستمرارها على دفع الروس نحو الاستيلاء على الأرض وعلى الرءوس جميعا .

والمتأمل فى خريطة العالم اليوم يجد أن الاتحاد السوفيتى قد استطاع أن يضم إليه أثيوبيا واليمن ، وهما متقابلان يفصل بينهما (مضيق باب المندب) ، وفى نفس الوقت قد ضم إلى حوزته دولا كثيرة على البحر الأبيض أهمها فيما يعنينا هو : ليبيا العربية .

ولو تأملنا الوضع على ما هو عليه لوجدنا أن الاتحاد السوفيتى يريد أن يصل من أثيوبيا على البحر الأحمر إلى ليبيا على شاطىء المتوسط ، ولكن يفصل بينهما السودان ، ولا يجد الاتحاد السوفيتى غضاضة فى أن يوقع السودان بين شقى الرحى (ليبيا وأثيوبيا) بقصد إثارة القلاقل فيه حتى تؤدى هذه القلاقل فى النهاية إلى سقوط السودان فى حوزته .

ومن جانب آخر فإن الاتحاد السوفيتى يحاول جاهداً إضعاف الشعب الإيرانى مطمعه القديم بكل ما أوتى من أساليب الوقيعة والدس بينه وبين جيرانه ، وإذا

سقطت إيران فى حوزته تم له إحكام حلقة كاملة داخل منطقة العالم الإسلامى ، فإذا خرج الاتحاد السوفيتى ببعثة إلى إيران تستطيع هذه البعثة أن تنزل إلى الخليج ومنه إلى المحيط الهندى ، ثم إلى البحر الأحمر ثم إلى أثيوبيا والسودان وليبيا التى تصل به إلى البحر الأبيض ، ومن البحر الأبيض إلى مضيق البسفور والدردنيل إلى البحر الأسود إلى روسيا .

وهذا الحزام الذى يريد الاتحاد السوفيتى تحقيقه يستطيع أن يعزل مجموعة كبيرة من الدول والشعوب العربية والإسلامية عن باقى الشعوب الأخرى التى تدين بالإسلام أو تستظل بظل القومية العربية .

والاتحاد السوفيتى ساهر من أجل تحقيق هـــذا الهدف ، وهو يتخذ الدين كأسلوب من أهم الأساليب التى يشوش به على علاقة المسلمين والروابط الاجتماعية .

ومن هذا العرض الموجز يتبين لنا بجلاء ووضوح من هم أعداء الإسلام ؟

ولهذه المسألة تفصيلات وجزئيات ليس هذا المختصر موضعها ولا محل البحث فيها .

الطريق إلى البابية

إن المرء حين يستبطن حركة البابية والبهائية يجد نفسه أمام حقيقة تخالف كل ما كونته العامة عن هاتين الفرقتين الضالتين.

ذلك أن أتباع هذه الجماعات إنما يستعملون أساليب ومصطلحات ومبادىء الشيعة، وهم في نفس الوقت أبعد ما يكونون عن الشيعة من حيث الواقع العملي، ومن حيث انسجامهم مع المبادىء المعلنة لفرق الشيعة.

وإن ما يمكن قوله هنا: أن كل ما يتوفر له تتبع تاريخ هذه الفرقة في إطار الحركة المعادية للإسلام، يجد أنها ليست سوى حلقة من حلقات سلسلة طويلة صممت بيد المستعمر وتحت سمع أعداء الإسلام وبصرهم.

والشيء الذي يلفت النظر هنا: أن جميع الأشخاص الذين قاموا بعرض مراحل البابية والبهائية، قد أخلصوا إخلاصاً شديداً لساداتهم ونفذوا ماطلب منهم بكل دقة حتى ولو أدى ذلك بالبعض منهم إلى فقد مكانته الاجتماعية، أو حتى حياته نفسها.

فالإنسان الذي لا يخشى ربه، ولا يترقب ثوابا في حياة بعد هذه الحياة لا أقل من أنه يحرص على تحقيق ميزة اجتماعية. والأمر الذي لا يفهم هنا أن بعض أفراد هذه الحركة الخائنة يضحى بمكانته الاجتماعية ليحتلها غيره ويقوم هو نفسه بالتمهيد القادم الجديد، ولو لم يتأهب المرء أن يفهم مثل هذا الموقف في إطار عام من التخطيط الاستعماري لما أمكن له أن يقف على تفسير حقيقي لمثل هذه الحالة العارضة.

غير أن معضلة الصلة بين هذه الفرقة والدوائر[1] الاستعمارية أو غيرها من

---

(١) [ولقد كشف كثير من الباحثين، ورؤساء الكنائس حقيقة البهائية وسيطرة النفوذ الأجنبي عليها، قال رئيس كنيسة (هـ. سيتي تمبل) إن البهائية في =

أعداء الإسلام تحتاج إلى شيء من إعمال الفكر وجانب من التفكير غير يسير .

والإنسان حين لا يجد الدليل المادى المحسوس ، لا يكون قد فقد كل طريق وأغلقت أمامه كل سبيل إلى معرفة الحقيقة ، ذلك أنه من بين السبل التى تستبين بها الحقائق تلك النتائج التى تترتب على كل حركة فكرية أو دينية ، فإن هذه النتائج نفسها تبين عن حقيقة انتماء هذه الفرقة أو تلك ، ومصدر هذه الفكرة أو تلك .

لحين نرى جماعة يتحدثون باسم الإسلام ، ويحاولون تحت ستار انتمائهم إليه أن ينالوا من بعض مبادئه الأساسية أو تشريعاته وعقائده التى وحدت بين أفراد وجماعات المنتسبين إليه جماعة من أعداء الإسلام يشجعون هذه الفرقة التى وقفت من الإسلام ومبادئه موقفاً عدائيا ، ويقدمون لها كل معونة ، ويرصدون لها كل عون ، ويدفعون عنها كل من يحاول تحطيمها والقضاء عليها ، لا يسعنا إلا

= روحها مطابقة لجميع الخطابات الدينية التى تسمعون كل أسبوع ، ولقد تصافح الليلة الشرق والغرب] - المؤامرة على الإسلام - أنور الجندى - ص ١٩٤ .

وهناك جانب آخر من اتصالات الأجنبيين كاتصال الروس بالبهائية والبابية حتى فى لحظة التأسيس الأولى ، ذكر محمد حسين آل كاشف الغطاء عن كتاب معاصر النشأة البابية - قال : (إن رجلا من روسيا أتى طهران بعد أن انتزع الروس علكة القوقاز من الدولة الإيرانية ، وأراد إشغالها عن التفكير فى استرجاع ما غصب منها فتعلم ذلك الرجل اللغة الفارسية وأتقنها ، ثم أظهر التدين بالإسلام ، وتزيا بزى أهل العلم بلحية كبيرة . وعمامة كبرى وعباءة وسبحة ، ولازم صلاة الجماعة ، ودرس شيئاً من المبادئ ، واشتهر اسمه بالشيخ «عيسى» ثم جال فى عواصم إيران كأصفهان وشيراز فوجد فيها ضالته ، فاجتمع بالباب وكان غلاما جميلا ، ويتوسط خاله خلابه مرات عديدة ، والظاهر أنه هو الذى كان حلقة وصل بين البابيين والحكومة القيصرية الروسية] حقيقة البابية والبهائية - د/ محسن عبدالحميد ص ١١٩ - ١٢٠ .

أن نقول : إن هذه الفرقة إنما تعمل لحساب هذه الدائرة الاستعمارية أو تلك ، وتسير وفقاً لما يهوى أعداء الإسلام ، أو بتخطيط منهم ، لجمع بينهم الهدف ، واتفقوا على طريق واحد يدافع بعضهم عن بعض ويرعى كل منهم مصالح الآخر .

وليس هذا هو الدليل الوحيد الذى يمكن اصطناعه فى الكشف عن انتماء الحركة البابية والبهائية ، وإنما هناك عدد من الأدلة المحسوسة التى تدل على هذا الانتماء .

الشيخ أحمد الإحسائى :

وكان أول الطريق إلى البابية والبهائية الشيخ أحمد الإحسائى صاحب الطريقة الشيخية فى المجتمع الشيعى .

ومهما قيل أو يقال عن نسب الشيخ أحمد ووطنه ، فإن المنطق المعقول يفرض علينا أن نلتقط الخيط من بدايته .

وبداية الخيط هى محاولة أعداء الإسلام خلخلة المجتمع المسلم بقصد إضعاف قوته ، وترك الساحة خالية ، والتمكن من الأرض واستثمار جهود البشر ، ولا مانع فى بعض الأحيان من نشر المذهب الذى يؤمن به الطامعون فى هذه الأرض وجهود البشر إن كان لهم مذهب .

ولا تتأتى زعزعة الصلات الاجتماعية إلا عن طريق خلخلة الروابط الدينية ، ولكن ينبغى على من يقوم بهذه المهمة أن تكون له مكانة روحية ، ومنزلة لها صلة وثيقة بالسماء .

ذلك أن المنتسبين إلى الدين لا يقبلون بسهولة أن تتغير قضاياه فى نفوسهم بمجرد ادعاء بشرى أو نتاج عقل إنسانى .

إذاً لابد لكى يحصل المستعمر على ما يريد أن يجد إنساناً يدعى فى إيران وما حولها أنه المهدى المنتظر ثم يترقى فى دعواه إلى النبوة ، ثم إلى ادعاء الألوهية .

فهو أن نقطة البداية هذه - وهى ادعاء المهدوية - تشكل معضلة لا يمكن اجتيازها بسهولة ، ذلك أن الشيعة الإمامية لديهم تصور كامل عن إمامهم الغائب ، وفى كتبهم

ورصيدهم الفكرى الذى خلفه السلف لخلفه آيات وعلامات ، ويجب على المستعمر أو العدو الذى يستهدف الإسلام حين يريد اصطناع من يدعى المهدوية أن يعثر على إنسان ، تتوفر فيه هذه الصفات التى يعرفها الشيعة جميعها ، وهذا أمر بالغ الصعوبة ، بل إنه يصل إلى حد الاستحالة .

إذاً لابد من البديل .

والبديل الذى يراه من يرون وجوب إخراج المهدى المنتظر هو تغيير فكر الشيعة حول حقيقة المهدى ، إذ أنه يجب لكى يتحقق هذا الهدف أن تغير الشيعة فكرتهم عن المهدى المنتظر بحيث لا يكون هو الغائب فى سراديب سامرا ، وإنما يكون شخص عادى كما يتصوره الشيعة الزيدية وبعض أهل السنة .

غير أن تغيير الأفكار على هذا النحو يحتاج إلى جيل يتربى تربية خاصة ، وهذا الجيل لابد له من معلم يكون على صلة سرية بأعداء الإسلام الذين يخططون لفكرة المهدى .

وإنه لمن الصعب غاية الصعوبة أن تجازف هذه الدوائر لأول مرة باختيار إنسان من هذه البلاد معروف النسب والهوية ليقوم بعملية تنشئة الجيل المرتقب ، إذ أن كشف حقيقة مثل هذا المعلم يعرض الخطة كلها للخطر .

ولا مفر والحالة هذه من أن يذهب إنسان من خارج هذه البلاد يكون ماهياً لمهمته فيسكن الوطن المستهدف ، وينتحل شخصية أحد أبنائه ، ويدعى أن له صلة بالسماء ، ثم يكون له مجموعة من الأتباع والرواد يساعدونه فى تحقيق غاياته .

وكان الشخص الذى وقع عليه الاختيار للقيام بهذه المهمة هو أحد القساوسة فى أندونيسيا الذى كان يقوم بمهمة التبشير هناك ، فقد جاء الرجل إلى العراق ، وسمى نفسه بالشيخ أحمد الإحسائى ، وكون لنفسه طريقة تسمى الشيخية مازالت موجودة حتى الآن ، وكان هذا الرجل ذا عقلية فلسفية ، وشخصية قادرة على التنكر ، فاستطاع بعقله الفلسفى أن يمثل دوره بشكل براعة ودقة .

وكانت المهمة الموكلة إلى الشيخ أحمد هي أنه لابد من تغيير الفكر الشيعي حول مبدأ الإمام المعصوم والمهدى المنتظر ، ولو في انفسية عدد محدود من الاتباع والرواد ، المهم البداية .

والشيخ أحمد لا يستطيع القيام بهذا الدور إلا إذا أثبت لاتباعه أنه شخصية ممتازة عما سبقه من الانبياء والرسل ، أو مساوى لهم على الأقل .

ولذا رأيناه يشرح فكرة الحقيقة المحمدية شرحاً عقلياً ممزوجاً بالاوهام والضلالات والخلط والتدليس .

فهو يقول : إن الحقيقة المحمدية قد ظهرت في الانبياء قبل النبي ﷺ ظهوراً ضعيفاً ثم ظهرت ظهوراً أقوى في شخص النبي ﷺ ، والائمة من أهل البيت ، ولكن ظهورها الكامل قد تجلى في شخصه هو ، ومن سيأتي بعده ممن سيخلفونه على دربه نحو الهدف .

ومعنى ذلك : أن الشيخ أحمد قد ادعى لنفسه مكانة ممتازة يستطيع من خلالها وبواسطتها أن يغير بعض المفاهيم الشيعية ، وهذا ما كان وحدث بالفعل .

غير أن الشيء الذي يلفت النظر هنا : هو أن الشيخ الإحسائى قد اعتمد على الرؤى والاحلام لكي يتحدث عن بعض الآراء والافكار التي يؤمن بها وهو بذلك الاسلوب قد استطاع أن يلعب بعواطف الجماهير من حوله ، والذين لم يقدر لهم أن يأخذوا قسطاً من العلم .

والشيخ الإحسائى حين يقوم بمهمته على هذا النحو لا ينبغي أن يترك الساحة بموت أو ارتحال دون أن يضع يده على الشخصية التي تليه[1] .

كاظم الرشتى :

والشخصية التالية هي شخصية كاظم الرشتى المولود في رشت من بلاد فارس سنة ١٢٠٥ هـ .

---

(١) انظر : حقيقة البابية والبهائية ـ محسن عبد الحميد ص ٤٥ وما بعدها .

ولما بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة ارتحل إلى طهران لمقابلة أحمد الإحسائى هناك ، وما أن التقى به حتى تعلق كل منهما بصاحبه ، وارتحلا جميعا إلى العراق ، وهناك أصبح الرشتى من أخلص التلاميذ للشيخ أحمد ، وفى خلال الفترة التى عاشها معه تعرف منه على الجزئية التى ينبغى عليه أن ينفذها من بعده ضمن إطار الخطة العامة .

وكان ما أوكل إلى كاظم الرشتى تنفيذه من الخطة هو أنه يجب أن يحافظ على هذا التراث والرصيد من الأتباع والأفكار اللذين ورثهما عن الشيخ الإحسائى ، ولا يقف بالطبع عند هذا الحد ولكن لابد له ثانيا أن يبحث عن الشخصية التى ستحمل التبعة من بعده ، ويمهد الجو النفسى لتقبل الشيخية الجديدة ودورها ، ويلهب فى نفوس أتباعه نار الحماسة والشوق إلى رؤية هذا القادم الجديد .

وإذا كانت مهمة الشيخ أحمد والشيخية قد أحيطت بمخاطر الميلاد الجديد فى وسط غير ملائم فإن مهمة الرشتى والرشتية لا تقل أهمية لأنها سوف تمهد الجو لبداية التغيير الحقيقى ، وهو أمر — كما سنرى — فى غاية الخطورة .

وكاظم الرشتى قد أخلص فى دعوته إخلاصاً لا يقل عن إخلاص هذا القسيس القادم من أندونيسيا بقصد الإضلال وتقطيع الروابط والصلات .

وقد اصطنع كاظم الرشتى نفس الوسيلة التى اصطنعها أستاذه من قبله وهى الاعتماد على الأحلام والرؤى ، وإن كان — كما نرى — أقل منه فهما لقضايا الفلسفة والمنطق[1] .

الجو الذى نشأ فيه الباب :

لقد رأى المخططون لحركة البابية كمرحلة هامة من المراحل التخريبية سبقتها مقدمات من الشيخية والرشتية ، ويليها ما بعدها من مراحل الخطة أن الجو قد أصبح أكثر ملاءمة ، لإمكان ظهور الباب .

---

(١) راجع المرجع السابق ص ٥١ وما بعدها .

ذلك أن الأحوال السياسية فى إيران قد اضطربت اضطرابا شديداً، وصاحبها فى الوقت نفسه اختلال فى النظام المالى والاقتصادى وأصبحت إيران تحكم بواسطة حاكم مستبد أحيانا، أو حاكم ضعيف الشخصية لا يحسن التصرف فى الأمور، فيضطرب الشعب بين ضعف هذا الحاكم واستبداد الآخر بحيث يضيف ذلك عبئاً ثقيلا يضاف إلى مايعانونه من سوء الحالة الاقتصادية التى ترتب عليها إهمال شديد فى العناية بالطرق والصحة والتعليم العام، وأساليب الغذاء والمعايش - إلى آخره.

ومع هذا الفساد السياسى والاقتصادى وما ترتب عليهما من فساد فى الخدمات وما يتطلبه الإنسان فى حياته المعيشية من مطالب ورغبات فشى الجهل حتى أطبق على الشعب الإيرانى وشمله بأثره، وخاصة الجانب الدينى حيث أصبح رجال الدين وعلماؤه الذين وكل إليهم حماية العقيدة والدفاع عنها، والسهر على الشريعة ومناقشة أعدائها، حيث أصبح هؤلاء جميعاً إلا القليل منهم مشغولين بالمادة وتحصيلها، متعلقين بأسباب الحياة الدنيا، وطامعين فيها طمعاً يشبه طمع رجال الدين المسيحى وحرصهم على الثروة والمراكز الاجتماعية.

ولقد أصبح علماء الدين الإسلامى مجردين من كل معرفة تتصل بجوهر الدين وحقيقته، وشغلوا أنفسهم بقراءات واطلاعات فى كتب أقل ما توصف به أنها كتب دجل وخرافة.

ولو أضفنا إلى ما قلناه: الطابع العام الموروث وهو استعداد فطر الإيرانيين إلى تقبل فكرة الخلاص، وما أشعله الشيخيون والرشتيون فى نفوس العامة والخاصة الذين ينتسبون إلى هذه الطريقة من نار الشوق إلى رؤية المهدى الذى قرب زمانه لكى يخلص هؤلاء عما هم فيه من بلاء وعناء لأمكن لنا أن نتصور أن الجو قد أصبح مهيئاً تماماً لتمثيل الدور الجديد أو عرض الفقرة التالية من مراحل المؤامرة.

ويلخص أحد المهتمين بمبادىء البابية والبهائية هذه العوامل التى ساعدت على نشأة البابية فى أول أمرها فيقول (أسلمنت): [إن لإيران التى هى موطن الظهور

الجديد تاريخاً مجيداً فى العالم . . . إلا أنها فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر سقطت إلى وهدة مزرية ، وكأنما ضاع مجدها القديم إلى الابد فأصبحت حكومتها مختلة ، وأحوالها المالية فى حالة من الضيق يرثى لها ، وكان البعض من حكامها ضعفاء ، والبعض الآخر مستبدين طاغين كالوحوش ، وأصبح علماؤها متعصبين غير متسامحين وعامة أهلها جهلاء مخرفين ، وأغلبهم يتبع مذهب الشيعة . . . فأصبحت الامور الدينية والأمور المدنية فى حالة تدهور ، لا أمل فى علاجها وأهمل أمر التعليم وأصبحت العلوم والفنون الغربية فى نظرهم رجساً ومخالفة الدين . . . وأصبحت الطرق رديئة غير مأمونة للاسفار ، والاستعدادات الطبية ناقصة نقصاً معيبا . . . ومن بين تلك الحالة المادية الدنيوية . . . ظهر بعض نفوس مقدسة أحيت فى كثير من القلوب شوقا وجذبا إليها . . . ولذلك أصبح الكثيرون ينتظرون ظهور الرسول الإلهى الموعود ، موقنين بأن وقت مجيئه قد حان وهذا خلاصة ما كانت عليه بلاد إيران عندما ظهر الباب][1] .

الارض والحراس :

وحين تكون الظروف مهيأة إلى هذا الحد لاستقبال تلك الضربة الجديدة ، فإنه لم يعد أمام القابعين خلف هذه المؤامرة إلا اختيار الأرض التى تبدأ الدعوة منها ، وتصور كيفية حراسة الدعوة إذا هى تعرضت إلى أزمة مع الساسة والقادة الذين يحشرون على مراكزهم من مثل هذه الحركات الشعبية .

وفيما يتعلق بالأرض لم يكن هناك أفضل من منطقة خراسان :

أولا : لأنها هى أكثر المناطق استعدادا لقبول فكرة المهدى ، وأهلها أكثر الشعوب قابلية وسرعة تأثر بهذه الفكرة .

فلقد كان لهم تاريخ قديم ، فدعوة أبى مسلم الخراسانى ، والمقنع ، وبابك الخرمى وغيرهم قد ظهروا من هذه المنطقة .

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد ص ١٩ و ٢٠ و ٢١ .

وثانياً : أن هناك حديث موضوع يدخل فى تصورات الشيعة عن المهدى المنتظر يؤكد أن خروج المهدى سيكون من خراسان تحت الرايات السود[1] .

ولهذين العاملين رأى من هم وراء هذه الخطة أن تبتدىء المرحلة القادمة بداية ظهورها من خراسان .

أما حين يتعرض صاحب هذه الدعوة الجديدة إلى أزمة مع الساسة فإن ذلك لابد أن يحسب له فى الخطة ألف حساب .

إن المسئول عنه وعن أتباعه فى هذه الفترة هو الاستعمار الروسى بالدرجة الاولى بثقل القوة ، واليهود بحسن الحيلة والتدبير . والصليبية أو المسيحية متمثلة فى أكبر زعمائها الدينيين .

ولقد نقل الأستاذ إحسان إلهى ظهير طرفا من مذكرات أحد الجواسيس الروس فى روسيا القيصرية الذين قاموا بخدمة الحركة البابية يصلح أن يكون شاهداً من عشرات الشواهد فى تصوير الموقف كله قال : [ويذكر الجاسوس الروسى « كيناز دالفوركى » فى مذكراته : إن البابيين لما أطلقوا الرصاص على ناصر الدين شاه ـ ملك إيران آنذاك ـ قبض عليهم أو من بينهم المرزه حسين على البهاء والبعض الآخرين الذين كانوا لى أصحاب السر ، فأنا حاميت عنهم وبألف مشقة أثبت أنهم ليسوا بمجرمين ، وشهد عمال السفارة وموظفوها . . . فنجيناهم من الموت وسيرناهم إلى بغداد][2] .

ولم يقتنع الروس بفكرة التجسس التى تعنى فى قصارها جمع المعلومات وتقديم الخدمات السرية وتزييف الحقائق إن أمكن ، بل إن الروس قد دفعوا المسألة خطوة إلى الأمام ، فنحوا البابيين منطقة روسية يقيمون ويتدربون فيها على

---

(١) حقيقة البابية والبهائية ـ محسن عبد الحميد ص ٧٣

(٢) « مذكرات دالفوركى » ص ٨٢ .

أفضل وأحدث أنواع السلاح فى ذلك العصر ، فكانت بلدة « عشق آباد » معقلا هاما متاخماً للحدود الإيرانية ينشر البابيون منه تعاليمهم الهدامة ، ويدربون أتباعهم على وسائل التدمير والخراب ، ثم منحوا بالإضافة إلى هذه المنطقة بلدة أخرى هى « باكو » لتكون معقلا آخر يؤدى نفس الغرض ويقوم بنفس الوظيفة .

ومن حق المرء أن يتساءل : من أين لهؤلاء السذج والبسطاء من الشعب الإيرانى الذين وقفوا ضد الحكومة بالأسلحة المتنوعة الثقيلة والخفيفة ؟ من أين لهؤلاء بهذا العتاد المادى ، ومن أين لهم بالمال الغزير الذى يديرون به شئونهم وحياتهم ؟!

يذكر الكثير من الكتاب البهائيين أنفسهم أن هذه المعونة الحربية والمالية كانت تأتيهم كلها من خارج البلاد خاصة ما كانت تمنحهم إياه روسيا القيصرية المهتمة بهم اهتماما شديداً[1] .

كما أن المرء من حقه كذلك أن يتساءل عن هذا الاهتمام الشديد الذى يصل أحيانا إلى حد التدخل فى شئون إيران الداخلية خاصة من سفراء روسيا وروما .

وليس لهذه التساؤلات وأمثالها من جواب : إلا أن الروس يريدون أن يحققوا أهدافهم فى إيران من أقصر الطرق وبأيسر الأساليب .

أما اليهودية العالمية ، فقد كان لها فى التخطيط دور آخر متميز يتناسب تناسباً شديداً مع موقفهم من الإسلام ، إنهم يريدون هدمه والقضاء عليه والنيل من أصحابه ومبادئه .

وقد انضم إلى الهدف العام واليهودية العالمية هدف آخر استقروا عليه أخيراً ، وهو إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

---

(١) راجع البابية عرض ونقد — إحسان إلهى ظهير .

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف فإننا نرى اليهود يحاطون لكل محاولة هدامة، يرون أن لها تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على مبادىء الدين الإسلامى وعلى من يدينون به .

وفيما يتعلق بالبابية رأت اليهودية العالمية أن تعمل على خدمتها واستغلالها منطلقة من أسس ثلاثة :

الأول : أن تدعوا اليهود فى إيران الدخول بشكل جماعى فى نحلة البابية والبهائية .

وقد استجاب يهود إيران لمشورة الماسونية اليهودية فدخل فى هذه النحلة الجديدة مجموعة كبيرة من اليهود الإيرانيين ، [فى طهران دخل فيها منهم (١٥٠) يهوديا وفى همدان (١٠٠) يهودى . وفى كاشان (٥٠) يهوديا وفى كلبا كيان (٨٥) يهوديا .

ولقد دخل حبران من أحبار اليهود إلى البابية فى همدان وهو الحبر الياهو والحبر لازار][1] .

ودخول اليهود بهذا الشكل فى نحلة غير يهودية أمر يخالف طبيعة اليهود التى عرفت عنهم على طول التاريخ وعرضه ، إنهم لا يتركون دينهم إلى دين آخر إلا فى حالات فردية نادرة وشاذة ، ذلك أنهم يخضعون خضوعا تاما إلى مقولة أنهم شعب الله المختار ، وأن ما عداهم من الأميين إنما خلقوا ليكونوا لهم تبعاً وخدما، وأنهم يعتقدون أنه لا يصح أن يخرج واحد منهم عن هذه الطبقة الممتازة إلى طبقة أخرى أدنى منها وأقل .

وعلى هذا الأساس فإن دخول اليهود بشكل يشمل العالم وغير العالم فى هذه النحلة الجديدة ليس له إلا تفسير واحد ، وهو أنهم يريدون أن يحققوا أهدافهم تحت ستار كثيف من التمويه ثم يوجهون بشكل سرى بعض من ينتسبون إلى الإسلام توجيهاً يؤدى بهم إلى النيل من الإسلام وأهله .

---

(١) حقيقة البابية والبهائية - ص ١٢٧ .

الثانى : إن اليهود قد تكفلوا من خلال المؤسسة العالمية التى تضمهم وهى مؤسسة الماسونية اليهودية ، أن يضعوا للبابية كل هدف يحوه وكل أمل براق ، وكل خطة تؤدى إلى هذا الهدف وتفضى إلى ذلك الأمل .

إنهم قد استخدموا زعماء البابية والبهائية فى إعلان أهداف الماسونية التى تنادى بوحدة الأديان ، وتتستر خلف محبة الإنسانية، وتدعى أنها تعمل من أجل نبذ الأحقاد والخلافات التى لا سبب لها فى العالم كله إلا التعصب للأديان ، والتحمس لمبادئها .

وحين تعلن البابية والبهائية مبادىء الماسونية ، فإنه لم يعد أمامها أى خيار فى اتباع الوسيلة أو اصطناع الطريقة التى توصل إلى تلك الأهداف .

إذ أنه قد أصبح لزاما عليها أن تسلك خطاً واحداً هو الخط الماسونى فحسب ولذا فإن الميرزا محمد على الباب كان دائم النظر فى كتب اليهود ، عاكفاً على قراءتها ، بحيث لا تكاد التوراة المحرفة تفارقه حتى فى أيام سجنه .

والذى يقرأ الماسونية يعلم أنها فى مراتبها الأخيرة تطلب من صاحب المراتب العليا أن يقسم على نبذ القرآن والإنجيل ومعاداتهما ، ولا يحترم سوى التوراة ، ولا يقدر من الأنبياء سوى موسى عليه السلام .

وينضم إلى ما قلناه من شواهد : أن البابية بعد أن تحولت إلى البهائية بمقتل على محمد الباب ، أنشأت لها محفلا فى أرض فلسطين المحتلة لكى تعقد جلساتها فى حرية ، وتنشر مبادئها فى العالم الإسلامى منطلقة من هذا الوطن الآمن بتشجيع من اليهود وحماية منهم .

الثالث : والمحور الثالث الذى اعتمد عليه اليهود فى تدبير شئون الحركة البابية والبهائية ، هو أن اليهود قد وجدوا أن هذه الحركة تحتاج إلى إعلام قوى ، ودعاية شديدة ، حتى تعلن على العالم كله نبل مقصدها وسلامة غايتها ، وطيب ما تدعو إليه من مبادىء وأسس ونظم وتشريعات .

ولسنا نحتاج هنا إلى تأكيد أن اليهودية لها تأثير قوى على الإعلام العالمى، بمختلف صوره، ولذا فقد وجهوا أجهزة الإعلام فى العالم كله نحو شرح مبادىء البابية وغاياتها، وتعريف العالم بهذه المبادىء وتلك الغايات، كما وجهوا كبار الباحثين من المستشرقين المغرضين والمفكرين اليهود وغير اليهود لكى يتحدثوا عن هذه النحلة الجديدة.

ولقد تحمل كبر هذه الدعوى كلها فى مجال البحث العلمى الكاتب اليهودى جولد تسيهر الذى يعد هذه الحركة فى إيران، واعتبرها نفرة لم يسبق لها مثيل، ثم تبعه غيره من الكتاب والمفكرين المأجورين.

وهكذا انضم إلى القوة المادية التى تأتى من روسيا قوة أخرى فكرية وإعلامية لها خبرة طويلة فى المكر والدس والخداع، ولها ثأر قديم لدى المسلمين متمثلا فى مبادئهم الإسلامية، وتشريعهم الذى أصلح من أمر العالم حين أشرق بنوره لإزالة الفساد والضلال.

ولكن يبقى العالم المسيحى لابد هو الآخر أن يكون له دور فى هذا المجال.

والعالم المسيحى متشكك دائماً فى اليهود واليهودية حانق على هذه الديانة وأصحابها، ولا يمكن له أن يسمع من زعماء اليهود أو إعلامهم، وإنما لابد أن يسمع من القساوسة المسيحيين ورؤساء الكنائس، ورجال الدين المسيحى أنفسهم على وجه العموم.

ولكن ما الذى يضطر رجال الدين المسيحى إلى أن يشغلوا أنفسهم بهذه النحلة الجديدة؟

إن المتأمل فى التاريخ الحديث يجد أن المستعمرين من الغرب المسيحى قد عجزوا تماما عن مواجهة المسلمين بالسلاح، وهم يريدون الاحتفاظ بالأرض وثرواتها، واستغلال الشعوب لرفع اقتصادهم ومستوى معيشتهم.

وكان لابد أن يحولوا الحرب إلى حرب دينية حيث أن العاطفة الدينية هي العاطفة الوحيدة التي يستعر نار أوارها حين تخبو نيران كل العواطف .

ولما كان رجال الدين المسيحي من أهم الطوائف الذين يحصلون على الثروة والمال من الدولة، فإنه من الممكن للدولة أن تستغل هذه الطائفة لحمل الشعب المسيحي على مواجهة المسلمين بالسلاح إن اقتضى الأمر ، وبالفكر إذا احتاجت المسألة إلى مفكرين وعلماء .

وقد سبق أن قلنا : أن رجال سفارات العالم المسيحي في إيران كانت تتدخل للدفاع عن البابيين والبهائيين جنباً إلى جنب مع السفارة الروسية في نفس الوقت الذي كان بعض رؤساء الكنائس ورجال الدين يقومون بمشاركة الإعلام الماسوني في شرح أفكار البابية والبهائية وتقديمها للناس على أنها فكر متطور يشبه إلى حد كبير تصورات المسيحية في عيسى عليه السلام ، حيث إن له صلة بالله عز وجل تخالف ما يتصوره المسلمون الذين يعتقدون في عيسى أنه رسول وعبد لله يوحى إليه .

ويرى بعض رؤساء الكنائس أن البهائية حين تتصور عيسى عليه السلام ، وقد حلت فيه روح الله تكون بذلك قد تقدمت خطوة نحو المسيحية ، وقربت الشرق من الغرب قربا يسمح لهما بالمصالحة والرضا .

وهكذا أحكمت الخطة إحكاما يسمح بتمثيل الأدوار القادمة بعد أن تحالفت الشياطين ومكر الماكرون .

« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

البابية

على محمد الشيرازى :

على هذه الأرض المهاد ، وفى هذا المناخ الملائم ، ولد على محمد الشيرازى ميلاداً مغموراً وقع الخلاف بين المؤرخين حول تحديد وقته ، فمن قائل : أنه سنة ١٢٣٦ هـ مع اختلاف فى الشهر من هـذا العام ، ومن قائل : أنه سنة ١٢٣٥ هـ ، إلى غير ذلك من الأقوال .

وقد وصفت الأسرة التى نشأ فيها الشيرازى والسلالة التى انحدر عنها بأنها تمت بصلة إلى أهل البيت ، وتنتسب إلى آل النبى محمد ﷺ ، غير أن بعض الذين كتبوا فى البابية رأوا أن هذه مناورة من عشرات المناورات التى حاول البابيون خلالها إثبات بابية الباب أو مهدويته ، ويستند الذاهبون إلى هذا الرأى فى ترجيح قولهم إلى الألقاب التى كانت تمنح فى إيران لأهل البيت ، والأجيال المنحدرة عنهم ، والتى تمنح لغيرهم من ذوى المراكز الممتازة أو الطبقات العليا من المجتمع ، حيث كان اللقب الذى يمنح لسلالة أهل البيت هو أنهم هم السادة وواحدهم سيد ولا شىء غير ذلك ، أما غيرهم من المتميزين فى المجتمع فكان الناس يمنحونهم ألقاب أخرى كالميرزا والملا إلى آخره .

والمتتبع لتاريخ الباب يجد أن جميع من كتبوا عنه من المتحمسين له أو المناهضين لدعوته كانوا يلقبونه جميعاً باسم الميرزا ، وفى هذا شىء من الدلالة على أنه لم يكن سليل البيت النبوى ، ولم يحظ بشرف الانتماء إليه[1] .

على أننا لسنا هنا بحاجة ماسة إلى إثبات أنه سليل بيت النبوة أو لا ، ذلك أن فى دعوته وحدها كفاية فى إبطال ما يدعو إليه والكشف عن هدفه ، والوسائل التى تؤدى إلى هذا الهدف .

---

(١) راجع البابية دراسة ونقد ـ ظهير .

ولم تشأ الاقدار أن ينعم على بأبيه محمد رضا الشيرازى طويلا ، إذ أن أباه قد توفى وهو صغير ، فانتقل إلى كفالة خاله الذى أثبتت الحوادث فيما بعد أنه كانت له صلة وثيقة بطائفة الشيخية والرشتية .

وكان هذا وحده كاف فى أن يدفع هذا الخال بابن أخته إلى أحد المعلمين الذين يعلمون مبادىء الشيخية والرشتية فى شيراز .

ولم يظهر الفتى الصغير ميلا إلى العلم فى أول أمره مما دفع خاله إلى أن يأخذه معه فى التجارة بعد أن تعلم شيئاً من قواعد النحو والخط الفارسى ، وطرفاً من اللغة العربية ، غير أن التجارة فى شيراز قد أصيبت بالكساد فرحل الفتى إلى بوشهر حيث كان يقيم بها أحد إخوانه ، وهناك اشتغل بالتجارة فى الاقمشة والملابس ، واجتمع به هناك أحد أقطاب الشيخية الكبار ، فأخذ يوهمه بقرب ظهور المهدى ، وأنه يرجو أن يكون هو ، ودخلت هذه الفكرة عليه ، فاشتغل بالرياضات . وبعلم النجوم وتسخيرها ، وبجملة أخرى من العلوم الوهمية ، والسلوك الشاذ المنحرف ، فأثر ذلك تأثيراً بالغاً فى عقله ازداد هذا التأثير بوفاة ابنه الاول بعد عام من حياته ، فأدرك خاله أن ابن أخته قد أصبح يتصرف تصرفا غير طبيعى ، فأرسل به إلى العراق رغبة فى الاستشفاء بعد زيارته لبعض الوزارات ، ورحل الفتى إلى كربلاء حيث كان مقر الرشتية المتطورة عن الشيخية ، وحيث كان كاظم الرشتى الكبير السن ، الكبير المقام بين أتباعه ، ما زال حيا يباشر دروسه بين مريديه وأتباعه . فتلقف الفتى لاول عهده بكربلاء ، وكان الفتى قد تلقى مبادىء الشيخية والرشتيــــية عاما كاملا فى بوشهر قبل أن يأتى إلى كربلاء ، وكان مستعداً غاية الاستعداد إلى تلقى تعليمات وإيحاءات كاظم الرشتى ومن وراءه ، وفى مجالس الشيخ الرشتى كان هنـاك الجاسوس الروسى الذى سبقت الإشارة إليه يحرص أن لا يتغيب عن المجلس إلا لحاجة تقتضيها الخطة أو خدمة لاحد أهدافها .

ومن يوم أن وصل الشيرازى إلى كربلاء وهو يتعرض إلى الإيحاءات

النفسية والتعاليم المشبوهة سواء من كاظم الرشتى أو من الشيخ عيسى أو من غيرهما .
ولقد ألهب الشيخ الوقور بين أتباعه مشاعر المريدين بالأوصاف والتلويحات التى لا تكاد تخطىء على محمد الشيرازى ، وكانت الخطة ألا يظهر الباب إلا بعد وفاة الرشتى وانتقاله عن هذا العالم .

مهمة البابية :

تلك هى المرحلة الثالثة من المراحل التى تضمنتها الخطة الاستعمارية التى عززها الفكر اليهودى واحتضنها ودافع عنها .

وهذه المرحلة الثالثة لها مهمة متميزة هى فى حقيقتها استثمار لما سبقها من جهود الشيخية والرشتية

وهذه المهمة وإن كانت قد سبقتها تمهيدات وإيحاءات تمهد الأرض لها وتربى الجيل المستعد المتحمس لمبادئها ونصرتها ، إلا أن هذه المهمة فى حقيقة الأمر غاية فى الصعوبة ، لأنها تعبير عن المصادمات الحقيقية والمواجهة المباشرة مع شعور المسلمين وارتباطهم بدينهم .

وذلك أن المهمة التى يطلب من الباب والبابية القيام بها تتمثل فى مرحلتين :

إحداهما : نسخ الشريعة الإسلامية ، وإبطال العمل بمقتضاها .

وثانيهما : وضع شريعة جديدة لا تتصف بالحفاظ على التوازن الاجتماعى ولا تتميز برعاية الفرد ، وإنما يكون هدفها الأول : فصل الإنسان المسلم عن القيم ، وعزله عن العلاقة بربه وقتل روح المقاومة والنخوة فيه .

وهذا الهدف المزدوج لم يعد يقبل الإبطاء ، ولا يتحمل الصبر وطول النفس وإنما من الممكن أن تقوم به البابية على سبيل التجربة التى تتيح للرابضين خلف الخطة أن يستفيدوا من أخطائها على أرض الواقع العملى ، ثم يبرزوها بعد ذلك خالية من أسباب الخطأ عارية عما يؤدى إلى الفشل فيها .

مؤتمر بدشت :

قامت قيامة على محمد الباب كما يحلو له أن يسميها أو أعلن عن دعوته ونحلته ، كما يجب أن تسمى به مع غروب شمس اليوم الخامس من جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ هـ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وتفرق أقطاب (حى)[١] فى أنحاء إيران لإضلال الناس ، والحصول على أكبر عدد ممكن من الاتباع ، وقبض على على محمد فى شيراز ، ثم أطلق سراحه بعد التوبة العلنية فى المسجد الجامع أمام الناس ليعاد اعتقاله بعد تبين كذبه ، وتنقل فى السجون ، حتى استقر فى قلعة (ماه‌كو) قبل مقتله بفترة .

وفى عام ١٢٦٤ هـ ، وأثناء وجوده فى ماه‌كو ، أمر الاتباع أن يصدعوا بالامر وأخبرهم أن الوقت وقت التحرك ، فدعا الاتباع إلى مؤتمر يعقد فى صحراء بدشت وهى على نهر شاهرود[٢] بين خراسان ومازندان ، ووجهت الدعوة على حروف حى على أن يجمع كل واحد منهم ما استطاع أن يضله من الناس .

وكانت أهداف هذا المؤتمر تنقسم إلى قسمين :

هدف معلن مشهور .

وهدف مطوى مستور ،

أما الهدف المعلن ، فهو بحث إمكانية تخليص الباب من سجنه .

وأما الهدف المستور : فهو نسخ الشريعة الإسلامية ، والإعلان عن هذا النسخ بصورة تضفى على البابية والبابيين شخصيتهم التى تميزهم عما عداهم مما يعتنقون الإسلام ويدينون به .

---

(١) هذا رمز فى البابية على طريقة العدد الذى يقابل حرف الهجاء فالحاء عندهم تساوى ثمانية والياء تساوى عشرة والمجموع يساوى ثمانية عشرة هم أولئك النفر الذين اتبعوه لأول وهلة ، وصاحبوه فى دروس الرشتى ، وتفرقوا فى الأرض للمحاولة على الحصول على أكبر عدد ممكن من المرتدين .

(٢) النهر الكبير ، وهى فى الفارسية (شاهرود) كما هو فى الأصل .

واجتمع الناس فى الموعد المحدود ، وكان عددهم واحد وثمانين عضواً ما بين رجل وامرأة .

ولم يذكر المؤرخون أن واحداً أو واحدة من هؤلاء المجتمعين قد زاد عمره على الثلاثين إلا بزمن يسير .

وعقدت الجلسات تحت سماء الصحراء وعلى أرضها وسط انحلال خلقى لم يتحمل وقعه حتى بعض المؤتمرين أنفسهم .

وكانت وقائع الجلسات تسجل دراسة الموضوعين اللذين هما هدف المؤتمر كله ، غير أن طبيعة الدراسة فى كليهما تحتم أن يكون أحد الموضوعين مطروح بشكل عام ، والآخر يتردد بين الخاصة فى مذكرات متبادلة .

واتخذ المؤتمرون قرارهم فى الموضوع المتعلق بالباب ، ووافقوا على ضرورة تخليصه عنوة أو سلماً .

وقد سجل المؤرخ البهائى « عبد الحسين أواره » جانباً من جوانب المؤتمر الذى اتخذ فيه قرار بوجوب تخليص الباب :

قال [لما تم عقد اجتماع الأحباء فى (بدشت) شرعوا فى البحث ، وكانت مجالسهم منقسمة إلى طبقتين :

الطبقة الأولى : المجالس الخاصة وهى التى تعقد بكبراء الأصحاب وعظمائهم .

والطبقة الثانية : المجالس العامة ، وهى التى تعقد بمن سواهم . أما المجالس فكانت المذكرات التى تجرى بين خواص الأحباء وأكابرهم فيها تدور حول (تغيير الفروع ، وتجديد الشريعة) ، وبعد أن أقر الرأى العام على وجوب السعى فى تخليص حضرة الباب وإنقاذه ، قرر أيضاً إرسال المبلغين (أى الدعاة المبشرين) إلى النواحى والأكناف ، ليحثوا الأحباء على زيارة الحضرة (أى الباب) فى ماه كو (القلعة المعتقل فيها) مصطحبين معهم من يتسنى اصطحابه من ذوى قرباهم وودهم ، وأن يجعلوا مركز اجتماعهم ماه كو ، حتى إذا تم منهم العدد الكافى

طلبوا من محمد شاه الإفراج عن حضرة الباب ، فإذا ابى الشاه طلبهم فيها ولعمت ، وإلا أنقذوا الحضرة (أى الباب) بصارم القوة وحد الاقتدار[١] .

وحسبما ذكر عبد الحسين فإن المؤتمرين قد توصلوا إلى قرار بخصوص الهدف المعلن من بين الأهداف التى دعى إلى المؤتمر من أجلها .

غير أن هذه لم تكن أهم القضايا التى ينبغى على المؤتمرين بحثها ، وليست سوى مجرد ستار لدعوة الأحباب كى يجتمعوا لحل مشكلة أخطر وأعمق .

وهذه المشكلة العويصة المستعصية هى إعلان المؤتمرين عن نسخ الشريعة الإسلامية .

ومما ينبغى أن تلفت النظر إليه هو أن هذا الهدف الثانى لم يكن يخطر على بال المؤتمرين فيما عدا الصفوة والخاصة منهم الذين تولوا قيادة المؤتمر والدعوة له ، وهذا أمر يخلق لونا من الإعضال أمام الصفوة والخاصة حين يريدون البحث عن الطريقة التى يعلنون بها عن نسخ الشريعة الإسلامية ، وعن الشخص الذى سيتولى مباشرة الإعلان .

إن الإعلان عن نسخ الشريعة الإسلامية معناه : أنه قد يؤدى إلى تصدع الجماعة التى غرر بأفرادها والتبس الأمر عليهم ، وفى هذه الحال فإن من أعلن عن نسخ الشريعة سوف يكون فى نظرهم مرتد قد أهدر دمه .

وتلك معضلة قاسية تردد أمامها باب الباب حسين البشروئى ، ومحمد على البارفروش الملقب بالقدوس وغيرهما من القادة أو الصفوة .

وكاد المؤتمر أن ينفض دون أن يجرؤ أحد على إعلان كهذا لولا هذه المرأة التى عرفت بـ (زرين تاج) ـ الذهبية الشعر ـ والملقبة بالطاهرة والمشهورة بقرة العين .

---

(١) الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية ص ٢١٨ - ٢٢٣ .

إن هـذه المرأة كانت قبل ردتها تنتسب إلى أسرة متدينة تحفظ القرآن ووقفت على بعض تفسيره كما درست الأدب ومنحها الله ملكة الكتابة بالشعر .

هذه المرأة بما لها من صفات عرضت على الصفوة اقتراحا يخرجهم من أزمة التفكير فى شخص يعلن عن نسخ الشريعة .

إنها قالت : من المعروف أن النساء فى الإسلام إذا ارتدت الواحدة منهن فإنها لا تقبل ردتها[1] ، وإنما تستتاب ، وعليه فإنها قد اقترحت أن تقوم هى بالإعلان عن نسخ الشريعة الإسلامية فى حالة غياب كبار الأحباب ، فإذا صادف إعلانها استحسانا من المؤتمرين كان ذلك ما تهوى ويحبون ، وإلا فإنه على القدوس محمد على أن يباشر نصحها ويأمرها بالتوبة فتستجيب ويهدأ الجمع .

---

(١) قال ابن قدامة ، [فمن ارتد عن الإسلام من الرجال والنساء وهو بالغ عاقل دعى إليه ثلاثة أيام وضيق عليه فإن لم يتب قتل ، وعنه لا تجب استتابته بل تستحب ويجوز قتله فى الحال] .

ثم قال فى الحاشية : [قوله « فمن ارتد عن الإسلام إلخ » فى هـذه المسألة مسائل (الأولى) أنه لا فرق بين الرجال والنساء فى وجوب القتل روى ذلك عن أبى بكر وعمر وبه قال الحسن والزهرى والنخعى ومكحول وحماد ومالك والليث والشافعى وإسحاق . وروى عن على والحسن وقتادة أنها تسترق ولا تقتل لأن أبا بكر استرق نساء بنى حنيفة وذراريهم وأعطى عليا امرأة منهم فولدت له محمد بن الحنفية وهذا بمحضر من الصحابة فلم ينكر فكان إجماعاً . وقال أبو حنيفة : تجبر على الإسلام بالحبس والضرب ولا تقتل ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تقتلوا امرأة » لأنها لا تقتل بالكفر الأصلى فلا تقتل بالطارىء كالصبى ، ولنا قوله ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه »] المقنع لابن قدامة ــ جـ ٤ ص ٥٤ (مع حاشيته ــ والحاشية غير منسوبة لأحد ، ويبدو أن الناسخ وهو الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو الذى جمعها .

واستحسن الأصحاب منها هذا الاقتراح ، وتصادف أن أصيب حسين المازندراني بنوبة زكام وتمارض القدوس محمد علي فدعت زرين تاج أعضاء المؤتمر للاجتماع وألقت بينهم خطبة تعلن فيها عن نسخ الشريعة الإسلامية تناقلها رواة وكتاب ومؤرخو البابية .

قالت : [أيها الأحباب والأغيار اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب ، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا ، وأن أشغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل ، ولا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل ، إن مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لا يبقى إلا دين واحد ، وذلك الدين الحق هو دينه الجديد وشرعه الحديث الذي لم يصل إلينا إلى الآن منه إلا نزر يسير ، فبناء على ذلك أقول لكم لا أمر اليوم ولا تكليف ، ولا نهي ولا تعنيف ، وإننا نحن الآن في زمن الفترة ، فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة ، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بأن تشاركوهن بالأعمال وتقاسموهن بالأفعال ، وواصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة ، فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا ، وأن الزهرة لابد من قطفها وشمها لأنها خلقت للضم والشم ولا ينبغي أن يعد ولا يحد شاموها بالكيف والكم ، فالزهرة تجنى وتقطف ، وللأحباب تهدى وتتحف ، وأما ادخار المال عند أحدكم وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال فهو أصل كل وزر وأساس كل وبال ساووا فقيركم بغنيكم][1] .

والذي يتأمل هذه الخطبة أو هذا الإعلان عن نسخ الشريعة الإسلامية ، يتبين له من غير احتياج إلى إعمال فكر أنه بيان مربوط بالماضي من تاريخ الفرس مدفوع بالعاطفة والشهوة خاضع لتأثير اللذة والهوى .

---

(١) مفتاح باب الأبواب ـ محمد مهدي خان ـ ص ١٨٠ .

وقد لمست المتحدثة فهى إعلان الفسخ قضيتين تجمعهما مقولة واحدة .

أما القضيتان فهما : الاشتراك فى النساء والمال

والمقولة التى تجمعهما هى أن زرين تاج ومن وراءها يميلون إلى المذهب الشيوعى ويعتنقونه .

وليس الدافع بالطبع إلى القول بالشيوعية هو إيمان بفلسفة أو بفكرة بقدر ما هو خضوع إلى النزوة والهوى .

وتاريخ الطاهرة زرين تاج ، ورغبتها فى أن تكون لكل امرأة تسعة أزواج ، وتنقلها بين فرش الرجال الأجانب ، وتركها لبيت الزوجية ، وشعرها الذى ينضح بالسفور ، وهتكها الحجاب وثورتها على الأخلاق ، وحقدها على الشريعة والقيم دليل فى غاية القوة على أنها قد ذهبت إلى ما ذهبت إليه مدفوعة بالرغبة ، متأثرة بالمتعة الوقتية .

والقول مثل ذلك أو قريب منه فى محمد على البارفروش القدوس ، الذى ولد لغير أب شرعى ، فكان زنيا مهانا ، موسوما على الخرطوم بسمة الخزى والعار ، فرأى فى الرذيلة كرامته ، وفى العدوان على المجتمع رجولته ، وفى البابية فرصة لإضلال الناس بفكرة أنه هو المسيح عيسى بن مريم ، حيث حملت أمه به بعد أن نفخ فيها من روح الله ، وكيف يتأتى أن يصدقه الناس ، وأهل بارفروش ما يزالون أحياء شاهدين على جريمة أمه وعلى هذه الثمرة التى أثمرها لقاء آثم ؟!

لسنا نريد أن نستبطن التاريخ لنبحث عن الدوافع والنوازع وراء كل شخص من هؤلاء الأشخاص ، الذين قد انتظمتهم حروف حى ، فإن نقائصهم الشخصية فى التاريخ قد أصبحت ظاهرة ، وانعدامهم الخلقى والاجتماعى لم يعد يحتاج إلى دليل :

وآخر شىء ينبغى أن يدور بذهننا ، هو أن هؤلاء قرميون فى فلسفتهم محافظين على تراثه .

صحيح أنهم قد اصطنعوا مبدأ مزدك ومالوا إليه ميلا شديداً ظهر فى خطاب الطاهرة ، الذى نقلنا طرفا منه الآن ، ولكن هذا اللجوء إلى فلسفته ، وهذا الميل المتعمد لم يكن الدافع إليه اعتزازاً بتراث قومى ، وإنما لم يجد هؤلاء الفتية ما يبررون به مواقفهم ، ويفلسفون به حياتهم ، حياة اللهو والمجون والسلب والنهب ، واستباحة أعراض الآخرين وأموالهم سوى هذه الفلسفة .

على أن المتأمل فى فلسفة مزدك يجد أنها قد ظهرت كرد فعل لفساد اجتماعى ودينى قد عم البلاد والعباد فى فارس قبل أن تتشرف بالانتساب إلى الإسلام[1] .

أما الدافع وراء هؤلاء المارقين هو الاستجابة إلى الغرائز والخضوع إلى هوى الطامعين فى ثروة إيران وأرضها وشعبها .

تلك بعض الحقائق التى انطوى عليها خطاب قرة العين إلى المؤتمرين فى بدشت .

غير أن هذا الخطاب نفسه قد ترك انطباعات سيئة على المؤتمرين ، وأوقعهم حديث قرة العين فى هياج واضطراب ، إذ أن المؤتمرين فيما عدا الزعماء والقادة قد أدركوا أنهم مقبلون على عمل خطير يجعلهم فى جانب ، وجميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم فى جانب آخر .

فامن أحد من المسلمين الذين قد أعلنوا الانتساب إلى الإسلام سواء أخلصوا إلى مبادئه أو قصروا فى بعضها يمكن أن يتخلى بسهولة عن عقيدة ختم النبوة وعموم الرسالة ، ســــواء فى ذلك الشيعة وأهل السنة ، والمعتزلة والأشاعرة والأحناف والحنابلة . . . إلى غير ذلك من طوائف المسلمين ومذاهبهم سواء فى العقيدة أو فى التشريع أو فى تصور نظام الحكم إلى غير ذلك .

من أجل هذا وكثير غيره أدرك المؤتمرون فيما عدا الزعماء والقادة ، أنهم

---

(١) راجع فى المزدكية : تاريخ الطبرى ـ الكامل لابن الأثير ـ الشهرستانى . الملل والنحل ـ فجر الإسلام أحمد أمين .

سيكونون من المنبوذين حتى من ذويهم وأقربائهم ، وأنهم ستلاحقهم اللعنة لا محالة حتى من السماء التى تظلهم والأرض التى تقلهم ، فملأ أصواتهم بالضجيج والصخب ووقع الخلاف بينهم ، ورفعوا الخلاف إلى أكبرهم سنا المتمارض فى مكان بعيد « محمد على البارفروش » القدوس

وقد هدأ القدوس من روع الثائرين ، وطلب إمهاله فترة ريثما يبحث الأمر مع قرة العين ، وفى اجتماع عقد بينهما تباحثا فى الأمر مليا ، ثم اتفقا على عقد جلسة أخرى للمؤتمرين ، لإعادة مناقشة الموضوع من جديد ، وأخبرت قرة العين القدوس بأنها سوف تظهر عليه بحجتها فى هذه الجلسة ، وقد وقع ما تنبأت به وظهرت عليه بحجتها أمام المؤتمرين ، ولم يرتفع الخلاف ولم يحسم الموقف .

وهنا كان لابد أن تتدخل شخصية أخرى لحسم الموقف تكون أكثر ثقافة واطلاع وذكاء ، وهذه الشخصية هى شخصية البهاء حسين المازندرانى .

وهو وإن لم يكن من الطبقة الأولى بين أفراد المجتمعين ، إلا أنه قد استغل مكانته خلف الصف الأول ، وأخذ يحرك قرة العين بفكره ومبادئه .

وفى اللحظة المناسبة تدخل هو لحسم النزاع .

وقد ركزنا من قبل على قضية توارثها الفكر الشيعى منذ عبد الله بن سبأ اليهودى وهى قضية فصل اللفظ عن محتواه وقطع المصطلح عما يدل عليه من المعانى ، وقد عبروا عنها بأن القرآن الكريم له ظاهر غير مراد ، وباطن لايدركه إلا الأئمة والعطرة ـ على نحو ما أشرنا إليه قبل ذلك .

استغل الميرزا حسين المازندرانى هذه الفكرة الشيعية المتوارثة وتقدم القوم وتصدر المجلس ، وطلب المصحف فدفع إليه ، ففتحه على سورة الواقعة ، وشرحها شرحا ، قطع فيها الألفاظ عن محتواها والمصطلحات عن مدلولها ، وجزم الخطأ من خلال هذا الشرح بأن شريعة الإسلام منسوخة لا محالة بنص القرآن حين يأتى زمان نسخها وقد أتى بمقدم الباب ، فقل هياج الحاضرين ولكنهم قد اتفقوا

على أن يرفعوا الأمر كله إلى الباب لأخذ الرأى فيه .

وتبين لنا الآن بعد أن هدأت العاصفة قليلا أن ما ذكرته الطاهرة من خطبتها التى أعلنت فيها نسخ الشريعة الإسلامية ، قد وضع المتعة أمام العقل لحظات ، فبينما كان المؤتمرون يندفعون بالشهوة الجامحة ، والقادة منهم ينفذون أغراض دنيئة ، وأهداف لمستعمر يريد الأرض والمياه ، وقف الجميع يتأملون الموقف بشيء من الفكر والمنطق ، فهم وإن كانت لهم آراء وأغراض إلا أن هذه الآراء وتلك الأغراض سوف تعرض على الجماهير من الناس ، وهم يحتاجون ولو إلى قليل من الإقناع ، وبصيص من العقل والمنطق فى بداية الطريق على الأقل .

والمناقشة التى ستدور بين المؤتمرين سوف تكون حول هذا التساؤل : ماهى حقيقة الباب ؟ وما هى المهمة والوظيفة التى جاء من أجلها ؟ أهو نبى مرسل ؟ أم أنه سيتولى مهمة تجديد دين الأمة ؟ وإذا كان نبى مرسل فما هو الداعى لنبوته من المجتمع وفلسفة الحياة والوجود ؟

ويجيب على هذا الجانب من التساؤلات طرف من تسجيل وقائع الجلسات المختلفة الذى نقله المؤرخ البهائى عبد الحسين أوراه قال[1] :

[وبعد أن تم تقرير هذه الأمور ، وتقبلها وعرفها الجمهور . . . دار البحث حول الأحكام الفرعية (أى الصلاة والصوم والحج) من حيث التبديل وعدمه . وتبين بعد المذاكرات الطويلة التى دارت فى المجالس الخاصة بين أكابر الأحباء ، أن أكثرهم يعتقد بوجوب (النسخ) و (التجديد) ويرى أن من قوانين الحكمة الإلهية فى التشريع الدينى أن يكون الظهور اللاحق أعظم مرتبة وأعم دائرة من سابقه ، وأن يكون كل خلف أرقى وأكمل من سلفه فعلى هذا القياس يكون حضرة (الباب) أعظم مقاما وآثارا من جميع الأنبياء الذين خلوا من قبله ، وينبغى أن له (الخيار المطلق) فى تغيير الأحكام وتبديلها ، وذهب قلائل إلى عدم جواز

---

(١) راجع عبد الحسين أواره ـ الكواكب الدرية ـ ط. القاهرة سنة ١٩٠٤ م ص ٢١٨ وما بعدها .

(التصرف) فى الشريعة الإسلامية مستندين إلى أن حضرة الباب ليس إلا مروجاً لها ومصلحاً لأحكامها عما دخل عليها من البدعة والفساد ...... وكانت قرة العين من القسم الأول وهو المعظم ، لذا أصرت على وجود إفهام جميع الأحباء وإشعارهم بأن للقائم مقام المشرع حق التشريع ، وعلى وجوب الشروع فعلا فى إجراء بعض التغييرات كإفطار رمضان ونحوه .

وأما القدوس ، فإنه وإن كان على هذا الرأى ، إلا أنه كان متمسكا بالعادات الإسلامية فصعب عليه تركها .. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى خشى إحجام (الجماعة) عن الموافقة، ووقوع الخلاف والشقاق بينهم . ولكن الطاهرة كانت مصرة على رأيها ، وكثيراً ما كانت تقول : « إن هذا العمل سيبرز إلى ساحة الوجود لا محالة، وسيطرق هذا القول آذان العام والخاص، وإذن كلما أسرعنا فى الكشف عن هذه الغوامض كان أليق وأوفق وأنفع للأمر وللعمل الذى سنقوم به ، حتى ينفصل عنا كل ضعيف لا يحتمل التجديد ولا يبقى معنا إلا كل قوى مخاص يفدى بنفسه هذا السبيل القويم البديع][1] .

ومهما كان من أمر فإن المؤتمرين فى ماكو قد اتخذوا قرارا بالإجماع يقضى بالتجمع بعد التفرق من هـــذا المؤتمر فى ماكو لإنقاذ الحضرة (الباب) وهذا فيما يتعلق بأحد أهداف انعقاد المؤتمر .

أما الهدف الثانى ، وهو الإعلان عن نسخ الشريعة الإسلامية وإبطال العمل بمقتضى أحكامها فإن الرأى قد اجتمع على تحرر هذه المسألة وتصعد إلى الحضرة فى سجنه وإبداء الرأى .

والشىء الغريب أن إبداء رأى الباب فى هذه المسألة كشف عن جدية موقف القادة من حروف حى ، كما كشف عن إدانة مطلقة لهؤلاء الذين عارضوهم فى الرأى وذهبوا إلى عدم جدوى نسخ الشريعة أو إمكان هذا النسخ .

---

(١) راجع عبد الحسين أوراه ـ الكواكب الدرية ـ ط . القاهرة سنة ١٩٢٤م ص ٢١٨ وما بعدها .

ويلخص عبدالحسين أواره هذا الموقف الأخير المفصل بمؤتمر بدشت فيقول :

[وفى خاتمة المجلس تقرر تحرير هذه المسألة ورفعها إلى حضرة الباب فى ماكو ، والتماس إصدار الحكم الفاصل الجازم منه فيها ، وهذا ما قد كان ، وبما علم فيما بعد وتبين أن خواص الأحباء كانوا على حق وأن رأى حضرة بهاء الله كان متفقاً مع حكم حضرة الباب على (وجوب تغيير الشرعية) وأن القدوس وباب الباب والطاهرة كانوا أيضاً قائمين على سواء السبيل وجادة اليقين فى إدراكهم وفهمهم (أسرار الأمر).

« أما الذين ضاقت صدورهم ولم تتسع لقبول هذا التجديد العظيم فإنهم قاموا بتشويش الأفكار وإفساد الناس على زمرة الأحباء ، ونجم عن ذلك ما نجم من إغارة عصابة من المسلمين عليهم واعتدائهم بالضرب والسلب وطردهم من الجهة . فتفرق عند ذلك جمع الأحباء إلى ثلاث فرق : ففرقة سارت بركاب حضرة بهاء الله متجهة إلى طهران ، وأخرى ذهبت مع القدوس والطاهرة إلى مازندان ، وثالثة تحت لواء باب الباب والتحت أولا سمت مازندان ثم ولجت آخرا ناحية خراسان ولكن الجميع أجمع العزم وعقد النية على تنفيذ ما تقرر فى (مؤتمر بدشت) هذا من التجمع ولم الشعث فى ماكو ، والعمل على إنقاذ حضرة الباب »][1] .

بين الناسخ والمنسوخ :

فى مؤتمر بدشت وما انطوى عليه من أحداث ، وما تلاه من تصديق الباب على قراراته ، نهاية للمرحلة الأولى وإنجاز الهدف الأول من الأهداف التى وجدت البابية لكى تحققها على أرض الواقع العملى ، فقد أعلن عن نسخ الشريعة الإسلامية وصدق الباب على هذا الإعلان ، وهذا النسخ وإن كان نسخا إلى بدل إلا أن هذا البديل لم يكتمل نضجه بعد ، ثم تناثرت أجزاء منسوبة إلى الباب يمكن أن تكون بعد ذلك عناصر الشريعة الجديدة .

ولسنا من أنصار المقارنة بين الغث والثمين ، ولا بين النور والظلام ، ولا بين الحركة النابضة بالحياة والموت القابع تحت السكون المستسلم للعدم دون أى حراك أو محاولة حراك .

---

(١) المرجع السابق ص ، ٢٢٣ .

لسنا من أنصار هذه المحاولة لأن فيها اتهام القارىء ، واتهام لفكره ، واستقلاله بفهم البديهيات حين يريد الحكم على الأشياء .

غير أنه قد يغرينا بالمقارنة أحيانا قول مأثور خلاصته : أن الضد يظهر حسنه الضد ، فما أجمل اللون الأبيض حين يقارن بالسواد ، وما أجمل الصحة فى أعين الأصحاء حين يرون غيرهم فى حالة عجز كامل أو جزئى ، أضداد يظهر بعضها بعضا

ومن هذا المنطلق الأخير نريد أن نلقى الضوء على بعض جوانب خصائص الشريعة الإسلامية ، منتقلين بعدها بالقارىء من القمة إلى السفح الهابط ، ومن الثريا إلى الثرى ، ومن النور إلى الظلام ، ثم نتركه بعد ذلك محترمين عقله وفكره فى الحكم على الأشياء والتمييز بين هذا التناقض الصارخ بين مكانة الناسخ والمنسوخ .

إن الشريعة الإسلامية تتميز بخواص تشريعية أتاحت للمسلمين أن يتعايشوا بغير قلق أو ضجر فترة طويلة من الزمن لم ييأس ضعيف من عدلها ، ولم يطمع قوى فى ظلمها وجورها فهى تتسم بالعدالة والتوازن فى الأحكام .

ومن جهة أخرى فإنها تحترم فى الإنسان عقله ، فهى تدفعه إلى التفكير ، وتتعجب عن يعطل طاقات فكره ، ومقومات المنطق عنده « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

والعقل فى الإسلام قد حظى من النصوص والاهتمام بالقدر الذى لم يحظ به شىء غيره .

فالقضايا التشريعية مثلا مفهومة القصد ومفهومة الهدف ، فهى إذن معقولة ، وحتى ما يصطلح عليه العلماء بأن علته تعبدية ـ كقضايا الحج والتيمم مثلا ، فإن العقل لم يجد نفسه قلقا ، ذلك أن تبريره العلة التعبدية أمر يريحه ويتسق مع المبادىء المنطقية ، إذ أن العقل يقرر فى مثل القضايا التى علتها تعبدية أن الله عز وجل يريد من الإنسان أن لا يغتر بعقله ، ولا يعرفه هواه لكى يبحث لكل

قضية عن علة معقولة ، وإنما لابد له فى بعض القضايا أن يستشعر أنه عبد لله عز وجل ، قليل القيمة أمام أوامره ونواهيه .

وتلك الفكرة فى حد ذاتها من صنع العقل ، ومن تركيبه فلسنا نجازف حين نقول : إن الأمور التى علتها تعبدية هى الأخرى مفهومة العقل ، معقولة الإنسان .

والإسلام يعتبر العقل مدار التكليف ، فعليه بالدرجة الأولى تدور الأوامر والنواهى ولو فقد الإنسان عقله ، أو نقص بحيث لايستطيع أن يوازن بين الأمور ، أو يعقل البديهيات سقط عنه التكليف .

والإسلام يجبر الإنسان على احترام عقله ، ويعاقبه إذا هو فرط فيه أو عرضه التهلكة ، فالخمر ساتر العقل ومؤثر فيه ، ومانع من التفكير السليم ولو لبعض الوقت ولذا ، فقد وجدنا الإسلام يحرم الخمر لضرره بالعقل بالدرجة الأولى ، ويحد شارب الخمر لأنه يعرض عقله وتفكيره للخطر .

الإسلام إذن يحترم فى الإنسان عقله يحترمه بالحفاظ عليه ويحترمه حين يجعله مناط التكليف ، ويحترمه حين يدفعه إلى ممارسة وظيفته بالبحث والنظر ، وأيضا هو يحترمه حين لا يلقى عليه فى التشريع أو العقيدة بأمور متناقضة أو غامضة .

وليس العقل وحده هو موضع الاهتمام من الإسلام ، وإنما الإنسان أيضا فيه قوة غير العقل تدفعه وتوجهه ، وتحتاج إلى العناية والرعاية إنها قوة الغرائز والعواطف .

والإسلام كما اهتم بالعقل اهتم كذلك بالغرائز والعواطف الإنسانية .

فهو يهتم بها حين يهذب منها بالقانون الذى اقتنع العقل ببواعثه وأهدافه وعلله وغاياته ، وحين تهذب العاطفة أو الغريزة فإن تهذيبها ارتقاء بها من السفح الهابط إلى القمة السامقة .

والإسلام يحترم الغريزة من جهة أخرى ، حيث إنه لم يحاول قتلها أو الضغط عليها .

فهو وإن كان قد حاول أن يهذبها بمجموعة القوانين والنظم، إلا أنه قد راعاها حق رعايتها حين أطلقها لكى تمارس وظيفتها بشرط أن لا توقع ضررا على أفراد أو جماعات، أو تعود بألم أو نقيصة على صاحبها بحيث تنتقص من ذاته، أو تحد من كرامته كإنسان خلقه الله ليكون مكرما « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا ».

ويتضح هذا التوازن السديد بين العاطفة الفردية، ومكانة الإنسان، أو بين هذه العاطفة، والوسط الذى يعيش الإنسان فيه إذا نحن تأملنا التصرفات التى أباحها الله للغريزة الإنسانية، والأخرى التى حظرت الشريعة على الغريزة أن تعمل فى إطارها.

وعلى سبيل المثال: فإن الإسلام يراعى فى الإنسان غريزة حب التملك، فشرع به البيع لتنمية الغريزة، ولكن قد حرم عليه الربا « وأحل الله البيع وحرم الربا »، والفرق بينهما ظاهر جلى.

والعاطفة الجنسية غريزة أباح الله عز وجل إشباعها بالزواج، ولكنه فى نفس الوقت قد حرم ما عداه من سائر الوسائل.. وقل ومثل ذلك فى سائر الغرائز الإنسانية، والعواطف التى لا يخلو عنها كل إنسان.

ولو أننا تأملنا الخصائص التشريعية فى الإسلام لوجدنا أنها كثيرة تخرج بنا عن إطار هذا البحث، ولكننا نحيل على بعض المراجع فى الحاشية [1] لمن أراد المزيد.

غير أنه ينبغى أن نضيف هنا، أنه إذا كانت الشريعة قد امتازت بما تمتاز به من خواص وميزات، فإن أخص ما تمتاز به العقيدة أنها واضحة وضوحا يريح

---

(١) راجع الأخلاق فى إطار النظرة التطورية - ج ٢ المؤلف ودستور الأخلاق فى القرآن - محمد عبد الله دراز.

الإنسان حين يتساءل عن أصله ومآله وحين تتقلب به الانفعالات والأحوال في حياته، وحين يتساءل عن مصيره بعد الموت، إنه في كل ذلك لاجىء إلى قوة واضحة لديه مطمئن إليها واثق بها، فهو لذلك سعيد غاية السعادة يعيش حياته مطمئن بغير عقد نفسية (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

ومن أجل هذا التوازن الذى تحدثه الشريعة، وهذه السعادة الناتجة عن العقيدة كان حقد الغرب على المسلمين الذى نتج عنه المكايد والتخطيطات التى تستهدف النيل من الإسلام والمسلمين .

إن الغرب حريص دائما على الاحتفاظ بالأرض لاستثمارها والسيطرة على خيراتها، وهو حريص دائما على السيطرة على الأفراد لتسخيرهم والانتفاع بهم فى زيادة ثرواته وممتلكاته، ولكن هذا العالم الإسلامى قد امتنع على المستعمر وأفض مضجعه .

ومن حقنا أن نتساءل لنقف على الحقيقة عن سر قوة المسلمين التى أرهبت المستعمر : يجيبنا « كاردار » على هذا التساؤل فيقول :

(إن القوة التى تكمن فى الإسلام هى التى تخيف أوربا)[1] .

ويشرح « لورانس براون » ذلك المعنى بقوله :

(. . . ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام وفى قوته على التوسع والإخضاع، وفى حيويته إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى)[2] .

أما « وليم جيفورد بالكراف » فيدلنا على مصدر هذه القوة العظيمة،

(١) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية . الدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى الخالدى ص ٣١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٧ .

ومنبع هذه الطاقة الزاهرة فيقول :

(متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه [1]) [2] .

ونهاية المطاف أن هؤلاء الكاتبين إنما يعبرون عن اهتمام العالم غير الإسلامى على اختلاف ملله ونحله بالإسلام والمسلمين ، ولكن هذا الاهتمام ليس دافعه الأخوة الإنسانية ، أو العرفان بالجميل ، وإنما دافعه فى الحقيقة الإصرار الشديد على النيل من الإسلام والمسلمين .

والذى يستبطن الأمور يجد أن الهدف والغاية لا تتركز فى محاولة الانتصار على المسلمين والإسلام وإنما الهدف هو القضاء على المسلمين وعلى الإسلام (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

ونترك هذا المجال الرحب آملين أن يغنى المقال عن المقال والإشارة عن طول العبارة إلى مجال آخر هو الطرف الثانى فى إبراز الحقيقة ، وهو الذى ادعته البابية الشريعة الجديدة التى تحل محل الإسلام الذى أعلنت قرة العين (زرين تاج) عن نسخه وتوقف العمل بمقتضاه .

خصائص الناسخ :

سوف نحرص غاية الحرص بمشيئة الله تعالى على أن لا يشدنا الحديث إلى التفاصيل والجزئيات فى شريعة الباب أو عقيدته ، ذلك أن هذه العقيدة وتلك

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى - ا . ل شاتيليه ص ٤٤ .

(٢) حقيقة البابية والبهائية د/ محسن عبد الحميد ص ١٤ ، ١٥ .

الشريعة يمكن أن يدركها كل إنسان إذا هو أخذ كل طرف مضاد لجزئيات وتفاصيل العقيدة الإسلامية والشريعة التي جاء بها سيد المرسلين ﷺ ومن ناحية أخرى فإن الاسترسال في الأمثلة والشواهد التي جاء بها الباب يمكن أن تؤدى إلى ملل القارىء والكاتب معا ذلك أنها أمثلة لا يربطها جامع سوى الجامع العام وهو النيل من المجتمع الإسلامي لكي تسهل السيطرة عليه من قبل المستعمر وأعداء الأمة الإسلامية .

وأفضل من محاولة شرح نحلة غير مفهومة أو استرسال في أمثلة لا رابط بينها ولا جامع أن نحاول الإشارة إلى خصائص هذه النحلة وأهم ما تتميز به .

وخصائص هذه النحلة كثيرة ومتعددة منها أنها نحلة لا تهتم بالجانب العقلي في الإنسان وهو محور الخطاب وأساس التكليف ، ومن أجل ذلك فإن مؤسس البابية يعمد إلى محاربة العقل في تكوينه والشعور بذاته ، فهو يحرم عليه كل معرفة مكتسبة ويمنعه من مطالعة أي كتاب سوى كتب الباب التي تفتقر إلى أسلوب الأداء اللغوى ، كما تفتقر إلى إثارة الخيال والتصوير الفنى ، وبعد ذلك وقبله هي تفتقر إلى الاتساق المنطقى في أية موضوع من الموضوعات التي تعالجها .

على أن شريعة البابية على خلاف من الشرائع السماوية في نقطة البداية والمحور والأساس .

إن المحور والأساس في أى ديانة هو العقيدة التي ينبثق منها كل تشريع ويتأسس عليها كل نظام ، ولذلك فإن الديانات المحترمة في العالم تهتم بأن يكون محورها متفقا مع المنطق منسجما مع العقل احتراما لهذه الجوهرة في الإنسان وحصولا على أفضل النتائج التي تؤثر على الفرد وعلى الجماعة جميعا .

أما الشيرازى على محمد فإنه قد فاجأ أتباعه في نهاية أمره بأنه إله متصرف في الكون .

والعقل البشرى لا يستطيع أن يجمع صفات الكمال الإلهية على من جمع له صفات النقص والعوز ، ذلك أن الخاصة والدهماء جميعا يرون فى ذلك دربا من التناقض الصارخ .

وهو يدعى أن آدم ليس أول البشر ، وإنما سبقه أوادم آخرون فى جانب الماضى إلى ما لا نهاية .

والعقل البشرى لا يتحمل أن يضرب بفكره فى الماضى السحيق بغير نهاية ، ويرى فى ذلك إهدارا له ولوظيفته فى التفكير والتعقل، هذا بالإضافة إلى أن هذا الحكم لا يستند إلى منهج من المناهج فمثله مثل دعوى الفلاسفة غير المؤلهين وهم قلة من البشر لم يحظوا من التاريخ بنظرة احترام أو تقدير .

وما دام الشيرازى قد رأى ـ أو رئى له على أصح الأقوال ـ أن العالم قديم قدم لا أول له فإنه لهذه الفكرة يقول إنه لا نهاية لهذا العالم .

وكان على الشيرازى أن يحل معضلة الجزاء الخلقى التى تجد حلا مريحا لها عند القائلين بالبعث والجزاء ، وإذا كان هو قد أنكر اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب كما يعقله المتدينون ، فإنه لن يستطيع أن يبرر عمل الفضيلة ومباشرة الأعمال الخيرة والدفع إليها ، والتحذير من الرذيلة والانغماس فيها .

وليس المتدينون وحدهم هم الذين يعقلون الربط بين الأخلاق والقول بالجزاء الأخروى ، وإنما هناك جمهور كبير من العقلاء يستريحون إلى هذا الربط ، ولا يجدون أنفسهم يستريحون إلى غـــيره من الحلول التى قدمها أصحاب العقول الشاردة .

ويبدو أن الشيرازى قد شعر بحرجه فى هذه القضية فلجأ إلى الحل الساذج القديم الذى يرى أن فكرة الثواب والعقاب (الجزاء الخلقى) يمكن أن ترادف السعادة والألم بمعناها الفردى الوجدانى .

فالذى يباشر الفضيلة ويعملها يجد من نفسه راحة وجدانية وتلك هى جنته والذى يقارن الإثم ويجافى الفضيلة ليس له من جزاء سوى ذلك الشعور الداخلى بالألم والندم على ما باشر أو اقترف .

على أن تحمس الباب الشيرازى لشرح فكرتى الفضيلة والرذيلة ليس كبير والتقنين لهما لم يشغل فكره أو جهده ، وإنما الجنة والنار عنده أيا كان المعنى المراد منهما فإنما قد وجدا فقط لكل من ينسجم مع شريعة الباب أو يجافيها .

ولست أظن أن فى هذه التعاليم أو بعضها ما يشير إلى احترام العقل فى أى جزئية من أجزاء الديانة وهى العقيدة .

والأمر فى الشريعة التى ينبغى أن تكون مؤسسة على عقيدة راسخة ثابتة ليس بأقل استهتاراً بالعقل ، ولا مجافاة بالتفكير .

فأمور الشريعة عنده فى الغالب غير مفهومة .

فهو فى الصلاة ومقدماتها يركز غاية التركيز على الطهارة خاصة الوضوء ، وبغير تعليق على مادة الطهارة وكيفيتها ، فإننا نجد هذه الطهارة نفسها بلا هدف ولا مغزى .

فالوضوء فى شريعة الإسلام شرط صحة الصلاة ، ولكنه فى شريعة الباب أمر غير مفهوم ، إذ أنه على الجملة يمكن القول بأنه لا صلاة عند البابيين ، وإذا كانت عندهم صلاة فما كيفيتها وما عددها وما شروطها وما أركانها ؟ إن الشريعة البابية صامتة عن هذا كله .

والشىء الغريب أن الباب قد ابتكر نظاما للأذان غير ما هو موجود فى الشريعة الإسلامية .

والأذان من حيث حقيقته إعلام بدخول وقت الصلاة ، وإذا كانت الصلاة عندهم أمر غير مفهوم الحقيقة أو الماهية ، ولا مفهوم الزمن والشروط والأركان ، فماذا عسى أن يكون الأذان عندهم ؟ إنه أمر غير مفهوم .

وإذا تركنا الصلاة إلى الزكاة لوجدنا أن شريعة الباب تأمر بإخراج الخمس لكن لا على سبيل القهر والجبر وإنما هو أمر اختيارى لا يجوز أن يجبر الفرد عليه لا من السلطة الزمنية ولا حتى بالتوجيه الروحى .

ومن حق الرجل العادى أن يتساءل ، لماذا أتنازل عن جزء من مالى من غير أن تكون السلطة الدينية مرغبة فيه أو دافعة إليه ؟ ! ومن حقه أيضاً أن يتساءل عن الفائدة التى يمكن أن تعود عليه إذا هو تنازل عن جزء من ماله لغيره من البشر .

إذا كان الجواب هو ذلك الشعور الداخلى بالارتياح الذى يمكن أن يستمتع به الفرد حين ينتصر على إرادته ، فإننا نقول : إن معظم الخلائق يحصلون على متعة أكبر حين يحتفظون بالمال عندهم ويرون ثروتهم فى ازدياد .

فإذا كان الانتصار على الإرادة يرضى الضمير الإنسانى ، ويمتع صاحبه فإن الاحتفاظ بالمال كاملا غير منقوص يرضى عاطفة حب التملك ويمتع صاحبها .

وما دام الثواب والجزاء هو المتعة الداخلية ، فلكل أن يستمتع بالطريقة التى يراها .

وتظهر خاصية هذه النحلة فى عدم احترام هذا العقل بوضوح فى مسائل الصوم والحج يساوى درجة وضوحها فى الزكاة والصلاة إن لم يزد .

وإذا ما انتقلنا إلى خاصية أخرى من خواص هذه الشريعة ، فإننا نجد أول ما يفاجئنا من هذه الخواص المتعددة أن هذه النحلة فى جانبها التشريعى لا تأخذ فى اعتبارها الانسجام بين الشريعة والأفراد المكلفين بها .

فالشرائع المحترمة تنطلق من قاعدة التناسب بين إمكانيات الفرد المخاطب بالتشريع والأوامر والنواهى التى يكلفوا بها .

غير أن شريعة الباب قصد من ورائها أن لا يرتقى إلى هذا المستوى ، إذ أنها نحلة قد وضعت لقصد التخريب والتضليل .

والشواهد على عدم الانسجام بين الأوامر والمأمورين ، أو بين التكليف والمكلف كثيرة ومتعددة .

فمثلا : فى تشريعهم للأحوال الشخصية ، فإن من مات عنها زوجها كبيرة كانت أو صغيرة وعلى اختلاف ظروفها وأحوالها يجب عليها أن تتزوج بعد خمسة وتسعين يوما من غير أن يقبل منها عذر أو تبرير ، وإن لم تفعل تغرم خمسة وتسعين مثقالا من الذهب تدفع للمجلس الأعلى البابى ، باعتبارها كفارة تأخير .

أما الرجل الذى تموت زوجته فيجب عليه أن يتزوج بعد تسعين يوما ، وإلا غرم تسعين مثقالا من الذهب تدفع لنفس الجهة من غير أن يقبل منه عذر ، أو يستجاب فيه لشفاعة الشافعين .

وإذا بلغت البنت الحادية عشرة من عمرها وجب تزوجها فورا من غير مراعاة لزمان أو مكان ، ومن غير احترام لنضج الأعضاء الأنثوية أو عدم نضجها .

والمتصفح لشريعة الباب لايحتاج إلى طول التأمل لكى يدرك أن هذه شريعة لا تهتم بالتناسب بين المكلف والتكليف .

ومن خصائص هذه الشريعة أيضاً أنها قصيرة النفس فى التشريع لا تصل فى الغالب بكل أمر إلى غايته من حيث قواعده التى تضغط جزئياته وتجمع شتاته .

ويكفينا مثال على ذلك كلامهم فى المواريث وتوزيع الثروة التى تركها الفقيد للأحياء من بعده .

ولسنا بحاجة إلى التذكير أن نظام المواريث فى الإسلام قد أخذ فى اعتباره الأسس والقواعد التى تخلق جواً من الانسجام والتوازن الاجتماعى والاقتصادى والنفسى على السواء ، الأمر الذى أدهش الدنيا ، وأخذ على علماء التشريع فكرهم وعقولهم .

أما الشيرازى فقد غير هذا النظام ونسخه بين أتباعه ، ووضع بدلا منه نظاما ارتضاه وارتضاه أتباعه ، فجعل باقى التركة بعد مصاريف وتكاليف الجنازة والدفن من ستين جزءا تخرج منه الأجزاء بكل وارث حسب استحقاقه فردا .

يقول هوارت [إن التركة توزع عند البابيين بعد تكاليف الدفن على الوجه

الآتى : ٩/٦٠ للأولاد و ٨/٦٠ للزوج و ٧/٦٠ للوالد ، و ٦/٦٠ للأم ، و ٥/٦٠ للأخ و ٤/٦٠ الأخت ، و ٣/٦٠ للمعلم ، ولا حق فى الميراث لغير هؤلاء ولهم أن ينيبوا غيرهم] .

وعلقت اللجنة بقولها :

[يظهر أن توزيع التركة على هذا الوجه ناقص لأن مجموع الموزع من التركة ليس واحداً صحيحاً][1] .

وعلى الجملة فإن الشريعة البابية لم تهتم بمعالجة قضايا الإنسان فى جميع مناحيها فضلا عن النقص فى النواحى هو لجت ، لجوانب المعاملات ، وقواعد الاقتصاد على العموم ليس لها فى شريعة الباب نصيب ، ونظام الأخلاق ، وضبط سلوك الإنسان الخلقى لم يقو الباب على مناقشة قضاياه[2] .

فأين الناسخ من المنسوخ ؟!

وقفة قبل الاستقرار :

إن الكاتبين فى البابية عقيدة وشريعة تأخذهم الحماسة غالبا فيحكمون على هذه الشريعة بأحكام تطابق بعض جزئياتها أو كلها ، إلا أنها لا تطابق الهدف العام منها ، فلدينا من المراجع الكثير ، ومن المؤلفات والكتب التى يرى أصحابها أن الشريعة البابية وكذا العقيدة بين ثناياها أسباب ردها ، وأن من وضعهما قد أخطأ فى وضعه لهذه النحلة بما لها من عقيدة وشريعة ، ذلك أنه لم يحسن اللغة ولم يحسن الأداء ، وأنه لم يراع فى شريعته كذا أو كيت .

ونحن نوافق على المقولة الأولى وهى أن فى الشريعة البابية من النقص ما يردها ومن المثالب والسخف ما يؤدى إلى ازدراء الناس لها وعدم احترامهم لمبادئها .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، مقال هيوارث ص ٣٠٢٣ .

(٢) راجع المقال الثالث من البابية ـ ظهير

ولكننا لا نوافق على أن هذه النقائص والمسالب قد وقفت دون إدراك من واضعيها ، أو سبقت إلى أذهانهم من غير وعى أو شعور بها ، ذلك أننا نأخذ فى اعتبارنا أمرين فى الحكم على الأشياء هما : الهـــدف ، والوسيلة لتحقيق هذا الهدف .

وإذا أخذنا فى اعتبارنا هذين الأمرين نجد أن بينهما اتفاق وانسجام فيما يتعلق بالهدف من الديانة البابية ، ووسيلة الوصول إلى هذا الهدف .

ولقد سبق أن المستعمرين وأعداء الإسلام قد أزعجهم من الشريعة الإسلامية أنها معقولة متوازنة تلائم بين الفرد والتشريع وبين الجماعات والقانون ، وأنها كافية لا تترك ثغرة بغير معالجة ، ولا جزئية بغير قانون ، وهى بهذه الخصائص وغيرها قد خلقت مجتمعا بريئاً من العقد متأبى عن الاضطراب ، نزيه عن النقيصة فى الأخلاق والأداء ، وهم يريدون من أجل ذلك وغيره أن يحصلوا على مفتر كذاب هنا أو هناك يخلخل هذه العلاقات أو تلك ، ويفصم عرى الروابط بين أفراد الأمة ، ويقطعهم عن كل فضيلة ، ويفصل بينهم وبين الدوافع إلى الخير والعمل من أجله ، ويوقع بينهم الاضطراب ويدفعهم نحو الجهل والمرض والعوز.

ولا يكون ذلك إلا بعقيدة غير معقولة وبشريعة لا تؤدى إلى رفعة المجتمع ، ولا إلى الحفاظ عليه من الاضطراب ، ولا لصيانته من النقائص .

وهذا ما كان بالفعل فى ديانة الباب .

إنها من حيث البواعث والغايات ، ومن حيث الأسلوب والهدف ، وضعت وضعا يتناسب مع الخطة التى وضعها أعداء الإسلام قبل أن يوجد الباب أو البابية.

غير أنها فى مرحلة التطبيق قد كشفت عن بعض الأخطاء التطبيقية التى أدت إلى انصراف الناس عنها ، والتى يمكن للمستعمرين وأعداء الإسلام العمل على تلافيها فى المرحلة القادمة .

البهائية ومحاولة الإنقاذ

تلك هي الحلقة الأخيرة في الخطة الاستعمارية التي تستهدف الإسلام والمسلمين والتي خطط لها بعناية ودقة بعد هلاك الباب وأثناء حياته .

ولقد رأى المستعمرون على اختلاف أشكالهم أنه من الممكن بعد هلاك الباب أن تختلف طائفته من بعده حول زعامات متعددة بحيث يأكل بعضهم بعضاً ويندفع أدنى احتمال لتوحيد بعض طوائف المسلمين حتى ولو كانت وحدتهم على الشر .

وتخير المستعمرون من بين هذه الطوائف المتنازعة طائفة يدعمونها مباشرة ويدفعونها إلى ما يريدون بغير موازنة ، وهذه الطائفة هي تلك التي تلتف حول الميرزا حسين على المازندراني الذي أعدته الدولة الروسية لتولى هذه المهمة الجديدة بعد أن استنفد الباب كل طاقاته وما يستطيع أن يقدمه .

مع مؤسس هذه الطائفة :

وعرفت الطائفة الجديدة باسم « البهائية »

ومؤسسها « الميرزا حسين على البهاء » .

ولقد ولد البهاء في مازندران أو في طهران على رأى آخر مع نهاية عام ١٨١٧ م بين الفجر والشروق .

وكان أبوه هو « الميرزا عباس بزرك النورى » يعمل موظفا بوزارة المالية .
وأمه « خانم جانيه » كانت هي أول الزوجات لأب مزواج ارتفع عدد زوجاته فيما بعد إلى تسع زوجات على رأى وأربع زوجات على رأى آخر .

والميرزا حسين هو ثالث خمسة عشر من الأبناء من بينهم عشر ذكور وخمسة من الإناث .

وقد اشتهرت هـذه الأسرة بولائها الشديد للسفارة الروسية وعلاقتها الطيبة بالروس .

فلقد كان أخوه الأكبر يعمل كاتباً فى السفارة الروسية ، وكانت له عنـــدهم حظوة ، وعاش فى بحبوحة ورغد من العيش فى ظل الاقتدار الروسى .

أما زوج أخته « الميرزا مجيد » فإنه كان يعمل سكرتيراً للوزير الروسى المقيم بالسفارة .

كما كان « أغا خان » الصدر الأعظم للدولة الإيرانية آنذاك والمعروف بخيانته لوطنه ، وعمالته للروس صديقاً لهذه الأسرة ، وكثير التودد لها والحرص عليها .

وهذه العلاقات مع الدولة الروسية كان لها أكبر الأثر فى تخطيط مستقبل حياة بعض أفراد هـذه الأسرة مثل يحيى الملقب بصبح أزل ، والميرزا حسين موضع الدراسة والمعروف فيما بعد بالبهاء .

علمه وثقافته :

ولقد سجل التاريخ السبت للميرزا حسين نجابة عالية وذكاء فذ .

وبهذه النجابة وهذا الذكاء توجه الميرزا حسين منذ طفولته الأولى إلى علوم الصوفية ومعارف الشيعة . ومأثورات المتكلمين ، وبقايا الفلسفة القديمة خاصة الفكر السوفسطائى بنهم شديد وبإخلاص منقطع النظير . والمتأمل فى نوعية الثقافة هذه يجد أن لها دلالة خاصة حيث أن جلها يتوجه بعقلية التمرس عليها وجهة محددة لأداء وظيفة معينة .

وعلى أية حال ، فإن الميرزا قد أظهر براعة عالية فى تلك العلوم ، وهو ما يزال دون العشرين ، فهو قد اشتهر منذ الرابعة عشر من عمره بالقدرة على الحديث والخوض فى علوم الشيعة والمتكلمين ، ونقل الروايات الشيعية وفهم الأسلوب الصوفى .

ثم بعد ذلك كان يحضر مجالس العلماء ويحاول ويناقش مستفيداً فيما يعرضه

من معلومات بعلوم الشيعة وغيرهم عن درس علومهم وآرائهم ، ومستفيداً فى أسلوب درجه للمعلومات بطرائق الفلسفة وأساليب السوفسطائيين .

على أن هذه الثقافات كلها كان لها أثر شديد ولاشك فى كتبه التى كتبها فيما بعد وفى أحاديثه ومجادلاته .

إنكاره الاطلاع والقراءة والوقوف على معارف عصره :

غير أن القضية الهامة التى تمر على الباحثين مرورا سريعا ، أو يمر عليها الباحثون بغير تعليق كاف هى قضية إنكار الميرزا لوقوفه على أى نوع من معارف عصره ، وإنكاره الاطلاع على ما كتبه المتقدمون الأوائل أوالمعاصرون من أبناء جيله وآبائه الأقربين .

وهذا الإنكار المتعمد قد ورد كثيرا على لسان الميرزا يؤكده تارة بالقسم المغلظ ، وأخرى يمره مر الكرام ، ولكنه على أى حال من الأحوال لايستطيع تبرئة نفسه بسهولة فثقافته منتشرة بين أبناء نوعه من معاصريه ، وقد انطوت عليها كتبه ومؤلفاته ، واعترف بها هو نفسه ضمنا أو صراحة فى بعض مؤلفاته .

غير أننا هنا لا نريد أن نتوقف عند حدود بيان كذبه فى هذه المقولة ، فلقد كفانا هذا الجهد بعض الكتاب المعاصرين فيما نشروه عن البهائية [1] .

ومن حق الباحث أن يعجب من هذا الموقف الذى وقفه الميرزا حسين على ، ذلك أنه ليس من الفخار أن يدعى المرء أنه لم يقرأ آثار بنى نوعه ولم يقف على معارفهم ، فلما يفخر الميرزا بهذا الموقف ؟.

---

(١) كتب الأستاذ إحسان إلهى ظهير فصلا فى بداية كتابه عن البهائية ناقش فيه هذه القضية مع قضايا أخرى هامة يحتاج القارىء إليها .

قد يرى بعض الباحثين فيما يرون تعليلا لهذا الموقف أنه رجل متكبر مغرور اعتز بما عنده من حصيلة القراءات المختلفة وانبه لنفسه متكبراً على ثقافات الآخرين[1] .

ونحن نوافق على هذا الافتراض ونعتبره قابلا للصدق خصوصا وأن نفسية الميرزا حسين على البهاء نفسية معتلة مريضة بطائفة من الأمراض المختلفة التى تعتور النفس أو تتجمع عليها .

ولكننا لا نوافق على أن هذا هو السبب الوحيد أو الجوهرى وراء هذه الافتراءات .

إنه يبدو لنا سبباً ضئيلا واهيا حين نتحقق من الهدف الحقيقى الذى يرمى إليه الميرزا وأتباعه والمخططين له .

إن الميرزا قد أراده المستعمرون وخونة الإسلام قذيفة محددة الهدف تصوب إلى جزء حساس فى جدار الإسلام وحصنه المنيع .

ومع هذا الهدف الضخم لا يمكن تعليل الأحداث بأمراض جزئية تعتور فرد أو تتجمع عليه ، وإنما ينبغى أن تعلل الأحداث بعلل وأسباب تكافىء الغايات والأهداف ، وتنسجم انسجاما كافيا مع البواعث والدوافع .

إن أعداء الإسلام قد أرادوا الميرزا أولا أن يحارب الإسلام والمسلمين فى جزء هام من عقيدتهم وهى عقيدة ختم النبوة ، حيث انطبع فؤاد كل مسلم وعقله على أن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، فهو العاقب لانبي بعده ، وهو المخاطب بقوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .

وهذه العقيدة الخاصة أثرت ولحد كبير فى نفوس عامة المسلمين وخاصتهم ، فأحدثت بينهم وحدة فكرية منقطعة النظير .

---

(١) انظر المرجع السابق .

والنيل من هذه الوحدة الفكرية والوجدانية لابد من دفع أحد العملاء ليدعى أنه نبي .

وناموس الأنبياء العام وخاصيتهم الذاتية التى تنضم إلى كثير من الخواص الأخرى فتميز النبي عن غيره من البشر هي أن النبي لم يطلع على معارف عصره ولم يتحدث بها ، ولم يقع تحت تأثيرها ، ولم يتفوه بمقتضى مصطلحاتها الخاصة بها ولم تحكمه مفاهيمها وحدودها ، فهو بعيد عن كل ذلك غاية البعد .

ذلك أن النبي حين يتلقى عن ربه إنما يتلقى عنه ما يريد الله أن يبلغه للناس فهو لا يبلغ إلا ما أمر به « ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .

والأنبياء لا يفعلون إلا ما يؤمرون به ، فإذا أمروا بشيء فعلوه على وجهه الأكمل كما يريد الله منهم .

والأنبياء لا يقولون أو يفعلون صادرين فى قولهم أو فعلهم عن هوى شخصى أو ميل ذاتى « ولو تقول علينا بعض الأقاويل ٭ لأخذنا منه باليمين ٭ ثم لقطعنا منه الوتين » ، وقبل أن ينزل الوحى علينا يكون فارغ الذهن خالى الوجدان لا يدرى عنه شيئاً .

وعلى الجملة فإن الرسول أى رسول لا يصدر فى قوله وفعله إلا عن مشيئة الله تعالى « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » .

يتبين من هذا وكثير غيره أن النبي أى نبي من خواصه الذاتية أنه لا يطلع على علوم عصره ، وأنه لا يقول أو يفعل محكوما بثقافة سائدة أو معرفة مؤثرة ، أو هوى مسيطر ، أو رغبة شخصية .

يعلم هذا كله أعداء الإسلام الذين يدرسون كل صغيرة وكبيرة فيه ، لا بقصد اعتناقه للنجاة ، أو خدمته باعتباره آخر الأديان والمهيمن عليها ، وإنما

بقصد الدس له والنيل منه[1] .

وإذا كان الميرزا قد قدر له في خطة المستعمر العامة أن يدعى أنه نبي فإنه من المناسب له أن يحتاط غاية الاحتياط فيدعى لنفسه - ما أمكن ما يراه المسلمون خاصية أو خواص النبوة الذاتية .

ومن هذا المنطلق وحده دون سواه - على ما نرى - ادعى الميرزا أنه لم يطلع على علوم عصره ، ولم يقرأ علوم الأوائل ، ولم يقف على معارف العالمكين من البشر أو المعاصرين من بني نوعه .

ولا مانع هناك أن ينضم إلى هذا السبب الجوهرى أسباب أخرى يكون الحافز إليها مرض من أمراض القلوب أو علة من علل النفس التي لا حظ لها من الدنيا إلا المرض ، ولا من الآخرة إلا الهوان .

والشيء الغريب أن حركة التاريخ المستمرة لم تؤثر في عقلية الميرزا أو المخططين له ، فإن التاريخ شاهد حق على أن كل مدعي للنبوة مهما بالغ في الحيطة والحذر ، فإنه يترك صرخة عالية في واد مزدحم بالآذان الصاغية توضح كذبه وخياناته وافتراءه على الله والناس ولكنهم قوم لا يفقهون .

دخوله في البابية :

عاش الميرزا حسين يبحث عن مجد زائف يرضى به غرورا أرعن ، ومكانة اجتماعية أحس أنه قد فقدها بإهمال المجتمع له .

والنفوس المريضة تخطىء الوسيلة إلى الأهداف العظيمة أحيانا ، وقد تخطىء الوسيلة والهدف نحو مجد أو مكانة يبغيها أصحاب تلك النفوس .

---

(١) انظر في خواص الأنبياء مجموعة محاضرات أبي الحسن الندوي المنشورة تحت عنوان النبوة والأنبياء في ضوء القرآن .

والميرزا حسين على لم يدخل فى البابية مخلصا لها أو مقتنعا بها ، ولم يتابع زعيمها وإمامها ولاء له أو حبا فيه ، وإنما تبعه لأهداف كثيرة أهمها : البحث عن المجد الزائف ، والمكانة الممتازة التى تخيلها ، أو خيلت له .

فدخل إلى البابية منذ أوائل إعلانها .

ولكن المفاجأة الغريبة التى لم يكن يتوقعها أنه لم يكن بين رجالها الممتازين ولم يدخل فى حروف حى ، فى حين أن أخاه الأصغر يحيى الملقب بصبح الأزل كان من بين أفراد الطبقة الممتازة .

ويظهر لى أن أعداء الإسلام الذين خططوا للمراحل المختلفة لهذه النحلة لم يكونوا قد سلطوا الضوء بعد على الميرزا حسين فى حين أنهم قد ركزوا بشدة وعناية على يحيى صبح الأزل .

ولكن دهاء الميرزا حسين قد ساعده فى فترة من الفترات على أن يقفز إلى مركز الضوء بحيث يظهر أمام الناظرين بأنه هو الوحيد الذى يصلح لتمثيل الدور القادم .

وقد أتيحت له فرصة سانحة ما كان لمثله أن يجعلها تمر من غير أن يستثمرها بأقصى الطاقة الممكنة .

وبيان ذلك بشىء من التفصيل يتضح حين نستعرض أهم أحداث المؤتمر الذى عقده البابيون فى بدشت .

إن أبرز شخصيات هذا المؤتمر كما هو معلوم شخصية زرين تاج (الطاهرة) وأن أبرز ما يهتم به المؤتمرون من قضايا قضية نسخ الشريعة الإسلامية .

ولقد اتضح أن زرين تاج حين أعلنت عن نسخ الشريعة الإسلامية عرضت المؤتمرين إلى تصدع ، ظن البعض معه أنه صدع لا يرأب وشعث لا يلم .

ووسط هذه الأزمة الطاحنة تقدم حسين على بثقافته وقدرته على الجدل

والسفسطة فشرح صورة الواقعة بطريقة مضللة استطاع من خلالها أن يسكت المؤتمرين وإن كان لم يستطع إقناعهم .

ومن المعروف أن السوفسطائى قد يستطيع أحيانا أن يسكت مجادله ، وإن كان فى معظم الأحيان غير قادر على أن يحل معه معضلات الأمور حلا يرضى وجدانه وفؤاده .

ولكن على أية حال فإن هذه النتيجة التى توصل إليها المازندرانى قد أعطت فرصة من الصمت يمكن من خلالها أن يتخذ المؤتمرون قرارا بإحالة القضية برمتها إلى ماه كو ، حيث يقبع هناك زعيم البابية وإمامها ليقول فيها الكلمة النهائية .

ويبدو أن هذا الموقف قد أثار إعجاب زرين تاج بشخصية الميرزا حسين على وأعطى فرصة للأخير أن يتسلط عليها بقوة شخصيته وطغيان فتنته بحيث يقول المؤرخون الثقات لحركتى البابية والبهائية أن زرين تاج لم تعد تدلى برأى أو تتخذ قرارا فى موقف ، أو تعبر عن خاطرة من خطرات النفس ، أو تدلى بدلوها فى مسألة من المسائل إلا بعد أن ترجع فى ذلك كله إلى المازندرانى .

وقد حرص المازندرانى من جهة أخرى على الطاهرة حرصه على الخيط الذى سيوصله حتما إلى مراكز الشهرة ، ويتيح له فرصة ليست بالهينة من الذيوع والانتشار .

والشيء الغريب أن المازندرانى قد استطاع ومن خلال الطاهرة وفى صحراء بدشت أن يحصل على لقب اختاره لنفسه من خلال قراءاته فى الكتب القديمة ، ووضعه سرا على لسان الطاهرة . فخلعته الطاهرة عليه فى جلسات المؤتمر العامة وهذا اللقب هو « بهاء الله » .

ويتبين من هذا أن لقب البهاء لم يمنحه زعيم البابية للمازندرانى كما منح أصحاب الشهرة لغيره من الأتباع والرفاق .

والشيء الذى لا يخفى بعد هذا كله أن خطوات المازندرانى فى إطار الحركة البابية كانت محسوبة فى حدود المنفعة الشخصية ، وما يحصله من نتائج ذاتية .

ولذا فإنه كان يتميز بطباع وتمتاز أعماله بسمات تؤكد بوضوح هذه المقولة .

فهو مثلا لم يكن مندفعا فى تأييد البابية إلى الحد الذى يعرضه للخطر كما فعلت الطاهرة وعشرات غيرها ، الذين دفعهم الحماس إلى الموت فى سبيل الدعوة الآثمة ، أما هو فلم يكن يورط نفسه فى شيء من ذلك حتى ولو أدى به الأمر إلى مداهنة الحاكم ورفاته لينجو بنفسه وبنفوس أتباعه القلائل .

وسجل تاريخه حافل بأشياء كثيرة اعتبرها المؤرخون منسجمة مع طباعه التى تميل إلى الجبن أو المداهنة والنفاق

ونحن وإن كنا لا نخالف فى نسبة تلك الخلال والسجايا إليه ، إلا أننا يجب أن نضيف سببا آخر وهو أنه لم يكن مخلصا للبابية ، ولا لزعيمها بقدر ما كان مخلصا لهواه مستجيبا لميوله ورغباته .

صلته بالمستعمر وخيانته للإسلام والوطن :

لقد أصبح من المشهور على ألسنة الناس الذى يرقى إلى حد التواتر فى رواية الأحداث والأخبار أن المازندرانى كان على صلة وثيقة بجهات كثيرة من الجهات التى كانت لها حرص شديد على هدم حصن الإسلام وتحطيم آمال المسلمين فى الحياة .

وهذا الأثر المتواتر ، وتلك الأخبار التى تشتهر على ألسنة الناس لا يشك فيها بل لا يعارضها عدو له ولا صديق ، ولا يخفيها أشياعه المعاصرون له ، بل ولا يحاول هو كتمانها ، وإنما كان يذكر بعضها بشيء من الزهو والفخار .

ولئن كان بعض البهائيين المتأخرين قد حاول إنكار بعض الحوادث التاريخية لما رأى من كثافة الخجل وسوء الانطباع ، اللذين تركهما هذه الحوادث على نفوس الشرفاء من بنى الإنسان ، فإن هذا الإنكار نفسه يعتبر مصادمة لتيار الأحداث التاريخية التى يرويها جماعة عن جماعة يحيل العقل تواطؤهم على الكذب فى نقل الأحداث والروايات .

ومن الحوادث التاريخية التى لها دلالة خاصة حادثة إقدام المازندرانى على ضعفه وقلة حيلته وحيلة أتباعه ـ على محاولة اغتيال الملك ، ناصر الدين شاه الكاجار مع عنفوانه وقوة سلطانه .

وحين انكشفت المؤامرة وباءت بالفشل ، حاولت السلطة القبض على الميرزا حسين على لينال جزاء خيانته وعقوبة جريمته .

ولكن المفاجأة المذهلة أن السفارة الروسية فى طهران وعلى رأسها السفير المفوض[1] قد تدخلت لحماية المازندرانى ، بل إنهم قد استضافوه فى السفارة ليتمكنوا من حمايته .

وحين أذهلت المفاجأة ناصر الدين شاه إيران أراد أن يستجلى الموقف ويستوضحه ، فأرسل أحد ضباطه المخلصين إلى مقر السفارة لإحضار المازندرانى فمنعه السفير الروسى معلنا بأن حمايته فى السفارة الروسية فى طهران إنما هو تعبير أكيد عن رغبة الحكومة الروسية التى أعلنت أنها تهتم اهتماما شديدا بقضيته وتحرص على تبرئته مما نسب إليه .

ولم يقف الأمر عند حدود دور السفارة الروسية فى حماية المازندرانى ،

---

(١) كان سفير روسيا فى ذلك الوقت فى طهران هو « كنياز الفركى » وهى الشخصية التى أشرنا إليها من قبل على أنها هى المسئولة عن تكوين وتأسيس الحركة البابية .

ولكن وجهت الحكومة الروسية تعليماتها إلى الصدر الأعظم فى إيران ، والذى كان عميلا لها فى ذلك الوقت أن يتدخل بكل ثقله لحماية المازندرانى ، وأن حمايته تلك تعتبر مسئولية خاصة له لا يجوز له أن يفرط فيها ، أو أن يقصر فى القيام بواجبه تجاهها .

ولما تأكد الروس أن الأرض أصبحت ممهدة لتبرئة ساحة المازندرانى حاوره بعد التكريم السلطة الإيرانية حيث حبسته مدة ثم قدمته للمحاكمة .

وفى جلسات محاكمة المازندرانى كان الناظرون يشاهدون السفير الروسى وهو يحضر هذه الجلسات ، ولقد شهد السفير بنفسه أمام القضاء الإيرانى بطهارة المازندرانى وعلو كعبه فى الشرف ، واستحالة وقوع الخيانة الوطنية منه .

والشىء الغريب أن هذا الحادث نفسه قد أبرز قوة أخرى تحاول الاستفادة من المازندرانى حيث تدخلت بريطانيا الصليبية بكل ثقلها هى الأخرى لحماية الميرزا حسين على ، وأصبح كل من القوتين يتحمس الاستفادة من هذا الإنسان الشاذ فى النيل من الإسلام والمسلمين ، واستغلال الأوطان المسلمة ، واستثمار جهود الشعب المسلم .

وحين حاولت السلطة الإيرانية أن تتخلص من هذا الوباء وتقذف به بعيدا عن بلادها ، أصدرت قرارا بإجلاء المازندرانى ونفيه من إيران .

واعتبرت الروس هذه فرصة سانحة لإيواء هذا الطريد وأتباعه والوصول إلى عمق مشاعره وقلبه ، وغرس محبتها فى سويداء فؤاده ، فتقدم السفير الروسى إليه برغبة الحكومة الروسية فى أن تقدم إلى المازندرانى وأتباعه الجنسية الروسية وأن تنزله فى روسيا المنزلة التى تليق به وبهم .

وفى نفس الوقت تلقى المازندرانى عرضا مماثلا من الحكومة البريطانية التى رغبت فى منحه الجنسية الإنجليزية .

غير أن الروس قد رأوا أن استقدامه لروسيا يقلل من حجم الاستفادة منه فهو من الممكن أن يذهب لبلد إسلامى آخر مجاور لإيران بقصد إحداث الفتن، وصدع الحصن المنيع.

ولقد كان حماس المازندرانى قليل تجاه الحكومة البريطانية، فظل منجذبا إلى الروس الذين رعوه هو وأسرته، وكان لها عليه وعليها الأيادى البيضاء.

ولذا فإنه قد ذهب هو وأتباعه طبقا للتعليمات إلى العراق، ولشدة حرص الروس على سلامته أرسلوا معه إلى العراق عدداً من الجنود والفرسان حتى يبلغ مأمنه.

وهذا الحادث قد علق عليه المازندرانى نفسه [1] محاولا نفى أنه خرج بالمهانة والذلة فقال:

إننا لم نخرج من إيران بالمهانة والذلة، وإنما خرجنا يحدونا عدد من فرسان الدولة الروسية والإيرانية حتى وصلنا إلى العراق بالحشمة والاقتدار.

وهذا الحادث التاريخى لا يحتاج إلى شىء من التعليق أو التحليل، فهو جلى فى نفسه واضح فى دلالته، قوى فى التعبير عن البواعث والغايات.

ولكن هناك حادث آخر ينقل المتابع لحركة البهائية فى نشأتها وتطورها نقلة عظيمة.

حيث أن المازندرانى فى أول حياته كان عاملا غاية الموالاة مندفعا غاية الاندفاع فى تيار الحكومة الروسية، ولكنه قد أنهى حياته على مائدة الاستعمار الإنجليزى، واستمر خلفاؤه من بعده على موالاة تلك الحكومة، والحرص على الدوران فى فلكها، فبعد خلاف دام فترة بين المازندرانى وأخيه صبح الأزل

---

(١) أشار الميرزا حسين إلى هذا الحادث فيما بعد بوضوح مخاطبا ملك الروس فى شىء غير يسير من التملق فى كتابيه «سورة الهيكل» و «مبين».

رأت الحكومة التركية التفريق بينهما ، فذهب الميرزا حسين بتخطيط خفى إلى عكا بفلسطين ، فى الوقت الذى كانت اليهودية العالمية قد قررت أن يكون لهم وطن قوى فى فلسطين يمكن أن تدبره الحكومة البريطانية .

ولكى تتمكن الحكومة البريطانية من تدبير هذا الأمر لابد من سقوط فلسطين فى يدها ، وإن أمكن سقوط الخلافة الإسلامية فى تركيا .

واعتبر الإنجليز نقل الميرزا حسين إلى فلسطين فرصة سانحة لشق الوحدة الإسلامية ، ومساعدة الإنجليز فى الخفاء إن هم أرادوا الاستيلاء على فلسطين .

ولقد نقل الأستاذ إحسان إلهى ظهير فقرة مطولة عن الداعية البهائى أسلمنت يذكر فيها بالزهو والفخار ابتهاج البهائيين وسرورهم حين سقطت حيفا فى يد الاستعمار الإنجليزى فى العشرين من سبتمبر ١٩١٨ م ، وابتهاج الإنجليز وسرورهم بعبد البهاء ولى البهائيين عباس أفندى ابن الميرزا حسين ، وكيف أن الجند وكبار رجال الجيش الإنجليزى كانوا يختلفون إليه لزيارته ، وأن الحاكم العسكرى قد منحه وسام الفرسان البريطانيين تقديرا له على جهوده التى بذلها مساهمة فى إسقاط الدولة والخلافة العثمانية ، ومساعدته للإنجليز فى الاستيلاء على فلسطين .

إن هذا الحادث والذى قبله إنما هما نموذجان لأحداث كثيرة ومتوالية تدل كلها على هدف تلك النحلة ووسيلتها إلى تحقيق هذا الهدف .

ومن جهة أخرى فلعل القارىء الكريم يستطيع أن يضم هذه المواقف إلى مثيلاتها حين نشأت البابية ليكون صورة متصلة الحلقات عن هدف خونة الإسلام من أبناء الإسلام .

الجهر بالبهائية :

لقد كان المازندرانى حذراً فى كل خطواته حريصا لئلا يوقعه التسرع فى خطوة لم تكن فى الحسبان ، أو فى حرج لا يمكنه الخروج من ورطته السحيقة .

ولذا فإنه لم يعلن عن قصده المطوى أو سره المكنون فى زعامة البابيين إلا بعد فترة من الزمن تمكن خلالها من دراسة الموقف وتحديد المعضلات، ثم العمل على إزالة كل عقبة كئود قد تعترض طريقه .

فهو طوال فترة بقائه فى إيران كان يعلن بأنه بابى مخلص يدافع بكل كيانه عن مبادىء الباب، ويبذل كل ما يستطيع من أجل حماية مبادئه وأهدافه .

ذلك أنه كان يخشى البابيين الذين تجمعوا بعد هلاك الباب تقريبا حول أخيه لأبيه يحيى صبح الأزل استجابة لوصية الباب نفسه الذى خطها بيمينه، وختمها بخاتمه، وأرسل بها إليه .

وهو من جهة أخرى كان يخشى بطش السلطة الإيرانية، كما بطشت من قبله بالشيرازى زعيم البابية .

وحين أعلنت السلطة الإيرانية نفى المازندرانى إلى العراق، رأى أن الفرصة قد أصبحت متاحة للتفكير فى الاستقلال بالزعامة، وإعلان دعوته .

ولكن الحظ السيء قد دفع إليه بأخيه صبح الأزل الذى خرج من إيران إلى العراق متخفيا فى زى الدراويش هربا من السلطة الإيرانية التى جعلت جعلا عظيما لكل من يأتى بصبح الأزل حيا أو ميتا .

وكان على المازندرانى قبل أن يعلن استقلاله بالزعامة أن يكسب إلى جواره بعض الأتباع والأنصار من البابيين بعد إحداث خلخلة فى وحدة الصف البابى بالفتنة والوقيعة، وإزاحة كل من يصر على معارضته .

وكانت الخطة التى رسمها وأخذ فى تنفيذها على النحو التالى :

أولا : عزل يحيى صبح الأزل عن جميع الأحباب والأتباع، ويقوم هو بالتحدث باسمه بحجة أن ذاته المقدسة لا تغيب عن الأحباب وإن كانوا لا يرونها، وبهذه الحيلة يكون هو المتصل بالأتباع، ويقل ارتباط الأتباع شيئا فشيئا بصبح الأزل الذى غاب عن أعينهم .

ولم يدرك صبح الأزل هذه الحيلة، ولم يفطن إلى الخطر المحيط به إلا بعد فوات الأوان .

ثانيا : يتعين على حسين المازندراني أن يتخلص بالاغتيال وسفك الدماء من جميع الشخصيات الكبار الذين أخلصوا للباب الشيرازي ، ومن بعده لصبح الأزل الموصى له بالخلافة [1] وفي هذا السبيل قد سجل التاريخ عددا كبيرا من حوادث الاغتيال والقتل التي تتسم بالوحشية والبربرية ، والتي دبرها حسين المازندراني بنفسه .

ثالثا : ولابد أن يكون هناك محور من الرجال المخلصين الذين لهم تعلق شديد بالمازندراني يكونون بمثابة النواة التي يدور حولها مستقبل البهائية ، وترتكز عليها دعامتها الوسطى .

وفي هذا السبيل قد قرب المازندراني منه عدداً من الأوفياء الذين أخلص لهم وأخلصوا له .

رابعا : على أن هذا المحور من الرجال الأوفياء يظل عديم القيمة إذا لم يكن لديه مبدأ يدعوه إليه ، أو فكرة يرتبط بها أو أيديولوجية تملك عليه جماع نفسه .

وقد أدرك المازندراني ذلك كله أثناء إقامته في العراق ، فأعلن قبل خروجه من العراق بقليل بين أتباعه وصفوته المخلصين أنه هو الذي بشر به الشيرازي وسماه المظهر .

---

(١) يرى الكاتب البهائي عبد الحسين أوراه أن وصية الباب بخلافة صبح الأزل من بعده كانت حيلة لصرف الأعين عن البهاء ، وبيان ذلك أن الأحباب حين أدركوا أن الباب مقتول لا محالة كتبوا معروضا ورفعوه إليه في ماه كو مفاده أنهم يرجون الباب الشيرازي أن يتخذ التدابير اللازمة لصرف الأنظار في الوقت الراهن عن الميرزا حسين علي ، فاتخذ الباب تدابيره بأن كتب وصيته بالخلافة من بعده ليحيى صبح الأزل في كتاب وختمه بخاتمه ، وأرسل معه كتبه وقلمه وعبرته وملابسه مع أمين لكي يصل بها إلى صبح الأزل بعد موت الباب ، وعليه فإن خلافة صبح الأزل لم تكن هي المرادة وإن كانت هي المعلنة فتأمل .

وتفصيل هذه الجزئية أن نقول : إن المازندراني برغم شعوره الأكيد بحيوية الفكرة التي ينبغي أن يلتف الأتباع حولها على نحو ما ذكرنا ، إلا أنه كان ما يزال قريب من الحكومة الإيرانية التي تشترك مع العراق في حدودها ، فهو ما يزال قريب المنال من السلطة الإيرانية .

ولكن الظروف قد ساعدته حين طلبت الحكومة الإيرانية على لسان سفيرها في العراق من الحكومة التركية نقل المازندراني وأخيه صبح الأزل إلى مكان بعيد عن الحدود الإيرانية .

وحين استجابت الحكومة التركية واستدعته إلى القسطنطينية (إستانبول) أقام في حديقة نجيب باشا هو وأتباعه اثنى عشر يوماً ريثما يرتب أمره الرحيل ، وخلال هذه المدة أعلن دعوته في إطار محدود جداً ، وفي سرية تامة[1] حتى لا يعلم بذلك صبح الأزل ولا غيره من الأتباع الذين يخشى بأسهم ، أو انشقاقهم عليه .

وخرجت القافلة في سفر شاق ومهين قاصدة تركيا في مايو من سنة ١٨٦٣ ، وبقى الجميع في تركيا فترة من الزمن ، ثم رحلوا بأمر الباب العالي إلى أدرنة في سفر ذاقوا فيه المرارة والهوان .

وفي أدرنة وقع الخلاف الشديد بين صبح الأزل وأخيه حسين المازندراني . وأعلن حسين أنه الوريث الحقيقي للباب الشيرازي ، وأنه هو المظهر ، والبهاء ، وانضم حوله مجموعة سموا بالبهائية ، وبقيت مجموعة أخرى سميت بالأزلية أو البابية .

---

(١) وبسبب هذا الإعلان نفسه كانت هذه الأيام الإثنا عشر أيام مقدسة يحتفل البهائيون فيها من كل عام .

وبدأ كل من الأخوين يكيد للآخر ، ويحاول التخلص منه ، وقتله هو وأتباعه إلا أن الغلبة كانت دائماً للميرزا حسين إلى حد أن صبح الأزل رفع الأمر إلى الحكومة التركية وطلب عزله عن أخيه وأتباعه .

وكان لهذا الخلاف أثر شديد أدركت منه الحكومة التركية خطراً شعبياً قد لا يمكن السيطرة عليه .

غير أن الحكومة التركية فى ذلك الوقت كانت واقعة تحت مؤثرات أجنبية من أهمها : الإنجليز ، والصهيونية ، أو الماسونية اليهودية التى كانت توجه رجالها فى الخفاء .

وهاتين الجهتين بالذات نعتقد أن لهما أثراً كبيراً فى توجيه الفرمان الصادر بخصوص حسين المازندرانى وأخيه صبح الأزل .

حيث تقرر نفى الميرزا حسين إلى عكا بفلسطين ، وصبح الأزل إلى جزيرة قبرص .

وما أن وصل الميرزا حسين إلى فلسطين حتى تلقفه الجنود العثمانيون ، وأودعوه هو وأسرته وأتباعه الذين قد بلغوا ثمانين نفساً سجناً غاية فى السوء .

إلا أنه لم يبق فيه سوى ساعات حتى تلقفه اليهود وأغدقوا عليه من الأموال حداً جعل المازندرانى نفسه يقول إن السجن قد انقلب بهم إلى جنة عدن فخصصت له سيارة ، وحديقة ، وقصور فخمة ، وسهلت له التنقلات بين عكا وحيفا ، وأصبحت له حظوة وسلطة وقصور يغبطه عليها وجهاء القوم ، وعظماء الناس .

وتعطلت الفرمانات الصادرة من الباب العالى بحذر تجوله وخروجه إلى الناس ، أو اتصال الناس به ، وضرورة سجنه وإماتته .

ولم يحدث له شيء من ذلك ، بل على العكس كان يعيش كما وصفه ابنه عباس عيشة الملوك فى عكا وحيفا فى بحبوحة من العيش فى ظل الحماية الإنجليزية والمال اليهودى ، وليس ذلك إلا ثمناً لخيانته حتى سقطت فلسطين ، وسقطت الخلافة العثمانية .

وهكذا استطاع بتخطيط ذكى أن يختار الوقت المناسب لإعلان دعوته ويرسيها على أسس متينة ، واستطاع من خلال ذلك أيضاً أن يطيح بصبح الأزل رغم قوة مركزه والتفاف الناس حوله (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) .

أطوار وأحوال :

على أن هذه الدعوة المعلنة عن البهائية والبهاء لم تكن إلا نتاج سلسلة طويلة من الادعاءات والأحوال المتغيرة التى تشبه فى حقيقتها سلسلة الادعاءات التى يدعيها كل راغب فى الشهرة المعوجة أو الزعامة المريضة .

فإن الراغبين فى هذا النوع من الزعامة ، أو الخيانة للإسلام والمسلمين قد تسول لهم نفوسهم أحياناً ادعاء المهدوية ، فإن سلم لهم بعض الشياطين ما يدعون صعدوا عليها فادعـــوا النبوة والرسالة ، وقد يصعد البعض أحياناً إلى ادعاء الألوهية المطلقة .

غير أن التاريخ السبت يؤكد أن هذه السلسلة من الادعاءات ، أو معظمها لا يجتمع إلا على رجل نشط من نفسه ، أو بتنشيط غيره الكيد للإسلام والمسلمين .

وما قصة غلام أحمد القاديانى عنا ببعيد .

والمازندرانى واحد من هؤلاء الذين اختاروا لنفسهم أن يكونوا من المارقين من دينهم الخائنين لأوطانهم ، فهو قد مر بمراحل متعددة تحكمه فى كل

مرحلة ظروف تحمله لا يستطيع أن يتعداها إلى غيرها إلا إذا اجتاز هذا الظرف الخاص بتلك المرحلة التي يعيشها .

فهو أولا يدعي أنه بابي مخلص في وقت كان يعيش في إيران أو في العراق المجاورة لإيران .

وفي بدايات هذه المرحلة كان أعداء الإسلام والأوطان والشعوب الإسلامية من الروس واليهود وغيرهما مازالوا يلتفون حول الباب باعتباره مرحلة في الخطة ، ويعدون المازندراني لمرحلة تالية .

وفي نفس الوقت كان المازندراني حريصا أن لا يقع في قبضة السلطة الإيرانية حتى لا يهلك قبل تنفيذ دوره المناط به .

وفي هذه الفترة كانت كتاباته وأقواله كلها تأكيد وتأييد لعلي محمد الشيرازي ودعوته ، في وقت لم يكن هو من أبرز أنصاره ، ولم يكن واحدا من حروف حي وهم الطبقة الراقية في الحركة البابية .

ولعله من المفيد أن نذكر بأن تأخر المازندراني عن الطبقة الراقية ربما يكون عملا مقصوداً للاحتفاظ بالمازندراني بعيداً عن الخطر .

وقد استمر المازندراني مخلصا في الظاهر للبابية حتى آخر عهده بالعراق ، وهو المنفى الذي خرج إليه من إيران .

فلما عرف أنه خارج من العراق تلبية لرغبة إيران وطلبها لدى الحكومة التركية ، أعلن في آخر العهد سراً وأثناء إقامته التمهيدية في حديقة نجيب باشا عن مرحلة جديدة يؤكد فيها أنه هو المستقل بالدعوة والوريث للباب في قيادة البابية ، وقد تأكدت هذه الدعوة بصفة علنية أثناء مقامه في أدرنة هو وأتباعه وأخوه وأتباع أخيه .

وما أن أعلن عن استقلاله حتى ظهرت منه دعوى المهدوية ثم النبوة ثم

عبارات غامضة لا تكاد تبين ، ولكنها فى نفس الوقت تمهيد لمرحلة أخرى من الافتراءات الكاذبة .

وحين انتهى المازندرانى إلى عكا واحتضنه اليهود والإنجليز وأحاطوه بسياج منيع ، ومنعة من القوة ظهر بوضوح ليؤكد أنه هو الإله المعبود الذى يجب أن يتوجه إليه الأتباع بالسؤال والاستغاثة .

ونحن لا نريد أن نطيل فى وصف هذه المرحلة رفعا للتأثم وتجنبا للحرج العقائدى ، وذلك أن هناك ألفاظ قد وردت على لسان المازندرانى وعبده عباس يتحرج المؤمن من حكايتها ، ويخشى الوقوع فى الإثم إذا هو رواها ، حيث أن هذا المفترى الكذاب قد خلع على نفسه جميع صفات الله عز وجل .

ويتعجب الكاتبون ودعاة البهائية حين يناقش المسلمون أو علماؤهم البابيين فى دعوى المازندرانى بأنه نبى ، ويقولون بأنه ما ادعى النبوة وإنما ادعى الألوهية .

وهذا كلام لا يحتاج إلى مناقشة ، ولكن هذا الكلام نفسه وتلك المراحل ذاتها ، قد تترك كل واحدة منها الطباع على نفس القارىء ، حسبما يسعفه فهمه ودرايته بالأحداث .

والمرحلة الأخيرة وهى دعوى الألوهية ، ووصف المادة الفانية المحتاجة بصفات الألوهية ، ووقوع هذه المرحلة فى عكا بالذات لتدل دلالة قاطعة – من وجهة نظرى – على أن حسين المازندرانى لم يعدو أن يكون وسيلة التعبير عن الفكر اليهودى فى قدمه وحداثته .

فهناك نقطة جامعة يلتقى عندها كل يهودى ، وأكد القرآن عليها تأكيداً يصور مرض شعب بأكله ، وهذه النقطة الجامعة هى الوقوف عند حدود المادة فى كل شىء ، فالله عنده مادة « أرنا الله جهرة » ، « اجعل لنا إلها كما لهم آلهة »

« قال هذا إلهكم وإله موسى فنسى » إلى غير ذلك مما سجله القرآن عن هذا الشعب المريض فى فترة كان موسى عليه السلام نازل بينهم .

وهذا الشعب نفسه لم يكن يتصور النبوة منزهة عن العيب الخلقى ، فالأنبياء يجوز عليهم ـ من وجهة نظر اليهود طبعاً ـ ما يجوز على أراذل البشر وسفهاء الخلق ، والتوراة التى بين أيدينا شاهد صدق على ذلك .

والمازندرانى وهو سىء الطباع هابط فى خلاله وأخلاقه ، مادى‌فان وله بدايته المعروفة ، ونهايته المرئية ، عاجز لا يمكن أن يدفع عنه ضره أو ضر أصحابه المخلصين له ، أو أبنائه ونسائه ، يجوز له أن يكون نبيا مع سوء الخلال . وإله مع العجز والنقص .

ولم يشهد التاريخ الطويل لأمة أو شعب تجيز نقل صفات الجلال والكمال غير أمة اليهود ، ومجتمع بنى إسرائيل .

ولم يشهد التاريخ لأمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات أنها تجيز النقص على الأنبياء ، وتخلع عليهم من سوء الخلال ، وسىء الطباع ما يخجل منه أراذل الناس إلا أمة اليهود ومجتمع بنى إسرائيل .

وحين ينهى المازندرانى حياته مدعيا بأنه إله فإنه يكون قد استجاب مخلصا للفكر اليهودى والعمالة اليهودية ليكسر جدار الوحدة بين أبناء المسلمين .

نهايته ووفاته :

وحين ادعى هذا المأفون بأنه إله أحاطته اليهودية العالمية بمظاهر الأبهة والعظمة وحجبته عن أعين الجماهير ، وطلبت إليه أن يتبرقع حتى لا يرى وجهه ، ومنع من نشر صوره إمعانا فى خلع الهيبة عليه .

ومع هذه المظهرية الكاذبة تدخلت القدرة الإلهية فسلبت عقله ، وتركته لا يميز بين النار والنور ، ولا يدرك الفرق بين الأبيض والأسود ، ولا يستطيع

أن يميز فى الإحساس بين الحار والبارد ، ولا بين الرطب واليابس ، ولا يسيطر على كلمة يقولها أو تفكير يرد على خاطر غيره من البشر العاديين ، أو سلوك خلقى أو اجتماعى فانحدر بذلك كله إلى مرتبة أقل ما يقال فيها : إنها مرتبة الحيوانات ، فاضطر ابنه عباس إلى حبسه حتى لا يراه الناس وتحدث باسمه فترة مرضه وجنونه ، ثم ابتلاه الله بالحمى قبل أفول القرن التاسع عشر الميلادى ، فهلك غير مأسوف عليه فى عام ١٨٩٢ م .

تعاليم البهائية

إن المرء لا يعجب قدر عجبه حين يرى طائفة من الطوائف ، أو إنسان من بني البشر يتسع عقله وفكره لتلك الهوة السحيقة ، بين ما يعلنه من المبادىء وما ينتج عنه من آثار وسلوك ، ولا يتألم المرء قدر ألمه حين يرى طائفة من الطوائف ، أو إنسان من بني البشر لا يجد حرجا حين يعلم أن المحيطين به مدركون تماما ما يؤمن به من الفرق بين النظرية والتطبيق .

والشيء الأغرب من هذا كله أن يتحول هؤلاء الذين هم مصدر العجب ، ومثيرو الآلام إلى أمر واقع يشبه أن يكون هو الأمر العادي ، ثم يعجبون من الناس جميعا لأنهم لا يملكون التكيف معهم والاندماج مع زيفهم وضلالهم .

ونحن قد صدرنا هذا البحث عن البابية والبهائية بما يفيد أن أراذل الناس الذين استمرءوا العيش في الظلام ، واستباحوا لأنفسهم أن يعبوا من الرذيلة حتى الثمالة ، لا يستريحون إلى الأخيار من بني نوعهم ، ويضيقون بهم ذرعا ، ويتمنون أن لا تجمعهم بهم المواقف ، ذلك أن هؤلاء الأراذل ، وتلك الشرذمة من الأشرار يشعرون بالنقص إذا جمعت المواقف بينهم وبين الأخيار ، فهم يدركون تماما ، أن كلا من الضدين يبرز الآخر على حقيقته ، ويضفي عليه مسحة هائلة من الظهور والجلاء ، فيظهر الخير في أبهى صوره ، والشرير في أحط مظاهره .

فلا أقل والصورة هذه أن يمقت الأشرار الأخيار ، ويتمنون أن يصير الأخيار إلى ما صاروا إليه ، وأن يقعوا على الرذيلة كما وقعوا ، وأن يسلكوا طرقها بأدرانها ودهاليزها كما سلكوا ، وإلا فإن الأشرار يحاولون أن يظهروا رداء الفضيلة والخير ، فيعلنون من المبادىء ما لا يطبقون ، ويظهرون من الخلال

والصفات ما لا يعتقدون ، ويحملوا على ذلك عبارات جذابة ، وأساليب خادعة تغرى النشء وتجذب الشباب ، ثم ينهالون بوابل من الشتائم واللعنات على من يخالف مذهبهم أو ينحرف عن دربهم ، أو يعزف على غير وترهم .

فالشيوعية والوجودية والنفعية وغير ذلك ، مذاهب هدامة فى ميزان العقل المادى ، وبرغم ذلك فهى تخلع على نفسها من الصفات والحكايات ، وتملن من المبادىء والغايات ، وتسوق من الأساليب والمبررات ما يخدع العامة والبسطاء فينجذبون إليها انجذابا . فلا يجدون إلا الويل والضياع ، كما ينجذب الفراش إلى النار فيجد فيها حتفه وفناءه من حيث أمل أن يجد فيها ضوءاً يفتح أمامه الطريق ويبصره بالهدف المنشود .

والبهائية فرقة متأخرة تربت على يد أساتذة تمرسوا على الشر وتدربوا على أساليبه ، فأخذوا بأكثر هذه الأساليب إحكاما ، وأشدها تأثيراً على العواطف والأفئدة البسيطة .

وعلى حطام البابية البالى رأت البهائية أن البابية قد فشلت لعدة أسباب أهمها : أنها لم تكن لديها فكرة تشكل الايديولوجية أو العقيدة التى تصنع الأفراد ، وتجعلهم يندفعون من الداخل نحو الهدف الآثم والغاية الخادعة .

لم يكن لدى البابية فكرة يدور البابيون حولها ، فهلك الباب وهلكت البابية وانتهت سريعا كومض البرق الخاطف ، فهى لا تعدو أن تكون حماسة وقتية انتهت بانتهاء المؤثر والدافع إليها .

وليس من المعقول أن يعيد داهية البهائية المازندرانى نفس التجربة ، بل لابد وأن يستفيد من حركة التاريخ ، ويحاول أن يتجنب أخطاء سلفه .

فوضع البهائية تعاليم خمسة اعتبرها أهداف معلنة يسعى البهائى البسيط إلى تحقيقها .

أما صفوة البهائية فهم يدركون تماما أن هذه الأهداف أو التعاليم الخمسة ما هي إلا شبكة صيد وطعم يجذب إلى البهائية مجموعة العميان .

وهذه الأهداف المعلنة هي :

وحدة الأديان .

وحدة الأوطان .

وحدة اللغة .

السلام العالمي .

المساواة بين المرأة والرجل .

ولعلنا قد أشرنا سلفا إلى أن فترة نضوج زعيم البهائية الميرزا حسين كانت وليدة إنضاج الفكر اليهودي ، والتخطيط الماسوني .

ومن أجل ذلك فإننا لا نعجب حين نرى تشابها كبيرا بين البهائية والماسونية في المبادىء والغايات خاصة في نقطة اللباب وهي التضليل في الأهداف والوسائل والتفريق بين أبناء الوطن الواحد ، والدين الواحد ، واللغة الواحدة .

وفي السطور القادمة سنحاول إلقاء بعض الضوء على كل عنصر من هذه العناصر التي تشكل التعاليم الخمسة في الفكر البهائي .

وعلى الله قصد السبيل

وحدة الأديان :

إن وحدة الأديان قد نادى بها الكثيرون في الماضي ، ونادى بها اليوم كثرة من المحدثين .

وهؤلاء وأولئك كانت لهم فلسفة بغض النظر عن صوابها أو خطئها ، إلا أنها أي هذه الفلسفة كانت ولا شك تشكل النواة التي يدور حولها المذهب كله .

والبعض مثلا حين ينادى بوحدة الأديان خاصة الأديان السماوية ينطلق من فكرة خاصرة مؤداها : أن هذه الأديان السماوية كلها قد صدرت عن مصدر واحد ، وعلينا نحن البشر (كما يقولون طبعا) أن نتجه إلى هـــذا المصدر بأى أسلوب من الأساليب التى طلب إلينا أن نتجه إليه بواسطتها .

وهذه الفكرة على تفاهتها لا تميز بين أول الأمر وآخره ، ولا تميز فى عالم المجتمعات بين الثابت والمتغير من الظواهر .

فإذا كان هناك أمران من مصدر واحد أحدهما متأخر عن الثانى ، وهما متغايران كان من البداهة أن تتبع الأمر الثانى دون الأول .

ومن جهة أخرى فإن علماء الاجتماع قد ميزوا فى الظاهرة الاجتماعية بين نوعين أحدهما ثابت والآخر متغير .

وفى مجال الديانات أمور ثابتة نحو أن يكون الله واحد . وأن له صفات من الجلال والكمال تجب لله وحده دون سواه ، وهناك مسائل تتعلق بالنبوة واليوم الآخر إلى غير ذلك من مسائل العقيدة .

هذه كلها أمور ثابتة ، وما يتصل بها من قضايا فكرية لا تختلف من دين إلى دين .

وهناك قضايا وتشريعات تتعلق بالظواهر الإنسانية المتغيرة . وهذه تحتاج إلى تغيير وتبديل يلائم هذا التغير الطبيعى فى الظاهرة الإنسانية .

فن الحق أن يدعى إنسان أن هنـــاك وحدة بين الأديان على أساس أن التشريعات كلها صالحة للممارسة القديم منها والحديث .

ومن البديهى أن هناك وحدة فى الأديان بشرط أن تكون الأديان صحيحة النسبة إلى الله عز وجل فى كلياتها وتفاصيلها أقول : إذا كانت الأديان بهذه الصفة فإن هذه الأديان نفسها يجمعها وحدة العقيدة ، أى أن كل هذه الأديان تعالج العقيدة بطريقة واحدة « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى

أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه » .

وأياما كان الأمر فإننا لا نقصد بالحديث مناقشة هذا النوع من البشر الذين يدعون إلى القول بوحدة الأديان على أساس فلسفة أو فكرة واضحة فى أذهانهم .

وإنما نختص بالحديث هنا البهائية الذين يدعون إلى وحدة الأديان من غير أن تكون لديهم فلسفة واضحة ، وليس فى أذهانهم فكرة يديرون حولها قضايا هذا المبدأ .

والأمر الذى يثير العجب أن معنى وحدة الأديان لم يكن واضحا بدرجة كافية فى ذهن زعيم البهائية الأول (حسين المازندرانى) كما لم تكن الفكرة واضحة فى ذهن خلفائه من بعده ، ولا أتباعه المقربين ، وعلى رأسهم عباس أفندى ابن البهاء وشوقى أفندى حفيده .

فهم تارة يشرحون وحدة الأديان على أنها بمعنى الاتحاد ، أى أن كل من فى العالم من أسود وأبيض وقاص ودانى ينبغى أن يكونوا على دين واحد ، ولسنا ندرى ما المقصود بهذا الدين ، ولكننا ندرى تماما أن البهائية قد طالبت بأن يكون العالم كله على دين واحد ، بحجة أن هذا الاجتماع سوف يزيل العداوة الدينية نهائيا ، وإلى الأبد .

ويشرح أسلمنت داعية البهائيه نقلا عن المستشرق الإنجليزى مستر براون : (أن يتحد جميع العالم على دين واحد ، ويصبح جميع الناس إخوانا وتتم عرى المحبة والاتحاد بينهم وتزول الاختلافات الدينية وتمحى الاختلافات بين جميع البشر) .

ويقول المازندرانى فى لوحة الملكة فكتوريا (وما جعله الله الدرياق الأعظم والسبب الأتم لصحته هو اتحاد من على الأرض على أمر واحد وشريعة واحدة) .

والذى يقرأ هذه النصوص وأمثالها يجد أن هذا اللون من القراءة مغرض

بالاستمرار ذلك أن المرء سيجد نفسه مضطرا لتحصيل النتيجة التى سوف تترتب على هذه النصوص وأمثالها ، إذ أنه من المفروض أن يقف القارىء أو الباحث على القصد الحقيقى من وراء هذه الدعوة ، وما إذا كان المراد دمج هذه الأديان سماوية وأرضية ، بشرية وإلهية ، حقة ومارقة ، كلها فى دين واحد ، أم أن هناك دين مختار سوف يجمع عليه البشر ويقبلون على مبادئه .

على أن المازندرانى لم يترك قارئه فى حيرة من أمره ، ولكنه بعد أن ترده أزمع أمره على أن يكون الدين المختار هو الدين البهائى الذى أرسى قواعده بنفسه ووضع أسسه باعتباره إله البهائية وربها .

يقول المازندرانى فى كتابه الأقدس : (والذى يتكلم بغير ما نزل فى الوحى أنه ليس منى ، إياكم أن تتبعوا كل مدع أثيم) .

ويقول فى عصبية فى نفس المرجع (اتقوا الله يا قوم ولا تتبعوا كل جاهل مرذول ، وقل ويل لك يا أيها الغافل الكذاب) .

وقال : (لقد ظهر الغيب المكنون والسر المخزون الذى زين كتب الأولين والآخرين بذكره ونطقت بمدحه وثنائه ، به نصب علم العلم بالعالم ، وارتفعت راية التوحيد بين الأمم ، لقاء الله لا يحصل إلا بلقائه ، إنه ظهر بالحق ، ونطق بكلمة انصعق بها من فى السموات والأرض إلا من شاء الله ، لا يتم الإيمان بالله ولا معرفته إلا بالتصديق بما ظهر منه (كذا) والعمل بما أمر به ، وأمره الحكم الأعظم لحفظ العالم وصيانة الأمم ، نور لما أقر واعترف ، ونار لما أدبر وأنكر)

وهذه النصوص التى اجتزأناها كافية الدلالة على تعصب البهائيين بدءا بإمامهم لهذه النحلة التى انتحلوها ، والديانة التى وضعوا أصولها المشوشة .

وهى كافية فى نفس الوقت الدلالة على قصد البهائيين بدءاً بإمامهم من وراء ما ذكروه من وحدة الأديان ، فهى تدل دلالة قاطعة على أن البهائيين يقصدون من ورائها حمل العالم كله على اعتقاد ديانة البهاء والسير على مبادئها ، ولولا أنه

البهائيين أنفسهم بدءاً بإمامهم قد نحوا منحا آخر في شرحهم لمعنى وحدة الأديان .

فهم وإن كانوا فيما ذكرناه سلفا قد فهموا من وحدة الأديان اجتماع الناس على دين واحد ، إلا أنهم قد عادوا إلى القول بأن وحدة الأديان تعنى التسامح الدينى ، وعدم التعرض لأهل الأديان المخالفة سواء فى ذلك أئمتها وأرباب الرأى فيها أو العامة والدهماء الذين يدينون بها بالسب والطعن أو العداء والجدال .

تعنى وحدة الأديان إذن مجـــرد التسامح والتقارب بين وجهات النظر ، والتعايش السلمى بين الجماعات المختلفة فى عقيدتها وشريعتها .

وهناك من النصوص المتعددة التى صحت نسبتها إلى البهاء ، وإلى خلفائه من بعده ما يؤيد دعوة البهائية إلى هذا الاتجاه .

يقول المازندرانى (يا علماء الأمم غضوا الأعين عن التجانب وانظروا إلى التقارب والاتحـاد ، وتمسكوا بالأسباب التى توجب الراحة والاطمئنان وتعاشروا مع الأديان بالروح والريحان) ،

ويقول ابنه عبد البهاء (يجب على الجميع ترك التعصبات) .

ثم قال فى جواب سائل سأله عما إذا كان من الجائز له أن يبقى على الطريقة التى درج فيها وتعلمها منذ طفولته ينبغى أن لا تنفصل عنها :

(فاعلم أن الملكوت ليس خاصا بجمعية مخصوصة ، فإنك يمكنك أن تكون بهائيا مسيحيا ، وبهائيا ماسونيا ، وبهائيا يهوديا ، وبهائيا مسلما) .

وهذا الأسلوب الرقيق الجذاب لم يجاوز حناجر هؤلاء القوم ، لم يتعد تراقيهم .

فإن مثل هذا الأسلوب لا يعدو أن يكون غلافا وستارا يحاول البهائيون من خلاله ستر أهدافهم الحقيقية التى تنتظم جميع خلال السوء وأمراض القلوب ، خاصة الحقد الدفين ضد المسلمين والخيانة لهم فى الدين والوطن .

فالمسلمون عند المازندرانى ظلوا طوال سنوات وقرون على كتابهم المجيد ، ولكنهم لا يفهمون منه شيئاً ، الخاصة منهم والعلماء ، بعيدون كل البعد عما يهدف إليه القرآن فهو يقول : [انقضى ألف سنة ومئتان وثمان من السنين منذ ظهور نقطة الفرقان (يقصد النبي ﷺ) وجميع هؤلاء الهمج الرعاع (يقصد المسلمين) يتلون الفرقان فى كل صباح ، وما فازوا إلى الآن بحرف من المقصود] .

ويمنع المازندرانى أتباعه من البهائيين أن يجالسوا المسلمين فضلا عن معاشرتهم فيقول [إياك أن تجتمع مع أعداء الله فى مقعد وأن تسمع منه شيئا ، ولو يتلو عليك منه شيئا من آيات الله العزيز الكريم لأن الشيطان قد أضل أكثر العباد بما وافقهم فى ذكر بارئهم بأحلى ما عندهم ، كما تجدون ذلك فى ملأ المسلمين بحيث يذكرون الله بقلوبهم وألسنتهم ، ولا يعملون كل ما أمروا به ، وبذلك ضلو وأضلوا الناس إن أنتم من العالمين] .

وخلاصة القول فى هذه المسألة أو هذا المبدأ : أن الهدف المعلن من ورائه هو : أن البهائيين أرادوا التمويه على الناس بأن وحدة الأديان تزيل أسباب العداوة فيما بينهم .

غير أن الهدف المستور للبهائية هو تشتيت وحدة المسلمين وتمكين الأعداء من أرضهم وعقيدتهم .

وكنا نود قبل الاطلاع على تفاصيل هذا المبدأ أن نعثر على مشروع دين يتقدم به البهائى يحتوى على عقيدة تنبثق منها شريعة تصلح أن تعالج قضايا الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، واختلاف أمزجتهم وطباعهم ، إذ أننا نسلم منذ المبدأ بسلامة المبدأ القائل أنه بالإمكان أن يجتمع الناس كل الناس على دين واحد يكونون فيه إخوة متحابين يجمعهم المبدأ ، ويؤاف بين قلوبهم سلامة الشريعة ، وتناولها لكل قضاياهم .

كنا نود أن نجد لدى البهائية مشروع دين حتى نناقشه معهم فى شىء من الجدة والموضوعية ، فلم نجد إلا شتاتاً من الفكر . وشرذمة من الآراء لا تناسق بينها ، وتناقض بين القول والفعل إلى حد التمزق الشديد واتساع الهوة بين رأى يصدر عن المازندرانى اليوم ، ورأى آخر يصدر عنه بعد أيام ، وعمق الفجوة بين مظهر أو سلوك يظهر به المازندرانى أو خلفائه فى وقت ، ومظهر وسلوك آخر يظهر به المازندرانى أو خلفائه فى وقت يليه .

وكانت المفاجأة أن الفكرة نفسها فكرة وحدة الأديان لم تكن واضحة فى ذهن المازندرانى أو أتباعه بشكل يرضى القارىء أو الباحث أو حتى يقرب به من الرضى .

ولذا فإنه ليس بغريب أن نرى دعاة هذا المبدأ الذين ينادون بالتسامح إلى حد كبير لم يحرصوا على هذا التسامح فيما بينهم فاستمرت نار العداوة بين المازندرانى وأخيه صبح الأزل ، واختلفت البابية بعد هلاك الباب إلى البهائية الأزلية ، البابيون الخلص .

وبعد حسين على لم يتم الوحدة ، ولم يقع الخلاف ، بل أعاد التاريخ نفسه على تقارب من الزمن . وحضور التجربة التاريخية بين عبد البهاء عباس أفندى ، وأخيه لأبيه محمد على الذى قد أوصى له أبوه بالخلافة بعد أخيه الأكبر عباس أفندى فرغب عباس أن تكون الخلافة فى عقبه من بعده ، وانقسمت البهائية إلى طرائق وشعب ، وغاب المبدأ المنشود حيث لم يتجاوز الحناجر ، ولم يبلغ التراقى .

« قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون »

وحدة الوطن :

إن المبدأ الثانى من المبادىء الخمسة التى تشرحها البهائية هو مبدأ وحدة الأوطان ، وخلاصة هذا المبدأ أن البهائى يرى أن سبب البلاء والشقاء والفرقة والاختلاف هو أن كل إنسان يتعصب لوطنه ، ويقف فى وجه كل من يحاول الإغارة عليه أو اغتصابه .

ولو رفعت الحدود السياسية ، وانتهت الغيرة على الأوطان ، واستطعنا أن نقتلع من نفوس الناس جميعا محبة الوطن والانتماء إليه لأمكننا أن نقضى على أسباب العداوة والبغضاء .

ويتوجه المازندرانى باللائمة على ما كان قد درج عليه الناس قديما من حب الوطن والولاء له فيقول : [قد قيل فى السابق ـ حب الوطن من الإيمان ـ وأما فى هذا اليوم فلسان العظمة ينطق ويقول : ليس الفخر لمن يحب الوطن بل لمن يحب العالم] .

ويقول خليفته الأول عباس أفندى [ـ التعصب الجنسى ؟! ـ فهذا وهم وخرافة واضحة ، لأن الله خلقنا جميعا جنسا واحدا ، ومنذ الابتداء ، لم تكن هناك حدود بين البلدان المختلفة ، فلا يوجد فى الأرض جزء مملوك لقوم دون غيرهم] .

وهذا المبدأ المؤيد بالشواهد الكثيرة والمتعددة قد يغرى البسطاء ويقنع العامة .

ولكن هذا المبدأ نفسه هو أكثر المبادىء الخمسة قربا من الهدف الذى يبغيه المازندرانى .

والهدف الذى يقصد إليه المازندرانى هو تمكين الروس من أرض إيران ، وتمكين اليهود من أرض فلسطين ، وإتاحة الفرصة أمام الاستعمار الإنجليزى لاستغلال الأوطان الإسلامية والسيطرة عليها .

والعقبة الكئود أمام تحقيق هذه الأهداف ، هو ارتباط هؤلاء الشعوب كغيرهم من سكان المعمورة بأوطانهم وديارهم ، وحرصهم على محارمهم ، ورغبتهم فى الذود عن حياضهم ، والحفاظ على كرامتهم .

فأراد المازندرانى وخلفاؤه من بعده أن يضعفوا باسم الدين هذه الرغبة ، وأن يقتلوا تلك العاطفة ، فما الأوطان إن الوطن للجميع ، وليس من حق الإيرانى أو الفلسطينى أو غيرهما من الأقطار الإسلامية أن يغاروا إذا ما اغتصبت أوطانهم ، وانتهكت حرماتهم لأن الغيرة رجعية لا ينبغى أن يعود الإنسان المتحضر إليها .

ثم يدفع المازندرانى المسألة خطوة إلى الأمام فى اتجاه الهدف المنشود فيعتبر من يجاهد فى سبيل الوطن أو العرض أو النفس خائب خاسر ، ومن يقتل فى سبيل عرضه أو ماله رجل آثم لا يستحق سوى اللوم والتقريع .

ففى الماضى قد فرض الله الجهاد على جميع أنبيائه ورسله ومن سلك سبيلهم ، غير أن المازندرانى إله البهائية ينسخ هذه الفريضة ويلغيها فهو يقول : [البشارة الأولى التى منحت من أم الكتاب فى هذا الظهور الأعظم محو حكم الجهاد من الكتاب] .

ويذكر أسلمنت أن البهائيين يحرم عليهم بحكم شريعتهم استعمال الأسلحة النارية ، ولو دفاعا كما صرح به المازندرانى نفسه .

ولقد نقل عباس أفندى عن أبيه البهاء أنه نسخ حكم الجهاد بالكلية ، حتى ولو كان ذلك دفاعا عن النفس ، إذ أن المبدأ المعلن على لسان البهاء نفسه أنه من الأفضل للإنسان أن يموت مقتولا من أن يموت قاتلا .

ولعتقد أنه قد بات الآن واضحا قرب هذا المبدأ من الهدف المنشود للبهائية ، وهو خدمة الاستعمار والتمكين له فى الأوطان الإسلامية .

ولسنا بحاجة هنا أن نلفت النظر إلى وجه الشبه الشديد بين ما دعى إليه حسين

على المازندرانى ، وغلام أحمد القاديانى ، فالشبه شديد فى الأسلوب والأداء وفى الفكر ومحاولة التأثير على البسطاء ، بحيث لا يحتاج الأمر معه إلى لفت الأنظار .

غير أننا نريد أن ننبه هنا إلى شىء هام ، وهو أن الارتباط بالوطن ، والحفاظ على المحارم أمر تقتضيه الفطرة السليمة ، والغريزة التى لا يملك الإنسان منها فكاكا حتى ولا المازندرانى نفسه ، فالمازندرانى وإن كانت قد ضاعت منه حمية الدفاع عن الوطن والمحارم ، وهى تمثل نصف القضية التى أثرناها إلا أنه بفطرته الأولى مرتبط بوطنه يشده الشوق إليه ، ويجذبه الحنين إلى المقام فيه ، وتؤلمه الغربة بالبعد عنه فيدفعه ذلك كله إلى أن يمتدح إيران فى أكثر من موقف وهو بعيد عنها ، ويسب فلسطين وهى من أكثر بقاع الدنيا جمالا لأنها أرض المنفى ، ويتزلف إلى ملك إيران حتى يصفح عنه ليتنفس الصعداء فى بلده ويقضى آخر أيامه فيها .

فلماذا التباكى على وطن والدنيا كلها وطنه ؟ ولماذا حرقة الأكباد على بلد ، وبلاد الله كلها ليست مملوكة لأحد بعينه ؟ ولماذا شواء الكبد بسبب الغربة ومبدؤه أن الإنسان لا يعيش غريبا لأن جميع الأوطان وطن له ؟

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .

وحدة اللغة :

العنصر الثالث من العناصر التى تهتم بها البهائية هو وحدة اللغة ، وهذا العنصر يحظى باهتمام شديد فى الفكر البهائى ، باعتبار أنه هو العنصر الوحيد تقريبا الذى يمكن ـ من وجهة نظر البهائية ـ أن يقضى على الخلاف بين الشعوب ، ويجتث جذور الشر إلى الأبد ، ويتحول الجنس البشرى إلى جنس آخر تكون طبيعته خيرية مطلقة ، ولا يعرف الشر لأنه انتهج وحدة اللغة وسار على هذا المنهج حتى تخلص من قضية الشر نهائيا .

ومن أجل ذلك فإن البهاء يلفت النظر بشدة إلى وجوب الالتزام بوحدة اللغة ، والعمل على أن يتحدث الناس جميعاً بلسان واحد إن أرادوا الحضارة والمدنية ، ورغبوا في الرقي والكمال .

فيقول في كتابه الأقدس : [يا أهل المجالس في البلاد اختاروا لغة من اللغات ليتكلم بها من على الأرض ، كذلك من الخطوط ، إن الله يبين لكم ما ينفعكم وما يغنيكم عن دونكم (لعلها في دينكم) إنه لهو الفضال العليم الخبير ، هذا سبب الاتحاد لو أنتم تعلمون ، والعلة الكبرى الاتفاق والتمدن لو أنتم تشعرون ، إنا جعلنا الأمرين علامة لبلوغ العالم : الأول وهو الأس الأعظم نزلناه في ألواح أخرى ، والثاني : نزل في هذا اللوح البديع] .

ويؤكد عبد البهاء على أن [تنوع اللغات من أهم أسباب الاختلاف بين الأمم في أوربا ، ومع أنهم جميعا ينتسبون إلى ملة واحدة ، ولكن اختلاف اللغة بينهم أصبح من أعظم الموانع لاتحادهم ، فأحدهم يقول : أنا ألماني ، والآخر تلياني وهذا إنجليزي ، والآخر فرنسي ، ولو كان عندهم لسان واحد إضافي عمومي لأصبحوا متحدين] .

وهذه القضية التي أسرت لب البهائيين وفؤادهم ، وأثارت فؤاد ربهم وخيال عبد البهاء ، قضية لا يجيزها العقل ، ولا يقبلها الفؤاد ، ولا تتلاءم مع الواقع لعدة أمور منها :

أولا : إن المازندراني نفسه لم يستطع أن يثبت عليها ، بل أراد الله له أن يكذب نفسه بنفسه ، وهكذا كل مدعي للنبوة فضلا عن الألوهية ، يظهره الله بمظهر الكاذب حتى لا يخفى على أعين الناس .

وفي هذا الصدد يقول المازندراني بنقض موقفه الأول من وحدة اللغة ، ويجيز التعدد ويسمح به في نفس كتابه الأقدس [قد أذن الله لمن أراد أن يتعلم

الألسنة المختلفة ليبلغ أمر الله (البهائية) شرق الأرض وغربها ويذكره بين الدول والملل على شأن تنجذب به الأفئدة ويحيى به كل عظم رميم] .

والقارىء يحار بعد فراغه من هذه النصوص حين يريد أن يتبين الموقف الحقيقى للبهائية فى هذه القضية .

ثانيا : وليس هذا هو التناقض الوحيد ، وإنما هناك تناقض بين ما قاله البهاء وما كتبه من جانب ، وبين ما حمله على واقع التجربة من جانب آخر ، فهو حين ينادى بوحدة اللغة ، ويؤكد أنها أساس لرفع كل نزاع ، نجد هذا الصراع الدموى الذى سجله التاريخ بينه وبين المسلمين من بنى وطنه، وبينه وبين أخيه صبح الأزل وأتباعه مع أن هؤلاء جميعاً ينطقون لغة واحدة ، ويتحدثون بلسان واحد .

من حق المرء إذن أن يعجب لماذا لم تستطع وحدة اللغة فى نطاق محدود أن تقضى على هذا الصراع ، وذلك الخلاف ؟

ثالثاً : على أن هذه الفكرة سوف توقع المازندرانى فى حرج شديد .

فهو حين ينادى بوحدة اللغة فإنه من حقنا أن تناقشه الحساب ، ما موقف اللغة الموحدة من هذه الكتابات التى كتبها المازندرانى ؟ هل ستبقى وتتعدد اللغة معها،أم ستمحى؟ وبذلك نكون قد محونا كلام الله على زعمه أمام اللغة المقترحة .

إنه لمن المعلوم حقا أن المازندرانى كانت له طرائق متعددة فى الكتابة ، فمرة كان يكتب بالعربية الخالصة ، ومرة كان يكتب بالفارسية الخالصة ، ومرة يبدأ بالعربية ويختم بها وبين البدء والختام يكتب بالفارسية ومرة يكتب بالفارسية ويختم بها ، وبين البدء والختام يكتب بالعربية ، فما عسى أن يكون موقفه الحقيقى من تعدد اللغات فى كتبه المقدسة إذا بلغ ما يريد من حمل الناس على لسان واحد؟] .

رابعاً : ولنا أن نتساءل عن ماهية اللغة العالمية التى يريد حمل الناس عليها . هل هى اللغة العربية ، أم هى اللغة الفارسية ؟هل ستكون لغة من اللغات الشرقية ،

أم سيختار لغة من لغات الغرب ؟ وأى اللغات أولى من الأخرى ؟ وما هو سبب الترجيح ..؟ تساؤلات كثيرة ومتعددة المناحى تطرأ على ذهن القارىء ، ولا تجد لها سوى جواب واحد فى الفكر البهائى وهو أن البهائية قد اختارت أن تكون اللغة العالمية هى لغة الإسبريانتو ، وهذه اللغة قد اختارها الدكتور زمان هوف الهولندى لتكون لغة عالمية حاول من خلالها هذا العالم أن يتلافى صعوبات اللغات الموجودة بالفعل فى إملائها وإعرابها وتصرفاتها ، ثم خيل له أنه باستطاعته أن يقدم للعالم لغة بعيدة عن مشاكل اللغات التى توارثها الأحفاد عن الأجداد والأسلاف .

وبصرف النظر عن خطأ المحاولة أو صوابها ، فإنه من حقنا أن نتساءل عن علاقة هذا العالم بالبهائية : هل كان فعلا بهائيا ؟ !

خامساً : ونريد الآن أن نصل إلى النقطة الحاسمة فى المسألة كلها ، وهى التساؤل عن تعدد اللغات ، هل هو نقمة أم نعمة ؟ وهل هو سبب النزاع والقلاقل فى العالم ، أم أنه برىء من ذلك كله براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليهم السلام ؟ وهل التهمة التى يوجهها البهائيون ويلصقونها بتعدد اللغات واختلاف الألسنة صادقة أم هى محض افتراء ؟ .

يتبين هذا الموضوع بجلاء ووضوح حين نتعرف على كيفية نشأة اللغات ، والوظيفة التى تؤديها كل لغة .

من المتعارف عليه بين علماء اللغة أن الأشياء توجد أولا ثم يضع لها الخلائق ألفاظ وأصوات تدل عليها ، ويمكن من خلال تلك الأصوات وهذه الألفاظ أن ينقل المتكلم حقيقة المسميات إلى المخاطب .

وهذه الأشياء وتلك المسميات التى خلقها الله فى الكون كله أرضه وسمائه ، وما بين الأرض والسماء كثيرة ومتعددة .

وهذه الكثرة تنقسم إلى ما هو مشترك عام ، وإلى ما هو خاص بكل بيئة ، أو مجتمع محدود من الناس

ومن غير المعقول أن نحكم على البيئات والمجتمعات حكماً واحداً من حيث ما يحتويه كل منها من الأشياء والمسميات .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الظروف المناخية تؤثر على الطباع والأمزجة ، فمنها الطباع الحادة سريعة الحركة ، ومنها الطباع الباردة بطيئة الإيقاع ، وبين هذين القطبين ما لا يعد ولا يحصى من الأمزجة والطباع بعضها يكون متوسطاً لا إلى هذا القطب ولا إلى ذاك ، وبعضها يقرب من هذا القطب فى حين أن البعض الآخر يقترب من القطب الآخر .

واللغة ظاهرة اجتماعية راقية ترتبط ارتباطا شديدا بالبيئة وما تحتويه من الأشياء والكائنات ، وترتبط بالمناخ من حيث أنه يؤثر على الأمزجة والطباع .

فهناك يقع الاختلاف فى لغات الناس من حيث طريقة الأداء وسرعة الإيقاع أو بطئه ، ومن حيث الألفاظ التى يتعارف عليها كل مجتمع لكى تدل على الأشياء التى تقع تحت عينه من المسميات والموجودات .

وقد يكون من الجائز خاصة فى دور العلم أن نضع الأشياء العامة والعالمية ألفاظ مشتركة تسهل على بنى البشر تحصيل المعارف ، واستيعاب العلوم من غير أن يكون هناك خلاف فى مدلولات الألفاظ ، ولكن لابد أن نكون واقعيين حتى فى هذه النقطة التى أجزنا فيها استعمال الألفاظ المشتركة ، فإنه لابد أن يقع الخلاف بين بنى البشر على الأقل فى طريقة أدائها الصوتى .

غير أن الأمر الذى لا يمكن احتماله عقلا هو أن نجمع الناس جميعا على لغة واحدة ولسان واحد فى حياتهم اليومية .

ذلك أن هذه اللغة كما قلنا مرتبطة بظاهرتين : إحداهما : كونية ، والأخرى اجتماعية .

والإنسان لا يمكن أن يتدخل فى تعديل الظاهرة الكونية خاصة إذا كانت من الظواهر الكبرى التى اختص الله بها .

ولا يمكنه فى الوقت نفسه أن يحول الظواهر الاجتماعية المتغيرة إلى ظواهر ثابتة يحكمها قانون ثابت كقانون الجاذبية أو الطفو ، فهذه مسألة ليست له وإنما قد اختص الله نفسه بها .

وتكون الظاهرة اللغوية من هنا مماثلة فى اختلافها وتنوعها لاختلاف الألوان وتنوعها ، والألوان واختلافها ظاهرة ترتبط ارتباطا شديدا بالظواهر الكونية الكبرى .

فن يستطيع أن يوحد ألوان البشر يمكنه أن يوحد ألسنتهم .

إنهما آيتان من آيات الله ومظهران من مظاهر قدرته نص عليهما القرآن الكريم وربطهما بالكون العام .

فقال تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » .

إن هذه الآية الكريمة محكمة السياق محكمة الديباجة كسائر آيات القرآن الكريم ، فهى تذكر أولا : خلق السماوات والأرض بما فيهن وما بينهن ، ثم تعطف على ذلك اختلاف الألسنة والألوان ، وتختم الحديث المحكم بإثارة عقول العلماء نحو التفكر والتدبر ، مؤكداً أن هذه آية ومظهر من مظاهر القدرة الإلهية لا يعقله إلا العالمون .

يقول الشيخ سيد قطب : [ومع آية السماوات والأرض عجيبة اختلاف الألسنة والألوان ، بين بنى الإنسان ، ولابد أنها ذات علاقة بخلق السماوات والأرض ، فاختلاف الأجواء على سطح الأرض واختلاف البيئات ذلك الاختلاف الناشىء من طبيعة وضع الأرض الفلكى ، ذو علاقة باختلاف الألسنة والألوان ، مع اتحاد الأصل والنشأة فى بنى الإنسان .

وعلماء هذا الزمان يرون اختلاف اللغات والألوان ، ثم يمرون عليه دون أن يروا فيه يد الله ، وآياته فى خلق السموات والأرض ، وقد يدرسون هذه

الظاهرة دراسة موضوعية ، ولكنهم لا يقفون ليجدوا الخالق المدبر للظواهر والبواطن ذلك أن أكثر الناس لا يعلمون ، ظاهرا من الحيـــاة الدنيا ، وآية فى خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان لا يراها إلا الذين يعلمون « إن فى ذلك لآيات للعالمين »][1] .

ويتبين من هذا وغيره وكثيره أن ما تدعيه البهائية من وحدة اللغة أمر مغرق فى الخيال إلى حد بعيد : « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون » .

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٥ ص ٢٧٦٤ .

على أن علماء الفكر الإسلامى المشتغلون خاصة بقضايا القرآن الكريم يثيرون قضية اختلاف الألسنة باعتبارها مظهر من مظاهر القدرة الإلهية على نحو آخر ، إذ أنهم يتساءلون عن المراد من اختلاف الألسنة هل المراد هو اختلاف نبرات الأصوات والتباين بينها من حيث طبقات الصوت الذى يميز بين كل فرد وفرد ؟ أم أن المراد هو اختلاف اللغة الذى يميز بين كل مجتمع وآخر ؟

والإمام الرازى فى تفسيره يرى أن الاتجاه الأول فيه من الدلالة على قدرة الخالق وعظم تأثيرها ما لا يوجد فى الاحتمال الثانى خاصة أن فى الاتجاه الأول تمييز بين الأفراد ، وأما الاتجاه الثانى ففيه تمييز بين الجماعات ، فاختار الشيخ الاحتمال الأول ، وجزم به على أنه هو المراد ، ثم رفض الاحتمال الثانى رفضا قاطعا (تفسير الرازى جـ ٢٥ ص ١١١ ، ١١٢) .

أما الشيخ الإمام الحافظ بن كثير رضى الله عنه فقد رجح أن المراد اختلاف الألسنة إنما هو اختلاف اللغات التى تميز بين الجماعات التى لا يحصيها العد وتصعب على الإحاطة البشرية ، واعتبر الشيخ هذا التنوع وحده فى إبراز قدرة الله عز وجل وتوضيح بعض آثارها (الشيخ ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٨) .

ولئن كنا نرى أن رأى ابن كثير أوضح الرأيين إلى الآن باعتبار أن التمييز بين الأصوات والنبرات إنما يرتبط بالحناجر والأحبال الصوتية وكمية الهواء —

سادساً : على أن جماع النقاط السالفة الذكر يمكن أن تكون قاعدة نرتكز عليها حين نريد أن نربط هذه الدعوة البهائية بالهدف العام لتلك النحلة .

إن الهدف العام لتلك النحلة هو خدمة المستعمر الذى يطمع فى الأرض ومن على الأرض ، وخدمة الماسونية العالمية بتحقيق أهدافها ونشر أفكارها .

والمتأمل فى حركة الماسونية العالمية يجد أنها قد حاولت اتخاذ اللغات وعلى الأخص اللغة العربية محور ارتكاز ، لا لتوحيد الأمم ، ولكن التفريق بينها .

والتخطيط الماسونى ليس تخطيطا عشوائيا ، ولا يشبه ضربات الحظ التى قد تخطىء وتصيب ، ولكنه تخطيط مدروس يتحسس نقطة اللباب فى وحدة كل أمة ، ويحاول ضربها بيد قوية ليحصل على النتائج الجيدة فى أقصر مدة ممكنة .

فلقد كان الغرب يجتمع على اللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الرسمية للعلم والأدب ، ولكنه كانت له لغات الشارع يتعامل بها الشعب والبسطاء فى قضاء معايشهم وأغراضهم الحياتية وهى تعتبر بمثابة اللهجات للغة الأم فخططت الماسونية فى الخفاء القضاء على اللغة الجامعة ونادت بجعل اللغات العامية لغات مستقلة لا علاقة لها باللغة الأم .

= الخارجة من الصدر والتعبير فى الآية إنما هو بالألسنة ووظيفة اللسان كما نعلم إنما هى لتحديد مخارج الحروف . والإبانة عن مناطقها المختلفة وترتيب الجمل والتنسيق بين كلماتها الأمر الذى يرجح ما ذهب إليه ابن كثير ، إلا أننا نرى أن كلا الرأيين يحتاج إلى إعادة نظر ، ذلك أن التعبير باللسان وإن كان يدل على اللغة دلالة قريبة إلا أنه لا يمنع احتمال التبراعت والتمييز بينها . والتفريق بين الأصوات ولو احتمالا ثانيا .

وعليه فإن بعض العلماء الأفاضل من المعاصرين قد جمع بين الرأيين وبين أن الآية تشتمل على الاحتمالين جميعا كما فعل الشيخ المراغى رحمه الله تعالى (تفسير المراغى المجلد ٧ جـ ٢١ ص ٣٨ ، ٣٩) والله أعلم بمراده .

وفى الشرق الإسلامى كانت اللغة العربية هى لغة العلم والدين والأدب ، فأرادت الماسونية أن تعمل بها كما فعلت باللغة اللاتينية ، وظهرت الصيحات المتعددة التى تنادى بإحلال العامية محل الفصحى ، بحيث تكون لكل بيئة لغتها ، ولكل جماعة لسانها الذى ينفصل عن اللغة الأم ويستقل عنها استقلالا تاما .

ولكن الماسونية هنا لم تستطع أن تثبت فى ميدان القتال مع اللغة العربية وأربابها ، كما ثبتت فى الغرب مع اللغة اللاتينية ، على أساس أن اللغة العربية هى لغة الدين والمشاعر والعقل والوجدان .

فأرادت الماسونية أن تغير وجهة القتال بحيث لا تجرح المشاعر قبل أن تخدرها فإذا خدرت لا تشعر بالألم ، وإذا لم تشعر بالألم لم يكن هناك رد فعل معاكس ، فتستأصل الماسونية فى هذه الظروف لباب الوحدة الشعورية من المشاعر المخدرة دون أن تجد أية مقاومة تذكر .

فاختارت لهذه المهمة أقطابا ورجالا ينتسبون إلى الإسلام ، ويدعون النبوة والاتصال بالسماء ثم يدعون بعد ذلك الألوهية ، ومن بينهم حسين على البهاء .

ومن موقفه وموقف أمثاله يمكن الماسونية أن تنادى بأنها حريصة على وحدة هؤلاء الناس ، وأنها حريصة على إزالة كل ما ينقض هذه الوحدة أو يرفعها ومن بين هذه العقبات اختلاف اللغات فى العالم .

ولابد أن ترفع هذه اللغات ، ويحل محلها لغة أخرى يجتمع عليها الناس ليرتفع الخلاف فيما بينهم .

ويؤكد حسين البهاء استجابة لرغبات الماسونية أن محاولة جمع العالم كله على لغة واحدة إنما هى إرادة مقدسة .

ويحاول حسين على أن يكون غامضا فى أول الأمر فلا يكشف عن طبيعة اللغة المختارة أو ماهياتها حتى يتوهم المسلمون أنه قد يختار اللغة العربية لتكون هى

اللغة المختارة ، ولكنه بعد فترة من الزمن يعلن أن اللغة المختارة هى لغة الإسبرانتو التى أشرنا إلى منشئها والهدف من إنشائها سلفا .

وحين يعلن البهاء أن اللغة المختارة هى لغة الإسبرانتو وأن اختيارها رغبة مقدسة ، فإن هذا الإعلان نفسه يشير إلى رغبة أكيدة عنده فى طمس اللغة العربية بالدرجة الأولى لعزل المسلمين عن دينهم الذى يحمسهم للقتال ، ويدفعهم نحو الغيرة على محارمهم ومقدساتهم ، وهذا هو الأمر الذى أقلق اليهود وغيرهم من المستعمرين ، فحاولوا إيجاد المتنبئين ليدعوا الناس إلى ترك الجهاد ، وإلقاء السلاح بأمر من الله عز وجل ، الأمر الذى نجده على لسان البهاء ، وعلى لسان غلام أحمد القاديانى فى زمن واحد مع اختلاف الأوطان .

على أن هذه الدعوة إلى فصل العرب عن لغتهم العربية يمكن أن تفهم فى مجالات متعددة من مجالات البحث العلمى التى تستغلها الماسونية استغلالا شخصيا .

فالأبحاث التى يمكن أن تهتم بنشأة اللغات وتطورها تعتبر مرتعا خصبا يمكن لليهود أن يستغلوه لأغراضهم الشخصية فهم يدفعون ببعض الآراء فى هذا المجال التى مؤداها : أن نشأة اللغات يمكن أن تكون توقيفية فى أول أمرها ، وهناك من اللغات لغات مقدسة لم تخضع لعرف البشر أو اصطلاحاتهم ، ثم تؤكد الماسونية أن اللغة المقدسة الوحيدة فى العالم هى اللغة العبرية ويستشهدون على هذا الرأى من التوراة نفسها (وهو الكتاب الذى كتبه اليهود بأيديهم) « فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون » :

فى سفر التكوين جاء ما يلى : [والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء ، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها ، وليحمل كل منها الاسم الذى يضعه له الإنسان ، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول][1] .

---

(١) سفر التكوين ـ الإصحاح الثانى ـ الآية ١٩ وما يليها .

وهذا النص حتى ولو اعتبرناه صحيح النسبة إلى الله عز وجل ، لا يدل لا بالقطع ، ولا بالاحتمال على قداسة اللغة العربية ، فقصارى هذا النص أن آدم قد عرضت عليه المسميات التي خلقها الله تعالى فوضع آدم لها الأسماء .

غير أن الماسونية تحاول بالتمويه أن توهم الخلائق بأن اللغة المقدسة هي اللغة العربية ، وليس ذلك بصحيح .

ومهما كان لهذا الاتجاه من ردود فعل على بعض علماء العرب كابن جنى الذى اعتبر أن اللغة العربية توقيفية النشأة ، فإن هذا الاتجاه ليس هو الاتجاه الصحيح في تفسير نشأة اللغات ، وبيان كيفية وضع الألفاظ والأسماء .

وإن أفضل ما يمكن أن يقال هنا : أن نشأة اللغات إنما هي ضرورة اجتماعية احتاج إليها النوع البشرى ليضع من خلالها بالعرف والتصالح ألفاظا لأشياء أراد أفراد النوع أن يربطوا بينها ليسهل لهم حركة التعبير عنها ، والتعامل معها [1] .

وإذا كنا لا نشك في إخلاص البهاء والبهائية للماسونية العالمية ، فإننا بنفس الدرجة لا نشك في أن دعوة البهائية لوحدة اللغة لا يقصد من ورائها إلا طمس اللغة العربية ومحو آثارها ، بقصد فصل الأمة الإسلامية عن دينها وكتابها وهيهات هيهات ، فقد وعد الله ووعده الحق « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » والقرآن الكريم هو سجل اللغة العربية والحافظ لها من الضياع والاندثار .

السلام العالمى وترك الحروب :

أما الفكرة الرابعة التى يتغنى البهائيون بها فهى السلام العالمى ونبذ الحروب وترك القتال والجهاد ، إذ أن الإنسان أيا كان الإنسان على ظهر المعمورة فهو أخ لجميع إخوانه من البشر لا يجوز له مقاتلته ، ولا الاعتداء عليه ، بل من

---

(١) راجع د/ صبحى الصالح (دراسات فى فقه اللغة) ص ٣٣ .

الواجب أن تسود بينهم الألفة والمحبة ، وأن يعيشوا جميعا على ظهر هذه الأرض في سلام ووئام .

وسبق لنا أن نقلنا من النصوص صحيحة النسبة إلى حسين البهاء وعبده ما يكفي لشرح وجهة نظرهم في إسقاط الجهاد ونبذ الخلاف ، ونسخ شريعة القتال بإذن من الله عز وجل .

وفي هذا المجال يعهد حسين المازندراني إلى أعضاء بيت العدل[1] بهذه المهمة والحرص على تنفيذها بحيث يكون هؤلاء الأعضاء هم الموكلون بالتخطيط لإسقاط الجهاد ، والعمل على قتل روح المقاومة .

ولسنا هنا بحاجة إلى كد الذهن في مناقشة هـــذه والرد عليها ، فقد

---

(١) إن وزراء أو أعضاء بيت العدل من البهائيين هم السلطة العليا ، وهي وإن كانت قد أنشئت مؤخرا إلا أنها هي المسئولة عن متابعة تنفيذ تعاليم البهائية ، ونشرها بدقة في العالم .

وأعضاء هذه الهيئة تسعة أعضاء .

والمتأمل في هذا التشكيل يجد أنه يشبه إلى حد كبير بعض التشكيلات الماسونية .

فالتشكيل الماسوني يتكون من ثلاث درجات أو مراتب : الأولى من هذه المراتب الثلاث : تنظيم الجهلة والعامة من المنتسبين إلى الماسونية ، والثانية : تمثل مجموعة الوسطاء بين الطبقة الأولى والطبقة الثالثة ، أما الطبقة الثالثة فهم أعضاء المحفل الكوني ، وهم يتكونون من تسعة أعضاء من كبار المفكرين اليهود في العالم وهم مسئولون مسئولية كاملة عن تطبيق الفكر الماسوني في الدنيا ، والعمل على تنفيذه بكل دقة ، والتخطيط له بكل عناية ورعاية ، وما عدا هؤلاء التسعة فهم من العميان الذين لا يفهمون ولا يدركون إلى أين يتجهون فانظر إلى هذا التشابه الدقيق بين البهائية والماسونية حتى في التنظيم .

سبق لنا أن ناقشنا قضية الوحدة الوطنية فى الفكر البهائى ، وبينا مدى قربها من الهدف الذى تهدف البهائية إليه ، وهذه الفكرة شبيهة غاية الشبه بما ذكره البهاء هناك فى وحدة الأوطان من حيث ارتباطها بالهدف وقربها الشديد منه، ووضوحها فى التعبير عنه .

غير أنه ينبغى لنا هنا أن لا نترك العقل المادى الذى ينخدع بهذه الألفاظ التى تعتبر بمثابة الغلاف البراق الذى ينطوى على السم الزعاف ، بل لابد لنا من كلمة هنا توضح موقف البهائية أمام المنخدعين بأفكارها فى هذه الجزئية .

إن الله عز وجل خلق من الكائنات العاقلة نوعا فى طبيعته الخير المطلق وهم الملائكة ، فلا يتأتى بينهم النزاع ، ولا يقع بينهم الشقاق ، ولا تنشب بينهم الحروب ، إذ أن الطبيعة واحدة ، والخط أمامهم مرسوم لا يشذ واحد منهم عنه .

أما بنى الإنسان لحين خلقهم الله عز وجل هداهم النجدين : طريق الخير ، وطريق الشر ، وطباعهم مزيج من هذين النوعين ، ففى بنى الإنسان استعداد الشر ، وفيهم كذلك استعداد الخير ، وتلك الطبيعة المزدوجة قد نتج عنها بالطبع انقسام العالم الإنسانى إلى طوائف مختلفة ، بعضهم يعمل الشر ويسعى من أجله ، والبعض الآخر يعمل الخير ويسعى لإيجاده ، ووجود الطائفتين على هذا النحو يعتبر تعبير أكيداً لما ركب فى الإنسان من الاستعداد للخير والشر جميعا .

وحين يدعى مصلح أنه سيقضى على الشر قضاء نهائيا ، فإنما يدعى بطريق أوضح ، أنه قادر على تحويل طباع الإنسان المتعددة إلى طبيعة واحدة ، وبالتالى فإنه يخرجه من الناسوتية إلى الملائكية ، وهذا عمل خيالى لاحظ له من الواقعية وإجراء رومانسى فضفاض يحتاج إلى كثير من الانضباط الذى يقربه من الفكر والمنطق .

وقصارى هدف المصلحين أنهم يريدون تغليب الخير على الشر ، والعمل على انحصار الشر فى أضيق دائرة ممكنة .

ومن هنا فإنه يتضح أن انقسام العالم إلى طوائف أمر تقتضيه الطبيعة الإنسانية، وصدق الله تعالى إذ يقول: « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ».

وإذا كنا قد توقفنا لحظة لإقناع العقل العادى بزيف دعوى البهائية فى العمل على توحيد العالم تحت راية السلام، فإنه لا مانع الآن أن نتوقف لإقناع العقل المتخصص هو الآخر بزيف هذه الدعوة إن كان لم يقتنع بزيفها.

إن العمل على تحقيق السلام العالمى يمكن أن يكون مقبولا إذا كان القصد منه هو تضييق دائرة الشر وانحصار أتباعه، ولكن لابد لكى يتحقق هذا النوع من السلام أن يكون هناك معيار يحتكم المتنازعون إليه، وميزان يخضع المتخاصمون لمعاييره ونتائجه، وهذا الميزان وذلك المعيار لا ينبغى أن يكون أمرا عاطفيا، أو إجراء وجدانيا، أو إعلاما صارخا أقل ما يقال فى وصفه أنه لون من القعقعة الفارغة التى لا تحمل بين ثناياها أية معنى، وليس لها فى داخلها حق.

على أن الإسلام قد وضع هذا المعيار وهو يقوم على أساس من العدالة فى الحقوق والواجبات، وفى كل مناحى الحياة، فالعدل[1] معيار ثابت يعود بالحقوق إلى أصحابها، ويخضع المارقين بالقوة أو بالإقناع إلى مقتضياته، ويحملهم راضين أو غير راضين يخضعون إلى أحكامه، وينضوون تحت لوائه.

غير أن قوى الشر فى العالم حين تخادع وتلوح بمبادىء السلام العالمى لا تقبل بهذا المعيار، ولا تحب أن تستسلم له، ذلك أن مفهوم السلام العالمى عندها لا يعنى سوى مبدأ القوة الذى مثله « نيتشه » الألمانى أصدق تمثيل.

والمتصفح لتاريخ الماسونية العالمية يجد أنها صاحبة هذه الدعوة التى لها ظاهر وباطن، ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها فيه العذاب والآلام والويلات.

---

(١) راجع الجزء الأول من هذه الدراسة للمؤلف والمعنون (نظرية النبوة فى الإسلام).

ومن حق المرء أن يتساءل عن عصبة الأمم من الذى أنشأها ، ومن الذى خطط لها ، وما هو الظرف الذى أنشئت وأسست فيه ؟ ، ومن حق المرء كذلك أن يتساءل عن الأمم المتحدة ، من أنشأها وما دورها الذى تؤديه فى العالم ، ومن الذى خطط لها ؟ .

مؤسسات كبيرة معلومة الهدف مفهومة الظروف والنشأة التى نشأت فيها .

فهل سنعتبر بيت العدل[1] الذى نادى به مؤسس البهائية حسين على وأوكل إلى الفكرة التى تمثلها الآن الأمم المتحدة ، وقبلها عصبة الأمم نموذجا مصغرا لفكر الماسونى فى أخريات القرن التاسع عشر ، عدلت عنه الماسونية فيما بعد وقوع الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ؟! . من حقنا أن نتأمل .

المساواة بين المرأة والرجل :

إن الفكرة الخامسة والأخيرة التى يلوح بها البهائيون على أنها هى الراية البيضاء التى توقف النزاع والصراع بين العالم، وترفع الظلم الإجتماعى بين بنى البشر هى المساواة بين الرجل والمرأة .

إن الله عز وجل قد خلق الرجال والنساء من أصل واحد ، فهم أخوة يجب أن يكونوا مشتركين فى الحقوق والواجبات ، غير أن الإنسان قد انحرف عن هذه

---

(١) يجب أن نشهد هنا بوضوح إلى أن بيت العدل وهو السلطة العليا فى الديانة البهائية كما أشرنا سابقا ظل حلما وخيالا يداعب عاطفة المازندرانى حياته كلها ولم يخرج إلى أرض الواقع ، ثم من بعده داعبت هذه الفكرة خيال عبده عباس أفندى ما بقى على ظهر هذه الأرض ثم ضمته بين جوانحها ورفعت عليه ترابها فى غير فخر قبل أن يتحقق بيت العدل أو يتكون ثم قدر له الظهور بعد ذلك فى عام ١٩٦٢م بعد أن انحرفت عنه الماسونية إلى غيره كعصبة الأمم وهيئتها من بعدها .

الحقيقة على طول التاريخ وعرضه ، فزعم الرجال لأنفسهم سلطة ليست لهم ، وتوهموا أن لهم مكانة ترتفع بهم عن مكانة النساء فظلت المرأة وقهرت ، وترتب على ظلمها وقهرها ظلم اجتماعي يجب رفعه ، ومفاسد أخلاقية ينبغي تلافيها .

وترى البهائية أن هذا الظلم وتلك المفاسد لا يرفعهما إلا المساواة بين الرجل والمرأة .

تلك هي فلسفة النحلة البهائية وإعلانها الظاهر لإقناع البسطاء من الناس ، ولتحقيق أكبر رقعة ممكنة تضم أكبر عدد ممكن من بني البشر الذين يدخلون في البهائية .

وهذا المبدأ الذي أعلنته البهائية هو الآخر له ظاهر وباطن ، ظاهره شيق جذاب ، وواقعه مؤلم حزين .

وقبل أن ندخل في تفاصيل القضية بشكل جاد من حقنا أن نتساءل ، هل أخذت البهائية في داخلها بهذا المبدأ ؟ . وهذا السؤال حين يطرح على البهائية لا يجد فيها إلا تناقضا بين القول والفعل ، ففي ميدان السياسة والريادة لم يأخذ حسين البهاء بهذا المبدأ ، حيث أوصى لابنه وعبده عباس بالخلافة من بعده ، ثم لابنه الآخر محمد على حسين ولم يوص بالعهد لواحدة من بناته أوليست المرأة كالرجل ؟ !

وعبد البهاء عباس قد انتزع الخلافة من أخيه وأوصى بها لحفيده شوقي أفندي ثم من بعده لكل بكر بكر ، يوصي بها لأخت أو بنت أو ليست المرأة كالرجل ؟ !

وفي الجانب الاجتماعي لم تأخذ البهائية بهذا المبدأ حيث جاء في الأقدس ذاته أن رب البهائية (حسين البهاء) قد أباح أن الرجل إذا أراد أن يستخدم بكرا أو يستعملها فلا مانع عنده من ذلك [1] .

---

(١) قد يتوهم واهم أن المراد من استخدام البكر استئجارها للخدمة المدنية أو استعمالها لتلك الخدمة بأجر أو بغيره .

وهكذا نجد المرأة فى الجانب الاجتماعى مقهورة بإذن من رب البهائية نفسه .

وفى جانب العبادات نجد المرأة معفية من أعمال الحج ، ومن الصلاة أثناء الطمث وكذا من الصيام إنعاما وتفضلا من رب البهائية ، أو ليست المرأة كالرجل ؟!

وبعد هذا التناقض الواضح فى ديانة البهائية بين الأقوال والأفعال وبين الأقوال والأقوال ، فإن المرء يحار حيرة شديدة حين لا يجد عند البهائية مفهوما لمعنى المساواة بين الرجل والمرأة ، ما المقصود بها وما المجال الذى يجب أن تطبق فيه ؟

والذى يظهر لنا أن حسين المازندرانى لم يفهم ما المراد بالمساواة، وإنما ألقيت إليه الفكرة إلقاء فرددها كما يرى أصحابها له أن يرددها .

والقابعون خلف البهائية كانت لهم قبل ذلك جولات فى الغرب للتفريق بين المسيحيين فى أوطانهم ودياناتهم .

= وقد يحاول البهائيون أنفسهم تخريج اللفظ على هذا المعنى خروجا من الحرج الذى يمكن أن يقعوا فيه .

غير أن هذا ليس قصد رب البهائية حسين على فى النص الذى ذكره فى هذا الصدد ، فسياق النص ولحاقه دائما يكون لها دلالة على إيضاح الجملة أو الكلمة التى تقع بينهما ، وإباحة الاستخدام للأبكار قد وردت أثناء تقنين حسين على مسائل الزواج والطلاق والأحوال الشخصية على العموم ، والسياق واللحاق جميعا لم يرد فيهما ذكر الخدمة المدنية ولا التعرض لها وهاهو النص يقول حسين على [قد كتب الله عليكم النكاح إيا كم أن تتجاوزوا الاثنتين والذى اقتنع بواحدة من الإماء استراحت نفسه ونفسها ، ومن اتخذ بكرا لخدمته لا بأس عليه كذلك الأمر من قلم الوحى بالحق مرقوما تزوجوا يا قوم ليظهر منكم من يذكرنا بين عبادى هذا من أمرى عليكم اتخذوا لأنفسكم معينا] .

ولذا فإنه في سبيل هذا التفريق رأت الماسونية العالمية أن تستخدم المرأة رمز الفضيلة ، وتستخدم العلاقات بينها وبين الرجل التي ينظمها الدين على أساس يعبر عن الرقي الإنساني ، وحضارة النوع البشري .

أرادت الماسونية العالمية أن تستخدم ذلك كله بطريقة منعكسة فيحدث الانحراف ، ويهبط بمستوى العلاقات بين المرأة والرجل إلى حد ينزل عن درجة الحيوان .

ولم يكن المخططون داخل المحفل الكوني وهو أعلى سلطة في الماسونية أناس عاديون من حيث مستوى الذكاء ، فاستطاعوا من خلال قدرتهم على التخطيط المحكم أن يخلعوا على الرذيلة ثوب العلم ، ويضعوا على صدرها شارات الحضارة، فاستخدموا لذلك ثلاثة من كبار العلماء كل واحد منهم في مجال يختلف عن الآخر.

ففي مجال الاقتصاد استعملوا (كارل ماركس) لكي ينشر المبدأ القائل : إن قضايا الدين والاجتماع والأخلاق . . . إلخ إنما هي قضايا ناتجة عن حركة الاقتصاد ، فهذه القضايا الاجتماعية والظواهر الإنسانية ليست إلا ثمرة من ثمرات الحركة المادية الاقتصادية .

وعليه فإنه لأمر طبيعي إذا تحول الاقتصاد من الزراعة إلى الصناعة أن يتحول النساء مع هذا التحول من خدورهن إلى عنابر المصانع مع الرجال يعملن كما يعملون ، ويختلطن بهم ويختلطون بهن ، ويترتب على هذا الاختلاط مفاسد أهمها انحطاط الخلق ، وزعزعة العلاقة بين الرجل والمرأة ، غير أن هذا الناتج الأخير أشياء معنوية واجتماعية ، وبما أنها لازمة من لوازم النموذج الاقتصادي فإنه لمن الرجعية والجهل أن يعتبرها الرجال والنساء عيبا ، فإن الحكم عليها وعلى أمثالها بأنها عيب أو رذيلة ، أو أشياء تخدش الشرف والكرامة إلى غير ذلك ، إنما هو أثر من آثار الماضي ، وجهل من يعتقدون بمثل هذه الأحكام لأنهم يريدون أن يطبقوا آثار المجتمع الزراعي وأحكامه على آثار المجتمع الصناعي

والتائجه وهيبات ، فعلى هؤلاء الرجعيين من وجهة نظر هذا المذهب أن يؤمنوا بنتائج المرحلة الجديدة ، وأن يطبقوا بكل دقة المساواة بين الرجل والمرأة فى جميع المجالات .

[ولقد ساعد على نشر هذا المبدأ أشياء كثيرة منها قلة اليد العاملة والحروب المدمرة التى استهلكت الكثير من الرجال وطحنتهم بين فكى رحاها] .

وفى نفس الوقت تقريبا دفعت الماسونية بعالم آخر فى مجال آخر لكى يمجد الرذيلة ويعلن المساواة ، ويقنن لهما وهذا العالم الجديد هو (اميل دوركايم) الذى تزعم مدرسة من أهم مدارس علم الاجتماع فى العصر الحديث .

غير أن الماسونية قد أدركت أن الضغط الاقتصادى والتقنين الاجتماعى فى وقت واحد ربما لا يكفيان فلابد من إقناع الفرد داخليا ، وإذاً فقد تأسست مدرسة معاصرة لهذين الاتجاهين اللذين اختلفا فى التخصص واتحدا فى الهدف وهى مدرسة التحليل النفسى الذى تزعمها (سجمند فرويد) .

وهذا الأخير تحدث عن الجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة بطريقة سافرة ، وبين أنه من الواجب أن تتم هذه العلاقة على أعلى صورها من غير خضوع لآداب أو عرف ، ذلك أن هذه الآداب وتلك الأعراف حينما وضعت شكلت تقييدا على ممارسة الرجل والمرأة للعلاقة الطبيعية بينهما وهو حق مشروع .

وقد أرجع (سيجمند فرويد) جميع العقد والأزمات النفسية والاكتآبات والاضطرابات وفزع الليل وآلام الوجدان ، وعدم القدرة على التكيف . . إلخ إلى الجنس بالدرجة الأولى ، وإلى غيره بدرجة أقل .

وهكذا استطاع الأقطاب الثلاثة بمساعدة الإعلام اليهودى الذى سيطر على جميع أنحاء الدنيا أن يمجدوا الرذيلة باسم العلم ، وأن ينالوا من أصحاب الفضيلة باسم الرجعية والتخلف .

وآمن الشباب بهذا الاتجاه فى الغرب كرد فعل معاكس لسوء معاملة رجال

الكنيسة لهم طوال عصور الظلام[1] .

والمتأمل فى هذه الحركة كلها فى الغرب والتى ظهرت مع ظهور عصر النهضة يجد أن النقطة المحورية ومعاد الارتكاز فى القضية كلها كان هو العلاقة بين المرأة والرجل ، وتفرق العالم المسيحى ، وتفرقت أهدافه وانفصل الدين فيه عن الدولة ، وماتت فيهم معانى الفضيلة والغيرة عليها .

وحين تريد الماسونية أن تقوم بنفس العمل فى الشرق فإنه لابد لها أن تعتمد على نفس الخطة الناجحة ، والبداية هى العلاقة بين المرأة والرجل ، ولا مانع إذاً والحالة هذه أن يتوجه (حسين على) إلى الأمة الإسلامية بهذه الدعوة (المساواة بين الرجل والمرأة) ويحاول أن يقنن لهذه الدعوة ، ولو كان القانون غير معتمد على الواقع ، ويحاول أيضا أن يمد بينها ، وبين العلم سببا يمدها إليه ، ولكن هيهات فإنه حافظ دينه وليس أمامه إلا أن يمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟

على أن هذه القضية (قضية العلاقة بين الرجل والمرأة) بصرف النظر عن استغلالها كانت موضع اهتمام الباحثين والدارسين على طول التاريخ وعرضه .

غير أنها قد وضعت على أقلامهم وألسنتهم وضعا خاطئا ، فعز عليهم لذلك أن يجدوا لها وفيها حكما فاصلا يترتب عليه شىء من التوازن الاجتماعى .

ولقد طرحت القضية بين العلماء على هذا النحو : أيهما أفضل الرجل أم المرأة ؟

وجاءت الحلول كلها خاطئة ، ولم يكن الخطأ على ما نظن صادرا عن قصور فكرى فى إيجاد الحلول بقدر ما هو صادر عن محاولة خاطئة لإيجاد حل لقضية وضعت وضعا خطأ .

فهناك مثلا من حاول رفع الرجل إلى مستوى عال من حيث الدرجة ، وهبط بالمرأة

---

(١) كتب الشيخ محمد قطب بحثا فيما تناول فى بعض أجزائه هذه القضية بإسهاب (راجع الثابت والمتغير فى حياة البشر) محمد قطب .

إلى أن اعتبرها البعض من أصحاب هذا الاتجاه رجس يجب أن نتخلص منه أو نقلل من حجم ارتباطنا به ، والبعض الآخر رأى أن لها روح الحيوان ونفسه ، وتعدد البعض فنفى احتمال أن يكون لها نفس أصلا .

وهناك محاولة أخرى لانصاف المرأة فأعلنت أن لها حقوق كالرجال تماما فى المصنع والحقل ، وفى المنجم والطرقات ، وفى الصحراء والبوادى يجب أن تعمل المرأة كما يعمل الرجال .

وفى الأقضية والشهادات وفى الحرية والتصرف يجب أن تحظى المرأة بما يحظى به الرجال ، وفى مجال الإصلاح والسياسة ، وعلى كراسى الحكم ومنصات القضاء ، وفى المجالس النيابية وأروقة التشريع لابد أن تقاسم المرأة الرجل قسمة رياضية بحيث تحظى بنفس ما يحظى به الرجال فى هذه المجالات .

والمتأمل فى هذين الاتجاهين المتضادين يجد أن كلا منهما محاولة خاطئة للاجابة على قضية وضعت وضعا خطأ .

والشىء الغريب أن رجال الدين خاصة الدين الإسلامى قد تورط البعض منهم فأجاب على هذه القضية من وجهة نظر الإسلام كما يقولون قبل أن يحاول أن يعدل من وضعها ، فبعضهم قد أورد نصوصا واردة فى قوامة الرجل واستشهد بها على أفضلية الرجال ونقصان النساء ، وتخلفهن عن درجتهم .

والبعض الآخر أورد نصوصا كان القصد منها الرحمة بالنساء وعدم جواز الاعتداء على حقوقهن من قبل الرجال فاعتبر هذه النصوص رفعا للمرأة ، وصرح البعض أحيانا بأن المرأة قد حظيت بأشياء فى الإسلام ليست للرجال .

وهذا الاتجاه وذاك كلاهما خاطىء فى تصوير وجهة نظر الإسلام ، وكلاهما متورط لأن كلا منهما تعبير عن رد الفعل الناتج من الاتجاه المضاد .

والإسلام حين يتحدث عن هذه القضية يعدل أولا من طرحها فهو لا يجيب عليها حين تطرح كما طرحها العلماء والمصلحون، وإنما يجيب عليها حين تطرح هكذا، ما هو دور المرأة والرجل في الحفاظ على خط التوازن الاجتماعي؟ وما دور العلاقة بين الرجل والمرأة في الإبقاء على هذا التوازن؟

وإذا طرحت القضية على هذا النحو يمكن أن تلقى ضوءا قويا من وجهة نظرنا على جميع النصوص الواردة في الشريعة الإسلامية المتصلة بالرجل أو بالمرأة أو بكليهما، وطرح القضية على هذا النحو كذلك يمكن في نفس الوقت أن يعطي مؤشرا حضاريا في طريقة معالجة الأمور وأسلوب التفكير، ومحاولة الرقي بالنوع البشري.

فالإسلام يصور لنا التوازن الاجتماعي خطا مستقيما، وعلى كل من الرجل والمرأة كغيرهما من أفراد المجتمع الحفاظ على هذا الخط مستقيما كما هو، وكل من الرجل والمرأة مهما اختلفت طباعهما لا بد وأن يكون هذا الخط هو نقطة الالتقاء بينهما.

فالرجل مثلا يتميز بقوة البنية، ويحتمل وقوع الاعتداء منه فيأتي الإسلام ويقول له «رفقا بالقوارير» وهي القادر على الإنفاق والمسئول عنه، ويحتمل أن يقع منه التقصير فيبتعد لذلك عن الخط العام فيكلفه الإسلام بالنفقة اختيارا أو قهرا.

أما المرأة فلا يحتمل منها العدوان إلا في ظروف معينة، ولكن يحتمل منها النشوز، فإذا نشزت عرضت نفسها للعقوبة ليبعدها عن خط التوازن، وتأتي النصوص المتعددة بالترغيب والترهيب لمنع المرأة عن النشوز.

وقد تكون المرأة مالكة للقوة أحيانا بحكم القانون كأن لا تكون راغبة في زوجها فإن القانون يمنحها حق الخلع، والخلع هذا حق مشروع للمرأة فلها أن تفتدي نفسها من زوجها بالمال، وفي هذه الصورة احتمال وقوع العدوان من

المرأة كأن تدعي عليه ما ليس فيه رغبة في غيره من الرجال حتى تمنح حق الخلع، وهذه الصورة فيها ابتعاد عن خط التوازن المرسوم لا بالنشوز ولكن باحتمال المدران .

ولما كان احتمال المدوان واقع من المرأة في هذه الصورة بحيث يبعدها عن خط التوازن بطريقة تشبه طريقة الرجال رأينا الأسلوب الشرعي الموجه لها قد اختلف وأصبح مشابها للأسلوب الذي يوجهه الشرع للرجل إذا ابتعد عن خط التوازن العام .

المسألة إذا ليست مسألة أيهما أفضل الرجل أم المرأة ، وإنما هي مسألة ما يمكن فعله للحفاظ على خط التوازن مستقيما كما هو ، وليست المسألة مسألة مساواة بين الرجل والمرأة ، وإنما المسألة أكبر من ذلك إنه الاستقرار الاجتماعي وعدم الاضطراب لا في الأسرة الصغيرة ولا في المجتمع الكبير .

تلك هي القضية وهذا هو أسلوب علاجها الذي لم يستطع المازندراني ولا غيره أن يقترب من لبابها أو حتى قشورها .

وبعد فهذه هي التعاليم الخمسة التي اعتبرها البهائية دستور حضارة وأسلوب مدنية تهديه البهائية للبشر لتنقذ البشرية من الظلمات إلى النور عرضناها باختصارها ولم نشغل في إلقاء الضوء عليها سوى عود من الثقاب ولكنه قد كشف عن ما نرى من زيف وتضليل انطوت عليها البهائية كما كشف عن الخيط الرقيق الذي ربط البهائية بالماسونية العالمية وأهدافها التي تريد أن تعود بالبشرية إلى وضع مترد لم يسبق لها أن مرت به في تاريخها الطويل ، ومن المعلوم أن المازندراني مندرج تحت هذه المقولة :

ثوب الرياء يشف عما تحته فإذا اكتسيت به فإنك عار

العقيدة فى النحلة البهائية

بين يدى الموضوع :

يستطيع المرء أن يتأمل حضارات الأمم والشعوب ، ويستطيع أن يجمع منها ما شاء الله له أن يجمع .

ويستطيع أن يحكم لبعض هذه الحضارات أو عليها بعد الدرس والفحص فيما حصله أو تهيأ له تحصيله من تلك الحضارات .

غير أن الإنسان حين يريد أن يحكم لحضارة أمة أو عليها لا بد أن يملك المعيار الصحيح ، والمقياس الحقيقى الذى يستند إليه فى إصدار لتلك الأحكام .

وبعد دراسات مستفيضة لجمهور كبير من العلماء فى مجالات الحضارات القديمة والحديثة ، انتهى المنصفون منهم ممن يتمتعون بقدر كاف من سلامة العقل والتفكير إلى أن الحضارة الحقة لا بد أن تدور على محور أساس من التصور السليم للكون والحياة ، ولخالق الكون ومدبر الحياة [1] .

وإذا كان المنصفون من العلماء والكتابيين فى مجال الحضارات قد انتهوا إلى هذه الحقيقة ، فإنه لمن الطبيعى والحالة هذه ، أن نعتبر أساس الحضارة هو المعيار الحقيقى لتقييم كل حضارة .

ومن هنا فإن الذى ينظر إلى أمة من الأمم لكى يقيمها حضارياً ، عليه أن يوجه نظره بالدرجة الأولى إلى تصور تلك الأمة لفكرة الألوهية ، وحقيقة الإله الذى تعبده .

فإن كان ما تعبده الأمة ضمن دائرة المخلوقات ، سواء أ كان من أجناسها

---

(١) سبق أن كتبنا فى هذا المجال مقالا مطولا نوعاً من التطويل فى كتابنا — عقيدتنا وأثرها فى الكون والحياة .

العالية ، أو السفلى ، وسواء أكان من المادة الجامدة ، أم كان من النبات أو الحيوان ، أم كان إنساناً من بنى الإنسان ، إذا رأى تلك الأمة تخضع لإله مخلوق ، وتخفض الرأس لرب محتاج كما يحتاج سائر أفرادها ، فإنه يحكم على هذه الأمة بأنها أمة متخلفة فى حضارتها ، هابطة فى حركتها ، نازلة فى ذوقها، سقيمة فى تفكيرها ، قاصرة فى بعد النظر عندها .

أما إذا كانت الأمة تتصور إلهها على أنه موجود متميز بوجوده لا يشارك غيره من سائر الموجودات وجودهم أو صفاتهم ، ولا يفعل فعلا يشابه فعلهم ، ولا يستطيعون أن يفعلوا فعلا هو من قبيل أفعاله ، ولا يجوز لهم أن يتصفوا بصفة تشبه صفاته وهو مستغنى بذاته عما سواه ، وما سواه ، والكل محتاج إليه ، وهو لا يحتاج إلى غيره ، وعلى الجملة إنهم يعبدون إلها يجب له كل كمال ، ويستحيل عليه كل نقص .

وجميع أفراد الأمة لا يجيز عقلهم بحال أن يتصور إلهه مساوياً له ، أو أقل منه ، أو مشابهاً لمخلوق مهما كان قدره .

إذا كانت الأمة على هذا المستوى ، فهى أمة راقية فى فكرها ، سليمة فى قصدها ، عالية فى مطالبها راقية فى أذواقها .

فكرة الألوهية إذا هى المقياس الحقيقى لرقى كل أمة أو هبوطها، وهى ميزان الشعرة الدقيق الذى يوزن عليه أسلوب حياة الأمة ، ويحتكم إليه فى الحكم عليها أو لها .

تلك قاعدة عامة نصدر بها الحديث لتلك العقيدة البهائية ، لكى تعفينا من استقصاء كل مثال ، وتجنبنا عناء البحث فى تفاصيل عقيدة تلك النحلة المارقة ، بحيث يكون فى استطاعتنا بعد تقرير تلك القاعدة أن يكتفى بالقليل من الأمثلة ، فى كل فرع من فروع العقيدة التى استهوى إله البهائية أصحابه لكى يدينوا بها ، ويخضعوا لمبادئها ، وهى أبعد ما يكون عن أصول المنطق والفكر « فاستخف قومه فأطاعوه[1] » .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٥٤ .

١ – عقيدة الماثية في الله :

إن عقيدة البشر في الله عز وجل قد مرت بأحوال ، اختلف البشر فيها اختلافاً شاسعاً .

فأحياناً نجد هذه العقيدة مستقيمة خالية من كل شائبة ، عالية على كل تصور ردىء ، متأبية على كل هوى جامح ، أو فكر شاذ .

وأحياناً تضل الإنسانية في تصورها ، وتهبط بفكرها إلى دركات أقل ما يقال فيها أنها ضرب من الانحراف ، قد هبط بالإنسانية هبوطاً لا ترتفع بعده إلا إذا صححت عقيدتها ، وأعادت النظر في تفكيرها .

وحين يتسلط على الإنسانية عصبة من أرباب الهوى ، أو مجموعة من ينشدون الضلال فيحاولون الانحراف بالعقيدة ، فإن هذا التسلط نفسه لا يكون ناشئاً من فراغ في معظم الأحيان ، وإنما يكون وراءه من الدوافع والغايات ما يناسب الجهد المبذول في محاولة الانحراف بهذه العقيدة ، والمثابرة المستمرة لمنع الإنسانية من سلوك الطريق السوى ، والسير على الدرب المستقيم .

ونحن لا ننكر أن الإنسانية قد تضل في عقيدتها حين تكون جاهلة بالخط المستقيم ، فالجهل أحياناً يكون سبباً لتنكب الطريق ، وضلال الخطى في بيداء الظلمات التي يصنعها الجهل في غياب العلم بحقائق الأمور .

إن هذا كله حق لا ينكر ، إلا أن التاريخ يحدثنا عن حركات مشبوهة قد قام بها أناس مغرضون لهم أهدافهم التي يرومون الوصول إليها ، ولهم وسائلهم التي يصطنعونها في الوصول إلى هذه الغايات يصطنعها هؤلاء .

وكثيراً ما تكون الوسائل التي يصطنعها هؤلاء بقصد الوصول إلى غايتهم تعتمد على إضلال الناس في عقيدتهم ، وما يؤمنون به .

وحين يكون القصد هو اصطناع العقيدة كوسيلة إلى غاية محددة يقصد إليها أرباب الهوى والإضلال ، فإن التخطيط غالباً ما يحاول أن يخفى غرضه الحقيقي ، ويبرز هدفاً آخر يكون ملائماً لمشاعر أولئك الذين يبغى إضلالهم في عقيدتهم ،

لأن مثل هذا التخطيط لا يريد مصادمة المشاعر ، أو مواجهتها مواجهة صريحة ، وإنما — كما سبق أن نوهنا — يريد هذا التخطيط أن يخدر نفوس هؤلاء ، ثم ينال من عقيدتهم دون أن يشعرهم بألم ، أو يجعلهم يدركون أنه يريد أن يطعنهم فى أعز ما يملكون .

وحسين على البهاء باعتباره القمة فى سلسلة مخطط ماسونى استعمارى كان عليه أن يضرب الأمة الإسلامية فى باب عقيدتها ، وكان عليه قبل أن يطعن هذه الأمة أن يخدر مشاعرها أولا .

فأعلن لذلك مبادئه الخمسة التى سبق لنا أن عرضناها كما يراها أصحابها ، ثم بينا زيفها والقصد من ورائها على وجه الإجمال حينا ، وعلى وجه التفصيل أحيانا .

ولما أنس حسين على ، أو أنس المخططون له أنه من الممكن أن يعلن عقيدته فى الله ويدعو إليها أنصاره وأحباءه ، ثم يحاول أن يحمل عليها باقى الأمة ، على أساس من خطة مدروسة سنعرض لها إن شاء الله فيما بعد ، لما أنس هؤلاء جميعا إلى أن الفرصة أصبحت مواتية ، بدأ يعلن حسين على عقيدته فى الله تباعا .

الله والمظاهر :

كثيرا ما نقرأ فى الفكر البهائى عبارات الإظهار والمظهر .

وهذه العبارات وأمثالها لا تأتى عرضا فى كتابات البهائيين ، وإنما تأتى هذه العبارات لتعبر عن فكرة أساسية ، قصد إليها البهائية والبهائيون ، كما قصد إليها من قبل البابيون أتباع على محمد الشيرازى .

وهذه الفكرة فكرة متخلفة عندما يكون القائلون بها يعيشون فى فترة من الجهل ، بحيث لا يسمح لهم جهلهم بطبائع الامور أن يقدروا الله حق قدره .

وهى فكرة آثمة مضللة حين يكون الدعاة إليها على علم كاف بالله وما يجب له ، وتصور مطلق لله وصفاته ، وأسمائه الحسنى ، وعلاقته بالكون والحياة ، ثم

يقصدون قصدا إلى تضليل الأمم والشعوب ، أو بعض الأمم والشعوب لتحقيق غاية لهم أو لغيرهم من حلفائهم .

وخلاصة فكرة الظهور أو المظهر فى الفكر البهائى والبابى من قبله أن الله عز وجل لا صفة له ولا اسم ولا يظهر بذاته فى الكون ، ولا يعمل بالاستقلال ولا يقول بغير واسطة .

وهو من أجل ذلك يحتاج إلى من أو ما يحل فيه ليظهره .

فإذا حل فى إنسان أو فى غيره ، كان هذا الإنسان أو غيره هو المظهر لله عز وجل اسما وصفة ، وفعلا وكلاما ، وحسنا وبهاء .

ويشرح زعماء البابية والبهائية هذه الفكرة مستندين إلى أكثر البيئات تخلفا فى عقيدتهم ، ويعتمدون ما عندهم من عقائد ، ثم يقررون أنها درجة على سلم التطور .

فهم يقرون عقيدة الأمم التى كانت تتخذ من الحيوانات وعناصر المادة ، ومظاهر الطبيعة آلهة لهم .

ولا يرى البهائى فى ذلك شيئا يستوجب النكارة ، أو يدعو إلى التعجب ، ذلك أنهم يرون أن هذه الأشياء وأمثالها مظهرة لله عز وجل باعتباره حالا فيها .

ثم تضيف البهائية أن الله - عز وجل - قد حل فى الأنبياء السابقين حلولا يناسب كل عصر ، ويتفق مع كل زمان من حيث التقدم أو التخلف .

فلما أقبل الباب ادعى المهدوية ثم ادعى أنه عيسى ثم أعلن دعوته بعد ذلك بأنه هو المظهر .

وجاء البهاء بعده ، وأعلن هذه الدعوة نفسها مترقيا فى نفس سلم الترقى من المهدوية إلى العيسوية إلى الألوهية باعتبار أنه هو المظهر فى النهاية .

تلك هي خلاصة فكرة المظهر ، وهي الفكرة التي تقوم أساساً على فلسفة قديمة تنادي بوحدة الوجود [١].

ويشرح الكاتب الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب فكرة المظهر والإظهار عند البهائية فيقول : [استقرت عقيدة البهائيين – كما قررها لهم البهاء حسين على المازندراني (١٢٣٣ – ١٣٠٩) في ألواحه ووحيه ، وكما فسرها دعاته في كتبهم ونشراتهم – على أن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال ، وأن كل ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هي رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديماً وحديثاً هم مظاهر أمر الله ومهابط وحيه في زعمهم . وآخرهم وأكملهم هو مفسر سورة الواقعة في مؤتمر بدشت ميرزا حسين المازندراني الذي لقب نفسه (بهاء الله) ، فهو عند نفسه وعند أذنابه مظهر الله الأكمل وهو الموعود ، ومجيئه الساعة الكبرى ، وقيامة القيامة ، ورسالته البعث ، والانتماء إليه الجنة ، ومخالفته هي النار] [٢].

وما كان لبشر عاقل أن يتخذ لنفسه إلهاً كهذا الإله الذي لا يظهر بنفسه ، ولا يفعل أو يقول بالاستقلال ، ولكنها فرية قد وجدت لها من ذوي المصالح من يتحمس لها .

---

(١) كتب الأستاذ محسن عبد الحميد كتابا قيما أسماه حقيقة البابية والبهائية تحدث فيه عن هذه الفكرة حديثاً مستفيضاً ، وربط بينها وبين وحدة الوجود ، واستشهد بنصوص من القائلين بوحدة الوجود والمتحمسين لها ، وقارن بين هذه النصوص ، وبين نصوص البهائية المتحدثة عن المظهر ليبين عما بين الفكرتين من وشائج القربى ، ووحدة المنشأ – راجع محسن عبد الحميد – حقيقة البابية والبهائية .

(٢) البهائية – محب الدين الخطيب – ص ٢٦ ، ٢٧ . ط . المكتب الإسلامي – بيروت – دمشق .

صعوبات أمام المظهر الأخير :

على أن هذه الفكرة فكرة المظهر قد أغرت الكثيرين من زعماء البابية والبهائية بادعائها رغبة فى تحصيل مكانة اجتماعية مرموقة، أو مصلحة مادية يتميز بها المظهر عن غيره .

ونحن لا نريد أن نتعقب الأشخاص الذين قد جرى بينهم النزاع ، وإنما يكفينا لإظهار السخف فى الفكر البابى والبهائى ، ومجافاته للعقل والمنطق أن نقف عند علاقة الباب بالبهاء ، وكيفية انتقال فكرة المظهر من الباب إلى البهاء .

يسجل التاريخ الثابت أن علاقة حسين على المازندرانى بالباب كانت علاقة تابع بالمتبوع برغم أن حسين البهاء كان يكبر الباب سنا ، ولكن هذه السن ، وما كان يتميز به حسين من اتباع الثقافة لم يكن واحد منهما يميز حسين المازندرانى بين اتباع على محمد الشيرازى ، ولم يكن حسين من حروف حى كما سبق أن ذكرنا ولكنه برغم ذلك ظل يعلن ولاءه حتى وقت متأخر نسبيا للباب والبابية .

ومن أقواله التى تؤكد التبعية للباب قوله : [وإنى أضع روحى فى كل الرضا على كفى لعل الله يتقبله بفضله وإحسانه فدية فى سبيل النقطة (أى الشيرازى) وتضحية لأجله ، ولو ما كانت هذه النية ، نية الفداء فى سبيله لما توقفت لحظة فى هذه المدينة (بغداد) وكفى بالله شهيدا] [١] .

وهذا المعنى قد ورد كثيراً على لسان حسين على قبل انتقاله من بغداد إلى تركيا .

---

(١) الإتقان – ص ١٦٧ .

ومن جهة أخرى فإن هناك كثرة من النصوص لا تحتمل التأويل تؤكد أنه سيظل بشريعته بين الناس إلى فترة من الزمن طويلة تماثل الفترة الفاصلة بين رسالة موسى وعيسى ، وبين رسالة عيسى ومحمد عليهم السلام .

وعلماء الفكر البهائي متفقون على أن على محمد قال : بأن من يدعى النبوة أو المظهرية بعده يكون كاذبا إذا ادعا قبل مرور ١٥١١ سنة على الأقل ، أى أن المظهر الجديد سيكون بعد مرور هذه الفترة ، وسيقع فى المدة ما بين ١٥١١ إلى ٢٠٠١ منذ ظهور الباب كما رمز إليها بحساب الجمل لحروف « غياث » و « مستغيث » .

وإلى هنا يبدو الفكر البهائى خاليا من مظاهر الإعضال .

ولكن حين يقوم تلميذه حسين على من بعده ، ويدعى أنه هو المظهر يكون ادعاؤه هذا قد شكل صعوبة أمام الفكر البهائى يصعب عليهم الخروج منها .

والشىء الذى يثير العجب أن حسين المازندرانى قد أكد فى أكثر من موقف له أنه هو المظهر الذى بشر به الباب [اذكروا ما جرى من قلم مبشرى (يعنى الشيرازى) فى ذكر هذا الظهور وما ارتكبه أولوا الطغيان] [1].

ويقول : [إن حضرة المبشر (أى الشيرازى) بشر عنه سنة ستين ، وتنور العالم سنة ثمانين من النور الجديد والروح والبديع] [2].

وما تحت أيدينا من النصوص المتصلة بهذه المعضلة تؤكد أمرين فى غاية الأهمية :

الأول : أن هذه النصوص تنتسب إلى حسين على المازندرانى الذى يدعى

---

(١) الأقدس

(٢) لوح العالم ص ٢٢٢ من المجموعة .

أن على محمد الباب قد بشر به ، ولم يعلمه البهائيون فيما نعلم ، وفيما نشر من فكرهم نصا واحدا منسوبا إلى الباب يبشر فيه بظهور حسين المازندرانى ، بل إن الكثرة من النصوص المنسوبة إلى الباب تؤكد خلاف ذلك .

الثانى : أننا لم نجد واحداً من البهائيين قد حاول الإجابة عن هذا الإعضال لينقذ أحد المظهرين من وهدة الكذب ، وبقى الأمر هكذا لاختيار القارىء ، فعليه إما أن يكذب الباب ، وإما أن يكذب البهاء ، وما يصدق على أحد المثلين صادق بالضرورة على الآخر .

وليس هذا هو الإعضال الوحيد أمام البهاء والبهائيين ، وإنما هناك نوع آخر من الإعضال يتحتم على البهائيين مناقشته .

وخلاصة الإعضال الآخر أنه قد استفاض بين البابيين والبهائيين أن الباب قد أوصى بالأمر من بعده إلى يحيى صبح أزل الأخ الأصغر لحسين على المازندرانى .

ولقد كان يحيى يتمتع بحظوة ومكانة لدى الباب لم تكن بالقطع لأخيه الأكبر حسين الملقب بالبهاء ، حيث كان يحيى صبح الأزل واحداً ممن يضمهم حروف حى .

ومن المعروف تاريخيا أن حسين قد عمل بحيلته على انتزاع الأمر من أخيه ؛ وبقيت المسألة أمام البهائيين هكذا ، فهم بين أن يتهموا المظهر الأول أو الإله الأول ، أو المظهر الثانى أو الإله الثانى ،

والحال فى هذه القضية كالحال فى القضية السابقة عليها ، فهم إذا اتهموا أحد الرجلين باتهام ينافى مكانة الألوهية يصدق هذا الاتهام بالضرورة على ثانيهما ، إذ الفرض أنهما متساويان ، وما يصدق على أحدهما يصدق بالضرورة على الآخر .

غير أن علماء البهائية لم يقفوا صامتين أمام هذه القضية كما التزموا الصمت

فى القضية الأولى : فارتضى أحد علماء البهائية لنفسه أن يكون إلهه الأول ماكراً مخادعاً يرتكب من الحيل ما يوصله إلى غرضه حين عجز أن يصل إليه بالوضوح والصراحة .

ويرى الكاتب البهائى أن ارتضاءه الخداع للمظهر الأول كصفة من صفاته يمكنه أن ينقذ المظهر الأول والثانى من وهدة الحرج التى انحدر المظهران إليها .

وفى هذا الصدد يقول محمد حسين أواره : [نهض لفيف من كبار الأصحاب الذين وقفوا على أن مصير حضرة الباب (الشيرازى) إلى الشهادة وخشوا على حياة حضرة بهاء الله فكتبوا عريضة رفعوها إلى حضرة الباب ، وهو إذ ذاك فى سجن ماه كو يتقدمون إليه فيها بأن يتخذ التدابير اللازمة لتحويل الأنظار عن بهاء الله حتى تصان حياته . . . وكانت الخطة التى رسمها لحفظ بهاء الله هى أن لقب مرزا يحيى بألقاب الأزل والوحيد . . . ثم أمر بعض الأصحاب بأن يشهروا اسمه بين عامة الصحب لتتحول الأنظار نوعا إليه][1] .

ومهما كانت قوة الحيلة التى حاول داعية البهائية بواسطتها أن ينقذ موقف كل من الباب والبهاء ، فإنه سيبقى أحد الإلهين وهو الباب موسوما بصفة النقص متشحاً بوشاح الخداع والتضليل .

ومع بقاء هذه المعضلات الفكرية وسيطرتها بقوة على الأذهان ، فإننا نرى حسين على يدعى أنه هو المظهر الأخير ، ولا يجوز لعقل يأبى أن يظل فى ضلاله منتظراً للمظهر الذى بشر به الباب .

يقول : [أيها المنتظرون للظهور لا تنظروا فإنه قد أتى فانظروا إلى مرادته الذى استقر فيه بهاؤه إنه لهو البهاء القديم فى ظهور جديد][2] .

---

(١) « الكواكب الدرية فى مآثر البهائية » ص ٤٠٧ .

(٢) نقلا عن كتاب « بهاء الله والعصر الجديد » أسلمنت ص ٣١ .

ويظهر من نصوص حسين على المازندرانى أنه لم يكن غافلا عن هذه التناقضات وأمثالها ، وعن عجزه فى حلها ومعالجتها معالجة ترفع عنها التناقض ، فلجأ إلى القول بأنه لا يجوز أن يعترض أحد من الاتباع على المظهر ، كما لا يجوز لعقل ما أن يجمع له بين المواقف المتناقضة ، لأنه دائماً مطلق القدرة فعال لما يريد ، حتى ولو كان ما يريده منافياً للعقل ، ماحياً لأبسط قواعد المنطق .

يقول المازندرانى فى بعض أقواله : [وأما العصمة الكبرى لمن كان مقامه مقدساً عن الأوامر والنواهى ، ومنزها عن الخطأ والنسيان ، إنه نور لا تعقبه الظلمة ، وصواب لا يعتريه الخطأ لو يحكم على الماء حكم الخمر ، وعلى السماء حكم الأرض ، وعلى النور حكم النار حق لاريب فيه ، وليس لأحد أن يعترض عليه أو يقول : لم وبم ، والذى اعترض إنه من المعترضين فى كتاب رب العالمين ، إنه لا يسأل عما يفعل وكل عن كل يسألون ، إنه أتى من سماء الغيب ومعه آية يفعل ما يشاء وجنود القدرة والاختيار] [1] .

التابع أفضل من المتبوع :

وفى مجال الخضم المتلاطم بأمواج التناقضات فى الفكر البهائى نجد هذا التناقض الذى يضاف إلى ما سواه من التناقضات ، فيزيد عبء الإعضال أمام كل مفكر بهائى .

وخلاصة هذا التناقض الأخير : أن حسين البهاء الذى كان يعتبر نفسه عبداً خاصاً للمظهر الأول ، والمبدأ وفياً له ، قد أعلن فى وقت متأخر ، وبعد أن صارت الأمور إليه بأنه أفضل من الباب ، وأعلى كعباً منه فى فكرة الظهور .

فالباب عنده وفى الفكر البهائى من بعده ليس سوى القائم ، أما البهاء فهو القيوم .

---

(١) « إشراقات » ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

وهما وإن كانا يشتركان فى حقيقة الإظهار لصفات الله وكمالاته ، إلا أن القائم وجد ليفنى ، والقيوم وجد البقاء والاستمرار .

والعقل العادى لا يستطيع أن يفهم الفرق بين اثنين قد وجدا ليكون كل منهما مظهراً لصفات الله وكمالاته على النحو الذى شرحته البهائية خاصة وأن الزمان متقارب ، بل إنه من الثابت تاريخيا أن القائم والقيوم قد جمعهما زمان واحد ، فما هى الضرورة الملحة لظهور القائم ثم القيوم ، إنها أمور لا تفهم ، وإنما يسلم البهائية بها فى إطار النص المقدس عندهم الذى مؤداه ، إنه لا يجوز الاعتراض على البهاء ، مهما بدا فى فكره من التناقضات ، حتى ولو حكم على النار حكم النور ، وعلى السماء حكم الأرض . . . . . كله حق لاريب فيه .

التناقض حتى مع أصل المذهب :

ويلاحظ الأستاذ محمد فريد وجدى أن التناقض فى الفكر البهائى قد وصل إلى حد التناقض مع أصل المذهب نفسه .

حيث إن البهائية قد أعلنت أنها قد جاءت لتحقيق أمور أهمها : رفع الغموض الذى يكتنف أصول بعض الديانات ، فلما خرجت علينا بمذهبها وجدنا فكرتها حتى عن الإله أشد غموضاً من كل غموض .

يقول محمد فريد وجدى بعد أن ذكر طرفا من عقيدة البهائية : [من التناقض الغريب أن يكون أساس الديانة التى تدعى كشف غوامض الأديان من الغموض والإبهام ، بحيث تستعصى على الأفهام ولا يقبلها العقل فى أى زمان ، فإن القول بأن الله هو جميع الكائنات ، وأنه جل وعز قد يظهر فى بعض الأفراد ، ليهدى الناس إلى سبيل الرشاد ، يرد عليه من النقد الداحض مالا قبل لأحد على دفعه بالوسائل الكلامية . فإذا كان المذهب الذى يدعى بأنه كشف المشكلات ، وحل المعميات ، يجعل أساسه أغمض مسألة فى تاريخ المعقولات الإنسانية ، كان ذلك

خروجا منه على أصله ، وعدوانا صارخا منه على أساسه] [1].

نقط الارتكاز فى إضلال البشر فى عقيدة البهائية :

تظل عقيدة البشر فى الله ـ عز وجل ـ سليمة مستقيمة ما دامت تبتعد عما لا تستطيع إدراكه بعقولها ، وما دامت تنصت إلى الوحى الصحيح الذى يحدد ما ينبغى علينا أن نفهمه بالنسبة لله ـ عز وجل .

وتضل الإنسانية فى عقيدتها فى الله إذا ما حاولت بعقولها أن تدرك شيئاً فوق الأفهام ، أو تتصور عن الله شيئا هو فوق تصورها ، أو تخلع عليه صفة أو حكما لم يأذن به الله ولا واحد من رسله الذين لا ينطقون عن الهوى .

والبهائية فضلا عما تتحمل من عار التناقضات فى فكرها ، قد أقحمت خيالها على ذات الله ـ عز وجل ـ فتصورته كما يخيله لها خيالها ، وخلعت عليه من الصفات ما لم يأذن به الله ، وساعدها على ذلك خيالها الجامح من ناحية ، واستعانت بخليط الأفكار المشوشة والمارقة من ناحية أخرى ، فكانت فكرة وحدة الوجود الأساس الأول الذى انطلقت منه البهائية فى فكرتها عن الله عز وجل ـ وترتب عليها فكرة المظهر لصفات الله وجلاله .

وكان هذا الالتواء بفكرة الألوهية على هذا النحو قصداً مقصوداً لزعيم البابية أولا على محمد الشيرازى ، ومن بعده إله البهائية حسين على المازندرانى .

يقول الأستاذ محمد فريد وجدى : [وإذا نظرنا من ناحية فلسفية ، فى تاريخ المسائل الدينية ، رأينا أن عاملين خطيرين قد فرقا بين الأديان ، وجعلا أمامها شيعاً يظلل بعضهم بعضا .

---

(١) انظر ملحق مجلة الأزهر ـ شعبان ١٤٠٥ هـ ـ مقال محمد فريد وجدى ص ١١٥ .

(أولهما) ما تجرأ عليه قادتها من التهافت على تصوير الخالق بصورة ذهنية .
و (ثانيهما) اعتمادهم على تأويل ما لم يحيطوا بعلمه ، ولم يكلفوا البحث فيه من الشئون العلوية .

فبالعامل الأول اختلف أهل الملل فى تحديد ذات الخالق ، فأصبحوا بين معدد ومجسم ، ومشبه ومعطل ، وجميعهم لا يصدرون عن علم مقرر ، ولا أصل محقق ، ولكن عن الخيال المحض ، وقد تأدى أكثرهم إلى تأليه أنبيائهم وقد يسميهم .

فلما جاء الإسلام حسم مادة هذا العامل المفرق ، فقرر أن الإنسان مهما حلق فى جو الخيال والتصوير ، وأبعد فى مجال النظر والتفكير ، فلن يصل إلى إدراك ذات الخالق ، فأمر متبعيه بأن يقتنعوا بمحض الاعتقاد بوجوده مع تنزيهه الكامل عن كل ما يجول فى خيال المشبهين ، وهو ما تدل عليه بداهة العقل . أما أى جهد يبذل فيما وراء ذلك ، ففضلا عن أنه لا يأتى إلا بخيال لا حقيقة له ، يكون أثره المباشر اختلاف النحل إلى مذاهب لا عداد لها ، فلا تعود تجمعهم جامعة الدين الحق ، الموافق للفطرة البشرية ، والمناسب لدرجة قواها المعنوية ، فقد قال تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما »[1] .
وقال تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » [2] ...

وأما العامل الثانى الذى مزق وحدة الأمم وجعلها شيعاً ، فهو صرف نصوص الكتب السماوية عن ظواهرها إلى ما يوافق أهواء البيانيين ، ويؤيد مزاعمهم التى يتشيعون لها] [3] .

---

(١) المرجع السابق - ص ١١٥ : ١١٧ .
(٢) سورة طه آية : ١١٠ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .
(٤) المرجع السابق / ١١٥ إلى ١١٧ .

والبهائيون كما هو معروف من تاريخهم قد اصطنعوا لتضليل النوع البشرى كل وسيلة متاحة .

فحين يكون خطابهم موجها للمسلمين يجدون أنفسهم مصطدمين بنصوص القرآن ، فيصرفون كل نص عن ظاهره ، ويؤولونه تأويلا يناسب أفكارهم وأهدافهم التى يدعون الناس إليها طبقاً لما قرروه من قواعد فى هذا المجال ، ومن أهمها أن القرآن كغيره من الكتب السماوية له ظاهر غير مراد وباطن لا يفهمه إلا المظهر .

وإذا كان الخطاب ليهودى أو نصرانى وحدث تعارض مع الكتب المقدسة لهؤلاء القوم أولوا هذه النصوص وصرفوها عن ظاهرها .

وظن البهائيون وغيرهم مثلهم أنهم بمثل هذا الأسلوب يستطيعون أن يستحوذوا على الإنسانية ويقودوها فى عماية إلى تيه الضلالة إلى أبد الآباد وهيهات .

تلك هى عقيدة البهائية فى الله وهذه هى أهدافهم وتلك هى الوسائل التى يصطنعونها لتحقيق مثل هذه الأهداف .

٢ ــ عقيدة البهائية فى النبوة والأنبياء

هذا هو القسم الثانى من عقيدة النحلة البهائية ، نتحدث فيه عن صورة النبوة والأنبياء لدى هذه النحلة على أساس أنها صورة مختلفة عن الصورة التى رسمتها لنا الكتب المقدسة التى صحت صلتها بالسماء .

وما كان البهائيين أن يقيموا تصورهم للنبوة على نحو ما صورها به الأنبياء السابقون إذ إن الهدف الذى يهدف إليه البهائيون يختلف تمام الاختلاف عن الهدف الذى تهدف إليه الرسالات السماوية كلها ، ولا يصح والحالة هذه أن تتحد الوسيلة والمفاهيم مع اختلاف الغايات والأهداف .

ولا يخلص للبهائية أمرها إلا إذا أقامت تصورها للنبوة على أسس وحدد تختص بها لتلائم أهدافها .

وفى إجمال مجمل الأسس البهائية العامة فى تصورها للنبوة يمكن أن نضع بعض المعالم على النحو التالى :

إن من أوائل الأسس التى ينبغى على البهائية أن ترسى قواعده هو تشديد النكير على فكرة ختم النبوة والنيل منها مهما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، ومحاولة إثبات أن النبوة لا تنقطع ، وأن جبريل ما زال مستعداً للنزول بالوحى فى أى زمان على أى إنسان كان .

ويتلو هذه المرحلة أو هذا الأساس أساس آخر مؤداه : أن حقيقة النبى أى نبى ليست كما تصوره البشر أو المسيح من قبل ، إنه ليس إنسانا كسائر الناس وإنه ليس بشراً عاديا من سائر البشر ، إنه فى الحقيقة هو المظهر لصفات الله من العلم والبصر والكلام والمشيئة . . . . حيث إن الله فى ذاته لا يتصف بأية صفة من الصفات . غير أن النبى المظهر إنما يكون على قدر عصره ، فالنبى المتقدم

فى الزمان ، يكون أقل منزلة من النبي الذى يتلوه ، وطبقاً لهذه القاعدة فإن ظهور أوائل الأنبياء كان يعبر عن مرحلة تافهة ، فى حين أن أواخرهم قد عبر عن الظهور فى أكمل معانيه .

ويبدو أنه لا يستقيم للبهائية فكرها من غير أن تضيف أساساً ثالثاً تؤكد من خلاله أن وقوف العناية الإلهية إلى جانب الأنبياء السابقين بالسنن الخارقة (المعجزات) لإبراز صدقهم على رؤوس الأشهاد أمر وهمى لا حقيقة له لأنه لا يناسب العقول المتقدمة ، ولا تحتويه الأفهام الراقية ، ولا يجوز لواحد من البشر والحالة هذه أن يطالب نبيا بمعجزة ، أو يقف معه فى حجاج ومجادلة ، أو يحاول أن يثبت لنفسه أن من يدعى النبوة صادق أو دعى . . . إن هذه كلها وأشباهها ونظائرها لا يقع فيها إلا من أضله الله ، ومن فعل ذلك (إنه لمن المعترضين) .

والمتأمل فى هذه الأسس الرئيسية وما يتبعها ، أو يتتبع أحدها من مسائل فرعية يجد أنها على الجملة قد تورطت تورطا خطيرا لكى تلائم أهدافاً غير مشروعة فجاءت وسائلها كلها وأسسها جميعاً بعيدة عن مسالك العقل ودروبه ، وجنحت بأكملها إلى دروب الخيال المريض والهوس المحموم مؤمنة بالمبدأ الذى انتشر معاصراً أو متقدما على البهائية - إن الغاية تبرر الوسيلة .

وسوف نتوقف بمشيئة الله لحظات يسيرة عند تفاصيل كل مبدأ من هذه المبادىء لنلقى عليه بعض الضوء .

البهائية وختم النبوة :

إن البهائية وهى مكلفة بمهمة محددة رأى راسموها أنها لا تتحقق إلا من خلال رجل له صلة بالسماء ، وأنها لا تتحول إلى أمر واقع إلا من خلال دعوى الوحى الذى لا يقبل الحاجة ، ولا يحتمل الريب ، ولكن تحقيق مثل هذا

الأمر صعب مادام ينتشر بين المسلمين ، ويعمق فى أذهانهم ، ويختلط بسويداء فؤادهم أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء المرسلين ، أو أنه العاقب فلا نبى بعده فعمل أعداء الإسلام طويلا على التغيير فى وجه هذه الحقيقة ، وتشكيك المسلمين فيها بكل وسيلة ممكنة .

ويستطيع المحلق من شاهق ليرى بوضوح خريطتى الزمان والمكان أن يدرك آثار الخطة المدروسة للنيل من هذه الحقيقة سواء كان ذلك فى إقليم البنجاب بالهند ، أو على أرض شـيراز بإيران ، وما يلى هـذين من أماكن وأزمان .

كما أنه من الممكن للفاحص بالأشعة أو الإشعاع أن يكشف عن المساتير وراء هذه الحركة أو تلك ، ويرى بعين بصيرته الفاحص الحقيقى على الخيوط المجتمعة ، والتى بواسطتها تتحرك العرائس الصماء على مسرح العالم الإسلامى .

إن القصد الأول هو إزاحة تلك الفكرة ، بل قل تلك العقيدة عقيدة ختم النبوة من الساحة حتى يتمكن أدعياء النبوة الجدد من مباشرة مسئولياتهم ، وقد يحتاج هذا العمل إلى وقت طويل وتخطيط أكثر صرامة ودقة ورجال ومعاونين خونة ومجافاة العقل والمنطق ، كل هذا لا يهم ، المهم هو إدراك النتائج .

وكاتب هذه الصفحات يرجو القارىء أن لا يمر على بعض هذه الملاحظات مرور الرجل الذى أغمض عينيه إذ أننا يجب أن نلاحظ بعض المسائل على الأقل بوعى يناسبها .

وعلى سبيل المثال : فإن مسألة ختم النبوة فى الإسلام جاءت كغيرها من موضوعات العقيدة التى يستطيع العقل أن يدركها أو يقف على دقائقها ، جاءت مسألة ختم النبوة كغيرها من هذه المسائل مبررة تبريراً منطقيا .

فالإنسانية قبل محمد ﷺ كانت فى حالة من النمو والترقى ، نمو فى جانبها

العقل ، ونمو فى جانبها المادى ، وهى فى نموها العقلى كانت ترقى بمفاهيمها ويتسع مع هذا الرقى إدراكها ووعيها ، وهى فى نموها المادى كانت تسيطر على الكون وتكتشف أسراره شيئاً فشيئاً .

وهى فى تقدمها المادى والعقلى جميعا كانت تحتاج إلى أنبياء يضبطون لهم مسيرتهم فيما يمكن أن يتأتى فيه الضلال ، وما يمكن أن يتأتى الضلال فيه جانبان ، جانب العقيدة من ناحية ، وجانب الأخلاق ، والتشريع من ناحية أخرى .

ولذا فإن مهمة الأنبياء منذ أولهم آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ وكانوا يركزون جهودهم فى دائرتين من دوائر ثلاث يمكن الإنسان أن يكون فيها أو هى الدوائر الثلاث التى تحيط بالإنسان فى حالة من التداخل الكامل .

وأول هذه الدوائر التى يعالجها الأنبياء ما أسميناه سلماً [1] بوعى التوحيد .

ووعى التوحيد لا يعنى أن التوحيد يتغير من نبى إلى نبى من حيث حقيقته ، وإنما هو بالقطع يتغير من عصر إلى عصر من حيث وعى الناس به .

إن الإنسان فى الماضى كان قاصراً فى مفاهيمه ، وتلك قضية لا مشاحة فيها ولا جدال حولها ، ولهذا القصر فيه كان ينحرف بمفهومه التوحيد حيث كان الوعى به ناقصاً ، وكان وعى الإنسان بالتوحيد يختلف من بيئة إلى أخرى طبقاً لانعدام وسائل الاتصال التى يتبعها انعزال كل جماعة بثقافتها فتحتاج هذه المسألة من وقت إلى آخر إلى أنبياء يصححون للناس مفهومهم عن التوحيد ، ويرقون وعيهم بهذه المسألة ، بل ما هو أكثر من ذلك فإن ظروف العالم ودرجة تقدمه يقتضيان أحيانا ظهور عدد من الأنبياء فى وقت واحد ، وفى بيئات ربما تكون متقاربة .

---

(١) راجع كتابنا : عقيدتنا وأثرها فى الكون والحياة .

وكلما رقت الإنسانية اختفت ظاهرة المعاصرة بحيث لا يظهر نبي مع نبي من غير أن تكون هناك حالة ملحة إلى مثل هذا الظهور .

فلما بلغت الإنسانية رشدها ، وانتهت الفواصل وسقطت الحواجز كان من الطبيعي أن يعالج الإنسانية كلها في عقيدتها من خلال رسالة واحدة تضع القواعد والضوابط . وتؤسس الأسس بحيث يرتفع عليها البناء شامخاً يحمل في طياته جميع وسائل صيانته .

وما قلناه في العقيدة والوعي بالتوحيد يمكن أن نقول قريباً منه في مسائل التشريع وضوابط الأخلاق .

إن هذه هي الدائرة الثانية التي تعمل الرسالة فيها ، والتي لا تعالج إلا من خلال نبي .

ومن المعروف أن ضوابط الأخلاق ونظم التشريع وقوانين الحياة من حيث السلوك وتبادل المنافع ، إن الإنسان في سلوكه المتبادل على الجملة لا يمكن أن يعالج قضاياه من خلال عقله إذ إن هذا الميدان يمكن أن يتأتى فيه الخلاف من غير أن يكون هناك أمل في حسم هذا الخلاف ، فرفع الله عن الإنسانية هذا الخلاف ، ودعاهم إلى الاتحاد حول ما جاء به الرسل من قوانين ونظم لضبط السلوك وحمل الناس على أن يسلكوا الطريق المستقيم .

وهذه القضايا التشريعية كانت تظهر في كل رسالة من الرسالات بمقدار ما يناسب كل عصر على حدة ، فلما اكتملت الإنسانية وبلغت رشدها جاء التقنين الأخير وسلم للبشرية مع وعد من السماء بحفظه من الضياع أو التحريف وهو يسلمه لها لكي تعمل فيه بعقلها فهماً واستنباطاً منه بمقدار ما يناسب كل عصر جديد من طوارىء الأحداث وفرعيات الأمور ، ثم كان القرآن المعجز الذى يحتكم إليه علماء الأمة من غير شعبذة أو شعوذة يجلون موافقة ، فيظهر لهم القرآن في كل عصر بما يعجز أهله .

إننا نقتضب هنا رفقاً بالقارىء من الملل ، ونمسك بالقلم عن الاسترسال حتى لا نخرج عن الموضوع ريثما نفرغ إلى الكتابة فى موضوع خاص لختم النبوة وعالمية الرسالة إذا قدر الله لنا ذلك [١].

ولسنا فى حاجة إلى الإشارة بأن الدائرة الثالثة وهى عمل الإنسان فى الكون المادى حوله قد تركتها الرسالات السماوية للإنسان يكتشف أسرارها ، ويقف على القوانين التى بثها الله فيها ، والرسالات السماوية حين تركت له هذه الدائرة ، كان موقفها هذا معقولا فى اكتشاف قوانينها وهى حين تكتشف ، لا يتأتى حولها الخلاف من حيث هى حقائق علمية ، فلا خوف على الإنسانية من الانشقاق حول نتائج الاكتشافات العلمية .

غير أنه مما لا يمكن إغفاله هو ما يظهر أمامنا من أن الرسالات السماوية تدفع أتباعها إلى محاولة الوقوف على أسرار الطبيعة ، فإن فى ذلك منفعة الإنسان من ناحيته المادية ، وترسيخاً لعقيدته فى جانبه الإيمانى .

يد الإنسان وعقله إذاً قد أطلقهما الله فى الكون مادام هذا الإطلاق مشدوداً بسبب إلى العقيدة مغلقا بإطار عام من الخلق الرشيد .

تلك هى معقولية فكرة ختم النبوة ، وعلى من يدعى أن باب النبوة مفتوح أن يبرر ظهور نبى جديد ، ويعرب عن الحاجة إلى رسالة تعقب الرسالة القائمة بالفعل .

إن الرسالة الجديدة لا يكون لها من مبرر إلا حين تعالج أمرين قد طرأ الخلل فيهما ، ولم تعد الرسالة القائمة قادرة على سد الخلل الكائن بالفعل .

---

(١) وإلى أن ييسر الله لهذه الدراسة نحيل القارىء على كتابين لنا صدرا من قبل فيهما علاج لبعض هذه المسألة هما : نظرية النبوة فى الإسلام ـ عقيدتنا وأثرها فى الكون والحياة .

الأول : نقص البشر بوعى التوحيد بحيث يتراءى للبشر جميعا بأنهم لا يقدرون الله حق قدره ، فإذا عادوا إلى الرسالة القائمة ، فإنهم لا يجدون فيها نصوصاً واضحة لاستعادة وعى الناس الصحيح بالتوحيد .

فهل هذا الأمر موجود بالفعل فى البهائية ، أو أن البهائية تصور على نحو قاطع نقصاً شديداً فى وعى أتباعها بالتوحيد ، والذى لا يمكن علاجه إلا بتجديد إيمانهم بالرسالة الخاتمة بعد ردتهم عنها .

إن الرسالة الخاتمة كغيرها من الرسالات تنزه الله عن مشابهته لخلقه ، وتقضى بأن له وجوداً مستقلا ، وللمخلوقات وجودا وجودا آخر متميزاً ، فوجود الله لذاته غير محتاج إلى أحد ، وصفات الله عز وجل لا يشبهه فيها غيره ، فليس لغير الله صفة تشبه صفته ، ولا فعل يشبه فعله ، ولا ذات تشبه ذاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهو يفعل ما يشاء على مقتضى العلم والحكمة ، كامل فى ذاته لا يحتاج إلى غيره .

وهذه الفكرة الواضحة التامة ما تزال ماثلة فى نصوص الشرع مستقرة فى ضمير الأمة لم يطرأ عليها ما يستوجب تغييرها ، وحين ينحرف واحد من البشر عن هذه الفكرة يكون فى الكثير الاغلب مدركا بأنه منحرف عنها متبع لهواه عابد لشيطانه . فإن أراد العودة وجد النص الساطع فى انتظاره يصحح له مفاهيمه ، ويرتفع بوعيه إلى مستوى الفكرة المتناسقة عن الله .

فماذا عن الفكرة ذاتها فى البهائية ، والتى تريدنا أن نؤمن بها . وتبشرنا بنبي جديد جاء ليرفع وعينا بالتوحيد إلى مستوى رآه هذا المتنبىء أكثر لياقة بالله مما قالته به الرسالة الخاتمة .

هل هذه الفكرة هى الظاهرة البادية من خلال نصوصه التى نجتزىء بعضها على النحو التالى ؟

يقول حسين على المازندرانى إله البهائية ونبيها : [من توجه إلى قد توجه إلى المعبود كذلك فصل فى الكتاب وقضى الأمر من لدى الله رب العالمين][١] .

[لا يرى فى هيكلى إلا هيكل الله ولا فى جمالى إلا جماله ولا فى كينونتى إلا كينونته ولا فى ذاتى إلا ذاته . . . ولا يرى فى ذاتى إلا الله][٢] .

[يا ملأ الإنشاء اسمعوا نداء مالك الأسماء إنه يناديكم من شطر سجنه الأعظم إنه لا إله إلا أنا المقتدر المتكبر المتسخر المتعال العليم الحكيم إنه لا إله إلا هو المقتدر على العالمين][٣] .

[وإذا أردتم الصلاة ولوا وجوهكم شطرى الأقدس المقام المقدس الذى جعله الله مطاف الملأ الأعلى ومقبل أهل مدائن البقاء ، ومصدر لمن فى الأرضين والسماوات][٤] .

وقد يحاول القارىء المندهش أن يخفف عن نفسه ثقل وقع هذه النصوص بقوله : لعل هذه نفثة مصدور ، وصيحة مكلوم لم يجد لنفسه متنفساً سواها ، ولم يتابعه عليها أحد غير أننا نقول : إن هذا التخريج لا يلائم الخط العام للبهائية ، فقد تابعه أتباعه على ما يقول : بل إنهم حاولوا فلسفة ما يقول .

يقول أبو الفضل البهائى ، والداعية الكبير إلى دينه : [إن ربنا الأبهى (حسين على) مع ما كانت تصادفه طول أيام ظهوره من البلايا والمصائب

---

(١) الأقدس المازندرانى : الفقرة ٢٩٨ .

(٢) سورة الهيكل للمازندرانى نقلا عن « بهاء الله والعصر الجديد » ص ٥٠ .

(٣) الأقدس للمازندرانى الفقرة ٢٨٢ .

(٤) الأقدس الفقرة ١٤

والزوايا والدواهى العظيمة ، ومع أنه لم يكن من أهل العلم . ولم يدخل المدارس العلمية][١] .

إن هذه النصوص التى نقلناها الآن ليست هى جميع ما ورد عن المازندرانى فى مجال العقيدة ، ومحاولة تصحيح مفاهيمها حين يكون الموضوع هو الموضوع الذى يتصل بوعى التوحيد ، وإنما هذه النصوص لها أشباه ونظائر كثيرة تكاد تملأ كتبهم المقدسة .

وهذه النصوص جميعها كانت موضع عناية فلاسفة هذه الديانة والداعين لها ، فأخذت من جهدهم الكثير حين أرادوا تحليلها وفلسفتها .

ونحن نريد هنا أن اشير إلى أن هذه النصوص تخدم هدفها خدمة دقيقة ، والهدف بالطبع ليس هو رفع الوعى بالتوحيد وسد الثغرات التى يحتمل أن يكون قد تعرض لها فكر الإنسان فى هذا المجال ، وإنما هدف البهاء والبهائية من هذه النصوص هدف مزدوج يرجع فى بعض جوانبه إلى التذكير بديانات الفرس القديمة ، وما فيها من تأليه البشر فى لون من المادية الغليظة ، ويرجع فى جانبه الآخر إلى الالتصاق الشديد بديانات اليهود والاقتراب منها بعد أن فرط اليهود فى نصوص ديانتهم ، وهان عليهم كتابهم المقدس فأخضعوه لهوامم ، وسخروه لخدمة أغراضهم على نحو ما سنذكره بعد .

وبالجملة ـ فإننا لا نريد أن نقحم أنفسنا فى نوع من المناقشة الباردة . أو المقارنة المقيتة لمحاولة إبراز سخف وهزال ما ذكره المازندرانى فى مجال العقيدة هنا ؛ لأن الأمر حين يكون واضحاً غاية الوضوح يكون الدخول فى مناقشته وإبراز سخف السخيف منه لوناً من اتهام فكر القارىء والحجر على بصيرته ، وهذا ما يأباه علينا خطنا العام ؛ وطريقتنا فى الكتابة والعرض .

---

(١) الحجج البهية لأبى الفضل البهائى ص ١٢٤ و ١٢٥ .

وقد يقول قائل بعد هذا الذى ذكرناه : إن البهائية باعتبارها نحلة جديدة . إن كانت قد أخطأت فى تصوراتها لوعى التوحيد ، فلعلها قد أصابت فى وضع نظامها التشريعى .

وهذا التساؤل المشروع يعنى بالدرجة الأولى أن هناك احتمال عقلى مؤداه أن الرسالة المحمدية التى أثبت صاحبها أنها هى الرسالة الخاتمة ، إن كانت قد أصابت فى وضع نظام ونهائى يضمن للإنسانية استمرار وعيهم بالتوحيد على الوجه الأكمل حين يرجعون إلى أحكامها ، إن كانت الرسالة الخاتمة قد أصابت فى ذلك لعلها قد قصدت فى وضع نظامها التشريعى ؛ الأمر الذى احتجنا معه إلى رسالة جديدة بل رسالات لوضع نظم تشريعية محددة ، تتفادى التقصير ، وتتجنب الخطأ ، وتأخذ بيد الإنسانية حتى لا تتنكب الطريق .

قلنا : إن هذا التساؤل وما يحويه من مضمون تساؤل مشروع .

ولسنا بحاجة هنا إلى استعادة خصائص التشريع فى الإسلام ، وإبراز أسس الشريعة الخاتمة ليتضح أمام العيان ما فيه من صلابة ودقة جعلت الشريعة الإسلامية تثبت أمام التجربة الواقعية ، والممارسة العملية ، فأسعدت مجموعة من البشر كبيرة حكمتهم برغم شدة التيار المعاكس . وضراوة الخلايا السرطانية التى كانت تعمل عملها فى الظلام ، لسنا فى حاجة إلى التنبيه إلى كل هذا وإبرازه فقد شهد به أعداء الأمة قبل أصدقائها كما سبق لنا أن سطرناه فى كتب لنا من قبل .

ويكفينا هنا أن نشير بالتحدى الكامل لأرباب البهائية وزعمائها إلى أن شريعتهم كانت تهدف أولا وقبل كل شىء إلى إسقاط كل عامل أو تشريع يعطى الإنسان قيمة إنسانية ، ويهبط به إلى مستوى أدنى من المستوى الحيوانى ، وإلا فما معنى أن يأتى تشريع يحول القبلة إلى أماكن غير ثابتة حتى يستقر البهاء فى مثواه الأخير ، وما معنى إسقاط فريضة الجهاد ، وما معنى مصادرة الحريات .

وما معنى أن لا يقرأ البهائى ثقافة عصره ، وما معنى أن تهجر اللغة العربية لغة التراث والثقافة إلى اللغة النورية أو الفارسية التى لا تصلح حاليا إلا لتسجيل أخبار الحكماء أو امتداحهم ؟ وبل وما معنى أن يترك العالم كله لغاته إلى لغة غامضة لا يعرفها أحـــد ، لم يسجل بها تراث منذ أن خلق الله العالم وإلى اليوم ؟ .

أسئلة تعبر عن نماذج موجودة فى الشريعة فى النحلة البهائية ، ولها نصوص مقدسة عندهم تؤيدها ، ودلالات هذه التشريعات مفهومة جليـــة لا تحتاج إلى تعليق .

وهناك طائفة أخرى من التساؤلات لها دلائل أخرى ، لعلها تقربنا من الهدف أكثر فأكثر ، كأن نتساءل مثلا ، ما معنى أن تكون الأوقاف كلها مقصورة على البهاء وأسرته ، ثم من بعدهم على بيت العدل ، وما معنى أن يكون بيت العدل مكونا من تسعة أفراد ، وما معنى أن تكون الكفارات والعقوبات كلها منصبة على الأموال تقريبا ، وما معنى أن يكون المال مال الكفارات إلى بيت العدل ، وما معنى أن يكون بيت العدل شريكا فى التركة . وما معنى أن تؤول التركة كلها إليه إذا غاب الوارث الحقيقى أو انعدم ، وما معنى أن يكون بيت العدل مقره الأرض المحتلة من فلسطين ، وما معنى أن يتغير التأريخ ونظام السنة وعدد الشهور إلى نظام جديد لا يعرفه العالم ولا يبتغيه ، وما معنى أن يكون نشاط البهائية على شكل خلايا سرية كى تتمكن من السلطة فى كل بلد وتوجيهها ، السلطة بمعانيها الثلاث : القضائية ، والتشريعية ، والتنفيذية ؟

هذه التساؤلات وأمثالها تعبر عن لون آخر ومضامين أخرى ، لتضم إلى مضامين الطائفة الأولى من التساؤلات فيقر بأننا جميعاً من الهدف المستور وراء البهائية ، وهو هدف وإن كان يختفى وراء حل النفوس ، وتستره الأصوات العالية لضجيج المطامع ، إلا أن الله قد عودنا أن كل مجرم لا بد وأن

يترك على جريمته بصمة تقودنا عبر آثاره إلى ما وراء الأسوار حيث الأماكن الشديدة الظلام التي يعملون من خلالها .

ومن هذه الجملة من التساؤلات نستطيع أن ندرك أن قضية النحلة الجديدة ، ليست قضية إحلال دين مكان دين ، بقصد إسعاد البشرية ، بعد أن عجز الدين السابق عن إسعادها ، وإنما هي محاولة خسيسة لإلقاء التراب في العيون ريثما يسيطر الأشرار على البشرية لكي يقودوها إلى معابد الشيطان .

النبي في النحلة البهائية ، حقيقته وصفاته

لا يغيب عنا ونحن نقرأ في الرسالة الخاتمة نصوصها وتوجيهاتها ، أن الأنبياء هم رسل الله إلى خلقه ، وما دام الأمر كذلك فإنهم بشر حتى يستطيعوا أن يتعاملوا مع بني جنسهم ، وأفراد نوعهم .

لا يجوز والحالة هذه في منطق العقل أن يكون الرسل من الملائكة « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون » النبي إذاً لابد وأن يكون بشراً يأكل كما يأكل البشر ؛ ويمرض كما يمرضون ، ويألم كما يألمون . وينفعل كما ينفعلون ، ويمشي في الأسواق

وكل ما في الأمر أن الله عز وجل قد اصطنع هؤلاء لنفسه ؛ ورباهم على عينه . ورفع قدرهم ومكانتهم حتى يكونوا أهلا لتحمل الرسالة ، والقيام بأعبائها والقدرة على تحملها وأدائها .

ولو أننا رجعنا بأبصارنا في بعض دروب التاريخ القريبة لوجدنا أن هذه الفكرة المعقولة والبسيطة عن الأنبياء والرسل قد لوثت بأعراف الأفكار ، وجنح بها الخيال على أطراف متناقضة تقريباً حسب طباع الجانحين بخيالهم ، أو المارقين بأفكارهم .

فنرى بعض الديانات تحاول تصوير الأنبياء بصورة بشرية هابطة إلى حد

الارتطام بالقاع فبعضهم من منظور هذه الديانة طبعاً - لا يتورع عن شرب الخمر . وبعضهم يمد ناظريه إلى حليلة جاره . . . إلخ .

ولسنا في مجال التفسيرات النفسية والاجتماعية لهذا الخط المشئوم في التصورات الدينية ، ولعل مثل هذه التعليلات لا تغيب عن القارىء البصير بطبائع الأقوام والأحوال .

وما كان لبشر أن يغيب عنه أن الذى يشرب من الرذيلة حتى الثمالة يرغب في تشويه القدوة . أملا من وراء هذا التشويه أن يجد من الناس من يتحمس لإعذاره .

هذا طرف يصور ما جنح إليه بعض الناس من فهمهم الشائه للنبوة والأنبياء . غير أن الساحة الإنسانية لم تخل عن الاتجاه المقابل تماما .

وخلاصة الاتجاه الأخير أن بعض الديانات قد جنحت الى الارتفاع بالنبوة وتفسيرها وفهمها إلى مرتبة الألوهية .

ونحن هنا أيضا كما كنا هناك نؤكد أننا لا نبحث عن الأسباب والعلل وراء قضايا قد ذكرناها استطراداً لإلقاء الضوء على ما نريد شرحه من قضايا .

وقد يرى بعض ذوى البصائر أن هذا الاتجاه الأخير في تفسير النبوة ربما يكون رد فعل معاكس للتيار الأول . وكلا الطرفين خاطىء .

ومن عرض هذين الاتجاهين يتبين لنا الضرورة الحتمية ، والحاجة الملحة لرسالة جديدة تضع الأمور في نصابها من جديد ، وتضع لها من الأسس والقوانين ما يضمن لها الاستمرار بغير انحراف ، فكان موقف الرسالة الخاتمة من النبوة على نحو ما أوجزنا القول فيه « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد » .

وكما ظن أنه بعد هذا التوضيح الصارم لن يكون هناك مجال لمقل ما

أن يتصور انحرافا بفكرة النبوة على نحو ما كان يقال قبل هذا الإيضاح ، والعودة بالأمور إلى مسارها الصحيح .

ونطوى التاريخ طياً بما فيه من مساوىء وانحرافات أحيانا لكى نحاول أن نفهم النبوة كما يشرحها البهائية فى عصر التنوير والعلم والفهم .

إن البهائية فى أصولها وفيما انتهت إليه لا تريد أن تفهم النبوة على وجهها الصحيح ، إذ أن مثل هذا الفهم يقعد بها عن غايتها ، ولا يبلغ بها مرامها ، ولا بد من تعديل مفهوم النبوة ، أو التراجع عن هذه النحلة الجديدة .

ولما كان التراجع عن هذه النحلة أمراً غير وارد ، كان لابد من التعديل فى مفهوم النبوة .

وفكرة التعديل ذاتها قد بدأت بوادرها الأولى ، منذ أن بدأت الخلايا السرية فى التخطيط لظهور نحلة جديدة .

لقد بدأت منذ أن حاول الشيخ أحمد الإحسائى شرح حقيقة الذات المحمدية وأنها قد ظهرت ظهوراً خافتاً يرقى شيئاً فشيئاً منذ آدم إلى الشيخ أحمد الإحسائى ، ولكن ظهورها الأخير كان أكمل وأعظم من أى ظهور سبق ، وظهورها الأخير طبعاً المقصود به ظهور الحقيقة المحمدية فى الشيخ الإحسائى .

واستمر الأمر هكذا بإلحاح شديد ، وبتخطيط ذكى حتى عدل فى الأمر شيئاً ما من التعديل حين ظهر على الساحة - على محمد الباب ، فقد أعلن فى نهاية أمره أن الانبياء هم الظهرون فى الحقيقة لله عز وجل وصفاته ، وهذا الظهور يتناسب مع العصور والدهور ليتلاءم كل ظهور مع العصر الذى يكون فيه .

وتختلط فكرة الظهور عند - على محمد الباب - بما سمعناه حديثاً بنظرية الدورة المتطورة عن فكرة التناسخ التى قرأناها فى الفلسفات القديمة بجرتها الأسماع والقلوب ، فهو يوىء فكرة لأصحابه بعد هذا الخلط الفكرى عنده بأنه هو

الذى يظهر فى كل زمان منذ الآباد الموغلة فى القدم إلى ما لا نهاية ، وهو الذى سيظهر فى الأزمان المتوالية فى المستقبل بغير انقطاع .

وإيضاح هذه الفكرة بكاملها يظهر لنا عند تصفحنا لنصوص البيان كتاب البابية المقدس .

ونحن نرجو قبل نقل نصوص منه أن يتأهب القارىء إلى تحمل ثقل ألفاظ وعبارات ، ومعانى شديدة الثقل عظيمة الوقع على النفس والفؤاد ، ولكننا مضطرون هنا انقلها لتصوير الموقف على ما هو عليه من غير زيادة ولا نقصان ، ولا يؤدى هذا الهدف إلا نصوصهم المقدسة بذاتها التى تمثله أحسن تمثيل .

يقول على محمد فى البيان : [. . . ثم الثالث إذ يظهرنك يوم القيامة بما أبعثه من قبل ترفع مانزلت من قبل حين ما تأذن وأنا كنا صابرين . ثم الرابع ما ينزل عليك فى آخريك أعظم عما نزلنا عليك فى أوليك فكن من الشاكرين ، وإن فضل ما نزلنا عليك على ما نزلنا عليك من قبل كفضل القرآن على الإنجيل فلك فضل محمد على عيسى قل أن يا عبادى ظهورى فى أخراى تنتظرون] [١] .

وأصرح من هذا قوله : [كنت فى يوم نوح نوحا ، وفى يوم موسى موسى ، وفى يوم عيسى عيسى ، وفى يوم محمد محمداً ، وفى يوم على قبل نبيل علياً ، ولأكونن فى يوم من يظهره الله من يظهره الله ، . . . إلى آخر الذى لا آخر له قبل أول الذى لا أول له ، كنت فى كل ظهور حجة الله على العالمين] [٢] .

---

(١) أنظر النشرة العربية للبيان ٣ ، ٤ من الواحد الثالث .

(٢) البيان الفارسى ، الباب الثالث عشر من الواحد الثالث . والترجمة للسيد إحسان إلهى ظهير .

راجع البابية عرض ونقد ص ١٩٣ ط . لاهور .

وحين نلتقى بعصر التجوال بالقرب من بهاء الله حسين المازندرانى ، نجد أن المسألة قد اندفعت خطوة إلى الامام ، ونجد لهجة النبوة تختلط بلهجة دعوى الالوهية إلى حد الامتزاج الكامل ، هذا الامتزاج الذى أوشك أن يلقى بفكرة النبوة إلى القاع لما لها من ثقل البشرية البغيض عندهم ، ويرفع إلى السطح فوقها فكرة انتحال صفة الالوهية بغير تورع .

إن القارئ لكتب البهائية ووثائقها لا يكاد يرى سطرا واحدا يتحدث عن دعـــوى بدءا من للبهاء منذ أن اعبث برأسه حتى ادعاء صفة الالوهية الايام التى قضيت فى حديقة نجيب باشا ، حتى توفى غير مأسوف عليه ، وقبر بأرض فلسطين المحتلة .

ولقد سبق لنا أن نقلنا نصوص دعوى الالوهية للبهاء ، وهى لا تمثل فى الحقيقة سوى قطرات من محيط يهدر بأمواج الافتراءات .

غير أنه هنا ينبغى أن لا نترك المجال حتى نشير إلى قضية هامة تورط فيها البهائيون زعماء وفلاسفة ، وعبيد وخدام ، وهذه المسألة التى تورطوا فيها هى مسألة إنكار وجود الله عز وجل ، ومسألة الإنكار هذه تنسجم انسجاما كاملا مع الهدف العام ـ كما سنبين فيما بعد ـ سواء أدرك البهائيون أنهم قنطرة استخدمت لهذا الغرض ، أو لم يدركوا ذلك ، فإن الإدراك أو عدمه لا يؤثر عمليا فى النتيجة العامة .

غير أن إنكار الالوهية بشكل صريح قد يعرض البهائيين إلى نقمة المجتمع المسلم ، وهى تجربة قد وقف أصحاب هذا الهدف على نتيجتها من خلال ممارسات التاريخ عبر دهور طويلة .

والبديل الحقيقى الذى يحل محل التصريح برفض فكرة الالوهية هو التمويه بأنهم يدينون لله بالعبودية ، ولكن من خلال مظاهره .

فالله ـ كما سبق أن قلنا عندهم ـ ليس له صفة من الصفات ، وليس له حد ، على الجملة ليس له هوية فى ذاته ، ولا حقيقة من حيث هو ، وإنما حقيقته وهويته من خلال مظاهره وهم من البشر .

وهذا النص لأ كبر دعاتهم وفلاسفتهم يجلى هذه الحقيقة تجلية واضحة ، يقول الجرفادقانى : [نحن معاشر الأمة البهائية نعتقد بأن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه وصفاته ، ومطالع شموس آياته وبيناته : لا تظهر صفة من صفات الله تعالى فى الرتبة الأولية إلا منهم ، ولا يمكن إثبات نعت من النعوت الجلالية والجمالية إلا بهم و « لا يعقل » إرجاع الضمائر والإشارات فى نسبة « الأفعال » إلى الذات إلا « إليهم » لأن الذات الإلهية والحقيقة الربانية غيب فى ذاتها ، متعال عن الأوصاف بحقيقتها ، منزه عن النعوت بكينونتها ، لا تدركها العقول ولا تبلغ إليها الأفهام، ولا تحويها الضمائر ولا تحيط بها المدارك، فلا توصف بوصف ، ولا تسمى باسم ولا تشار بإشارة ، ولا تتعين بإرجاع ضمير لكن منزع كل هذه المدارك الحسية وهى فوق الإدراك ، لأن كل مدرك محاط ، وكل محاط محدود ذو وضع ، وهذا من صفات الجسم والجسمانيات ، تعالت عنه المجردات ، فكيف الذات الإلهية والحقيقة النورانية فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويسند إلى الله ـ من العزة ، والعظمة ، والقدرة ، والقوة ، والعلم ، والحكمة ، والإرادة ، والمشيئة وغيرها من الأوصاف والنعوت ـ يرجع بالحقيقة إلى مظاهر أمره ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره . وقد رقمت هذه المسألة من القلم الأعلى ، مبينة مفصلة فى ألواح ربنا الأبهى فأظهر الله تعالى جواهر أسرارها فى الصحف المطهرة ببيانه الأصلى] (١) .

ولقد علق الأستاذ محب الدين الخطيب على هذا النص من « الدرر البهية »

(١) الدرر البهية ـ ط. مطبعة الموسوعات بالقاهرة سنة ١٣١٨ (١٩٠٠) ص ٥٤ - ٥٦

بقوله [ولكن الله هو الذى سمى نفسه بأسمائه الحسنى ووصف نفسه بأوصافه العليا فكيف تبلغ القحة بالبهائية أن يكذبوا الله فيما أخبر به عن نفسه ، وهل هم أعلم به منه ؟ الحقيقة هى أنهم يريدون أن يقولوا : إن الله معدوم ، وإن علم الله وعزة الله وقدرته ومشيئته هى صفات مظهر أمره وهو سخيفهم المحتال الخبيث الذى زعم لهم أنه ربهم . فليقولوها بلا مواربة ، وبلا تعرض لأسماء الله وصفاته ، بل حتى أفعال الله ليست أفعاله بزعمهم ، وإنما هى أفعال مظهر تعرض أمره الذين يعنون به بهاءهم الأبهى ، فأين كان بهاؤهم الأبهى عند ماسرق منه أخوه كتاب وحيه وانتحله لنفسه ؟ فهلا منع ذلك ودفع عنه هذه الحرقة التى بقيت تحز فى صدره إلى أن هلك ؟ إن إنكار صفات الله قد سبقتهم إليه الإسماعيلية فى أيام الحاكم العبيدى فأعلن ذلك دعاته وسموا هذه العقيدة فى كتبهم (عقيدة التوحيد) ، لأنه لما يكون الله بغير صفات يكون حينئذ وهما فيكون الحاكم ربا ، وهو سلف البهاء فى هذا الهراء] [١] .

وهكذا قد استحوذ عليهم الشيطان فأخذ بتلابيبهم إلى حيث يريد . فصور لهم الألوهية تصويراً خاطئا ، وما كانوا يملكون إلا أن يوافقوا هوى راق لهم أن يتبعوه ، وخيالا حبب إليهم أن يسهروا فيه إلى أقصى غايته .

« وما قدروا الله حق قدره » .

---

(١) دراسات عن البهائية والبابية ـ البهائية تأليف السيد محب الدين الخطيب ط . المكتب الإسلامى ص ٢٩ وما بعدها .

البهائية والمعجزات :

إن المتأمل فى تاريخ الأديان الصحيحة يجد أن هناك طرقا متعددة لإثبات نبوة كل نبى يدعى بين قومه أن الله قد أرسله إليهم .

ومن بين هذه الطرائق المتعددة صفات مدعى النبوة وأخلاقه فى الماضى .

ومن بينها دراسة ما جاء به من تعاليم (عقيدة وشريعة) فى إطار نسق الأنبياء والرسالات السابقة ، مع اعتبار من أرسل إليهم ، ومدى موافقة التشريع لحياتهم العامة ، وعطاء قدراتهم من حيث الأداء والتكيف .

ومن طرائق إثبات نبوة الأنبياء أيضاً ، ما يجريه الله على أيديهم حين يكذبهم أقوامهم ويطلبون الدليل على صدقهم من السنة الخارقة التى لا يقدر عليها مخلوق مهما كانت قدرته من حيث الاتساع والشمول .

وهذا الأمر الخارق الذى يجريه الله على يد مدعى النبوة ، والذى لا يستطيع أن يأتى بمثله حتى ولا النبى نفسه يقوم عند أمة الدعوة من الشهود بمثابة الدليل القاطع على نبوة النبى .

ونقول هنا : إن هذا اللون من الإثبات يؤكد صدق النبى عند من يشاهده فقط ثم يتحول بعد ذلك إلى مرويات تاريخية تثبت عندما يثبت صدق الرواة وأماناتهم ، ودقتهم فى الحفظ والأداء .

ومعنى ذلك أن نبوة النبى عند الأجيال التالية لا تثبت بالمعجزات المادية وخوارق العادات فى الطبيعة ، وإنما تثبت بالطرائق الأخرى التى أسلفنا ذكرها .

هذا قدر مشترك بين الأنبياء جميعاً .

غير أن نبينا محمداً ﷺ باعتباره صاحب الرسالة الخاتمة كان من الطبيعى أن

تصحبه معجزة تستمر فعالية الإعجاز فيها دون أن ينتهى تأثيرها بانقراض عصر المبعث، وانتهاء جيل السلف .

ولعل هذا هو ما أشار إليه النبي ﷺ فى الحديث الذى أخرجه البخارى قال ما معناه : (ما من نبى إلا وقد أعطاه الله ما مثله آمن عليه البشر ، وكان الذى أوتيته وحياً يوحى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) .

وبعد هذه الكلمات اليسيرة أجدنى فى حالة من الدهشة حين أقرأ للبهائيين وهم يشددون النكير ابتداء من زعيمهم ، وانتهاء بدعاة المذهب وفلاسفته على المعجزات المادية للنبى محمد ﷺ ، وأعنى بالمعجزات المادية طبعا ، المعجزات الكونية كتسبيح الحصى ، وحنين الجذع وغير ذلك ، وهم يشنون حملة ضارية للتشكيك فى مواقف الرواة لمثل هذه المعجزات .

وهو أمر لم تعتمد عليه الرسالة الخاتمة فى إثبات نبوة محمد ـ ﷺ الأجيال التاليـــة .

وقبل الكشف عن الغرض الحقيقى وراء هذه الحملة المسعورة من غير مبرر فى الظاهر ننقل من نصوصهم ما يؤكد حقيقة موقفهم من مثل هذه المعجزات ورواتها حتى يكون البحث موضوعياً فى ذاته ، والقضية ثابتة بأدلتها ، كى لا نقع فى اللجاجة أو الجدال .

يقول أكبر دعاتهم أبو الفضائل الجرفادقانى ، (وأما معجزاته وعجائبه ـ مما اقترح عليه أعداؤه منها ويحاول علماء الإسلام أن يثبتوها له عليه السلام ـ فينفيه صريح آيات القرآن . . (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون)[1] .

---

(١) الإسراء : الآية : ٥٩ .

وأمثال هذه الآية كثير فى الكتاب ، وقد استوفينا الكلام فيها فى « الفرائد » وفى « الدرر البهية » وفى « فصل الخطاب ») .

(وأما ما ظهر منه عليه السلام من المعجزات ـ من غير اقتراح ـ فليس لها مصادر إلا روايات وأحاديث قلما يمكن الاعتماد عليها إلا من باب حسن الظن)[١] .

وهذا التصريح عند الجرفادقانى قد وجد له ما يؤيده فى الكتب المقدسة ، والتى يزعم البهائيون أنها قد نزلت على زعمائهم « على محمد الشيرازى ، وحسين على المازندرانى » .

ونعود إلى استجلاء الموقف وراء هذه الحملة المسعورة .

والمتأمل البصير لا يصعب عليه العثور على السبب الحقيقى وراء هذه الحملة .

إنهم لا يريدون تكذيب هذه المعجزات لذاتها ، وإنما هم يعلمون بالدرجة الأولى أنها صادقة فى حد ذاتها ، وأنها لا يترتب عليها إثبات صدق النبى إلا عند الجيل المشاهد لها فقط دون الأجيال التالية ، إنهم بغير شك قد جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم إلا أن إنكارهم لها له سبب آخر معقول ومفهوم ، إنهم يعلمون أن هذه المعجزات الكونية طريق من طرق متعددة لإثبات صدق من يدعى النبوة ، أو كذبه .

إن هؤلاء الزعماء ساءوا السمعة والسيرة فى تاريخهم الطويل بعد ادعائهم النبوة أو قبلها وإنه ماجاءوا به من تعاليم لا يكفى لإثبات صدق مدعاهم ، ولكن هذا الفريق وذاك يقبلان اللجاجة والمراء .

أما حين يطالبهم العامة والعلماء بإبراز معجزة خارقة لإثبات صدق مدعاهم ، فإن الطريق أمامهم بالقطع سيصبح مغلقا ، وسيوقعهم مثل هذا الطلب فى حرج

---

(١) راجع « الحجج البهية » للجرفادقانى ص ٨١١ وما بعدها إلى ص ١٢٢ .

بالغ يصعب عليهم الخروج منه فكان عليهم والحالة هذه أن ينكروا المعجزات المادية بدعوى أنها لا تناسب العقل ، وأن رواتها لا يوثق برواياتهم [١] .

إذا كانت الطرق الثلاث غير مأمونة العواقب في إثبات صدق من يدعي النبوة أو الإبوصية منهم ، فما الذي بقي لهم بعد ذلك من طرق الإثبات ؟ ذهب المخططون لزعماء البهائية إلى أن هناك طريقاً آخر لإثباته أو محاولة إثبات صدق مدعي هؤلاء ، وهذا الطريق هو التزييف على الكتب المقدسة كالتوراة والقرآن .

وكان التزييف على التوراة أمراً سهلا حيث أنها قد حرفت ، ومن السهل تخريج نصوصها في صالح زعماء البهائية ، وهذا ما حدث بالفعل [٢] .

غير أن اتجاههم إلى القرآن الكريم لدعم مواقفهم المزورة لم يكن أمراً سهلا ، فاضطروا لبذل اقصى الجهود ، واستخدام أكثر الوسائل العلمية تقدماً بقصد التزييف والتضليل

ولكي يخدعوا المسلمين تحدثوا عن القرآن حديثاً متحمسا باعتباره آية في الإعجاز ، ولكن النبي محمداً — عليه السلام — لم يفهم وجه إعجاز القرآن الكريم ، وكان أمراً طبيعيا ، أن لا يفهم المسلمون من بعد وجوه الإعجاز في القرآن ، لحملوه خطأ على وجوه متعددة أهمها ما فيه من الإعجاز ببلاغته وفصاحته .

---

(١) هذه الدعوة كانت في الماضي تمهيدا لما ادعاه فيما بعد أحد اتباعه المتنكرين من إنكار السنة في كتاب صدر أخيراً بالإنجليزية موصى بعدم ترجمته أو الاطلاع عليه أو استعارته من مكتبة الكونجرس الامريكي إلا بتصريح خاص ريثما يمهد الجو له في الشرق الإسلامي .

(٢) راجع جولد تسيهر . العقيدة والشريعة . الترجمة العربية ص ٢٧٠ وما بعدها . مطابع دار الكتاب العربي بمصر الطبعة الثانية .

ويسخر البهائيون من محاولة فهم المسلمين على طول العصور والدهور بوجوه الإعجاز فى القرآن دون أن يلمسوا العصب الحقيقى، أو يعرفوا على الوتر الحساس المراد فى الفكر البهائى.

وظل الأمر هكذا عندهم مستورا لم تتبين المسلمون ولا نبيهم وجه إعجاز كتابهم الكريم حتى ظهرت البهائية كنحلة، لكى تقول: إن إعجاز القرآن متمركز فى نقطة واحدة ووحيدة وهى التبشير بالبهاء.

يقول داعيتهم الجرفادقانى: [أما الكتاب السماوى والوحى الإلهى ـ باعتقادهم فيه ـ فهو القرآن الشريف والمصحف المجيد، وهو قد كتبت آياته وحفظت سوره فى زمان الرسول عليه السلام، ودونت ورتبت فى زمان خلفائه فى مجمع من أكابر أصحابه وأوليائه، واتفقت الملل الإسلامية على اختلافهم وتفرقهم شيعا ومذاهب على مصحف واحد من دون اختلاف كلمة وتغيير حرف. إلا أنه لا يزيد على مجلد واحد أى ثلاثين جزءاً نزلت على النبى ـ عليه السلام ـ نجوما متفرقا فى مدة ثلاث وعشرين سنة. وسيدنا النبى ـ كما هو معلوم عند الجميع ـ كان من قريش أى أشهر قبائل العرب فصاحة وبلاغة، حتى عد أكثر علماء الإسلام فصاحة بيانه فى القرآن حجة بالغة، وبلاغة كلامه معجزة دامغة، ولكننا فندنا هذا الرأى فى كتب عديدة، وأظهرنا سبب إعجاز الوحى السماوى ووجوه تمييزه عن كلام البشر، بما لم يبق شك فيه لأرباب البصائر والنظر][1].

وهكذا تبين لنا السر الحقيقى وراء إنكار معجزات النبى ﷺ فيما عدا القرآن، وإنكار وجوه إعجاز القرآن كلها فيما عدا إنبائه عن البهاء. ذلك الإنباء الذى ظل سراً على النبى وأتباعه من يوم نزول القرآن وإلى يوم أن أعلن الباب ظهوره.

---

(١) انظر الحجج البهية ص ١١٨ إلى ١٢٢.

وجماع القول فى مسألة النبوة هنا أن البهائية لهم تفسير خاص لم يبقوا فيه إلا على قدر قليل من احترامهم للنبوة والأنبياء فى حين أنهم قد رفعوا قدر زعمائهم إلى مستوى الألوهية .

قال داعية البهائية الجرفادقانى عن الأنبياء الأولين فى كتابه الدرر البهية : [« وإنما بعثوا لسوق الخلق إلى النقطة المقصودة ، واكتفوا منهم بالإيمان الإجمالى حتى يبلغ الكتاب أجله ، وينتهى سير الأفئدة إلى رتبة البلوغ ، فيظهر (روح الله الموعود) يكشف لهم الحقائق المكنونة فى اليوم المشهود » يريد بروح الله الموعود خليفة الباب المسمى (بهاء الله) .][1] .

(١) نظرة فى الديانة البهائية : محمد فريد وجدى ص ١١٤ .

٣ ـ عقيدة البهائية فى البعث والحساب

هذا هو الجانب الثالث من جوانب العقيدة ، وهو الآخر قد احتاج من البهائية منذ أوائلها إلى غايتها أن يبذل قادتها وزعماؤها جهد الطاقة فى إثباته .

والبعث فى الإسلام معناه أن هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة هى الحياة الحقيقية يتم فيها الفصل بين الناس ، بحيث يجازى كل إنسان على ما ارتكب او اكتسب من أعمال ، فالآثم يعاقب على جريمته ، والمطيع يلقى ثواب طاعته مهما كان هذا أو ذاك ، صغيراً أو حقيراً « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

[إن العقل يستطيع أن يفهم الصلة الوثيقة بين البعث والحياة الأخروية باعتبارها دار جزاء ، والأخلاق باعتبار أنها لا تستقيم بغير الجزاء المترتب على المسئولية والإلزام .

إن الإنسان لا يستطيع أن يكابر فى حتمية اليوم الآخر إلا إذا كان صاحب مذهب ينتمى إليه ، أو هوى شخصى له مأرب فى تحقيقه [1] .

وخدمة الهدف الذى نطويه إلى المكان المحدد له من هذه السطور كان لابد للبهائية من إنكار اليوم الآخر بمعناه الذى ينطوى على الجزاء ، واستبدل هذه الفكرة بأخرى بالغة الضعف والهزال لكى تحل محلها .

إن الفكرة الجديدة قد تم الإعلان عنها مع إعلان الباب عن هويته ووظيفته ، إن الفكرة الجديدة فى لبابها تقوم على تفسير معنى القيامة والبعث واليوم الآخر بخروج على محمد الباب ، فالقيامة هى قيامته ، والبعث هو خروجه ، واليوم الآخر

---

(١) قد سبق أن كتبنا فصلا فى العلاقة الحقيقية بين الأخلاق والحياة الأخروية ضمن كتابنا . عقيدتنا وصفتها بالكون .

هو اليوم الذى يتم فيه نسخ الشريعة الإسلامية وبدء شريعة جديدة .

وجميع المظاهر التى تحدث عنها القرآن الكريم باعتبارها تمهيداً لليوم الآخر أو مصاحبة للبعث ، مخرجة كلها هذا المعنى .

ونحن نريد هنا دعم هذه الفكرة بأدلتهم حتى نمكن للقارىء من قطع الطريق معنا وصولا إلى أعماق هؤلاء ، وقوفا على أفكارهم من كتبهم ذاتها .

وما لخصناه هنا يتضمن فكرتين :

الأولى : أنهم يتحدثون عن القيامة بمعنى لا نعرفه ، ولا يعرفه غيرنا من أصحاب الاديان المعتبرة ، أو المذاهب الأخلاقية فى وضعها المستقيم .

وبيان هذه الفكرة من كلامهم على نحو ماشرحته نصوصهم أنهم يفهمون القيامة لا بمعنى اليوم الآخر ، وإنما بمعنى قيام المظهر على نحو ما بيناه .

يقول على محمد الشيرازى : (إنها ـ القيامة ـ عبارة عن وقت ظهور شجرة الحقيقة فى كل الأزمنة مثلا إن بعثة عيسى كانت قيامة لموسى ، وبعثة رسول الله قيامة لعيسى ، وبعثته هو قيامة لرسول الله ، وكل من كان على شريعة القرآن كان ناجياً إلى ليلة القيامة أى من يوم الساعة ، وهى الساعة الثانية والدقيقة الحادية عشرة من غروب الشمس من اليوم الرابع وأول الليلة الخامسة من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ هـ](١) .

وفى هذا المعنى يقول : [إن ظهور القائم من آل محمد هو عين ظهور رسول الله وقد ظهر ليجتنى ثمرات القرآن ولا يمكن اجتناؤها إلا بالإيمان بالقائم الذى قامت بقيامة القيامة ، واليوم الذى هو يوم القيامة ليس على فصل القضاء إلا فى هذا الجبل ـ أى « جبل ماه كو » الذى كان مسجونا هناك ـ)(٢) .

---

(١) الباب السابع من الواحد الثانى من البيان الفارسى والترجمة لظهير .

(٢) الباب السابع من الواحد الثانى من البيان الفارسى والترجمة لظهير .

وفى هـذا أيضاً قوله : [يوم القيامة على ما أنتم تدركون من أول ما تطلع شمس البهاء إلى أن يغرب خير فى كتاب الله من كل الليل إن أنتم تدركون ما خلق الله من شىء إلا ليومئذ إذ كل لقاء الله ثم رضائه يعملون . وفى يوم القيامة يدرك هذا ظاهراً فلتنتظرن فإنا كنا منتظرين . ولكنكم لله تعملون . ولقد قرب الزوال وإنكم أنتم ذلك اليوم لا تعرفون . ومن يكن لقاؤه ذات لقائى لا ترضين له ما لا يرضى نفس لنفس فلتذكرن حرف الآخر ثم حدكم تعملون][1] .

ويوم أن كان حسين على على ولائه لأستاذه على محمد الشيرازى حاول طاقة جهده أن يؤيد ماذكره أستاذه فى شرحه لمعنى القيامة .

فيقول : [لم يدرك أكثر العلماء هذه الآيات التى ورد فيها ذكر القيامة) ولم يقفوا على المقصود من القيامة ففسروها بقيامة موهومة من حيث لا يشعرون . . . . إن القيامة هو قيام نفس الله بصورة مظهره الكلى ، وهذه هى القيامة التى ذكرت فى جميع الكتب المقدسة وبشر بها الجميع][2] .

وفى كتاب آخر يشرح نفس الفكرة قال :

[الآيات الإلهية التى وردت فى القرآن والكتب القديمة عن القيامة والساعة ، أكثرها مؤولة ولا يعلم تأويله إلا الله ، وهـذه المراتب مبينة مبرهنة فى كتاب الإيقان ، وكل من يتفكر فيها يطلع على الحقائق التى ستر على الجميع] .

ولم يظل المازندرانى على ولائه طويلا لعلى محمد الباب ، ولكنه قد ادعى بعد مقتله بقليل الظهور لنفسه مخالفاً بذلك تعاليم أستاذه ، وزور هو وأتباعه فى البيان بما يجعله تمهيدا لظهوره .

---

(١) الباب السابع من الواحد الثانى من البيان العربى .

(٢) الإيقان للمازندرانى ص ٥٤ ، ١٤٤ .

(٣) الاقتدار : ص ٢٨٤ .

ولما استقر الادعاء له بدأ يتحدث عن القيامة باعتبارها قيامته هو ، ولكن على ما يبدو لنا أنه لم يكن محتاجا بين قومه وأتباعه إلى تكرار الإلحاح على هذه الفكرة حيث استقرت فى نفوسهم منذ أيام الباب ، وتأييد المازندرانى له قبل الأيام الإثنى عشر التى قضاها المازندرانى فى حديقة (نجيب باشا) .

ومن أجل ذلك فإننا وجدنا الآثار المنسوبة إليه تؤكد أن القيامة هى قيامته قليلة جداً بالقياس إلى الآثار المنسوبة لعصر (الشيرازى) على قصر مدته .

ولكن على أى حال فإن (حسين البهاء) لم يخل من الاحتياج إلى التصريح بأن القيامة الجديدة هى قيامته هو حيث إن المعنى الخاص بالقيامة يتغير بتغير الظهورات وتواليها .

ومن أقواله فى تفسير القيامة على أنها قيامته قوله : [يا قوم قد أتى يوم القيامة قوموا عن مقاعدكم وسبحوا بحمد ربكم (يعنى نفسه) العليم الحكيم][١] .

وقال أيضاً : [قد ارتفعت الصيحة وأتت الساعة وظهرت القارعة ولكن القوم فى حجاب غليظ][٢] .

إن هذا هو تفسير القيامة عندهم .

إلا أنه يتعين عليهم ماداموا قد سلموا بصحة القرآن الكريم ، وأنه منزل من عند الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . . إنه يتعين عليهم والحالة هذه أن يحددوا مواقفهم من قضايا كثيرة أثارها القرآن الكريم ، وحلها حلا جازماً على أساس أن بعضها سابق للقيامة ، وبعضها الآخر مصاحب لها أو مشهد من مشاهدها .

---

(١) مجموعة الأقداس والألواح لحسين على المازندرانى النورى البهاء ص ٨٩ .

(٢) نفس المرجع ص ٨١ .

عليهم أن يتحدثوا عن معنى الحياة البرزخية ، ووجود الناس فى القبور على صفة حددتها السنة وحددها القرآن ، عليهم أن يتحدثوا كذلك عن الثواب والعقاب ، والزقوم ، وشرب الحميم ، عليهم أن يتحدثوا عن تسجير البحار ، وتسيير الجبال ، وتكوير الشمس ، وسؤال الموؤدة . . . عليهم أن يتحدثوا عن هذا كله حديثاً مستفيضاً لتتخلص لهم آراؤهم ، ويسلم لهم فكرهم بقدر ما عندهم من قوة الحجة وسلامة البيان .

ولم يقدم البهائية بعض المتطوعين الذين رأوا فى اعتناق البهائية وسيلة إلى غاية، وطريقاً إلى هدف ، لم يعدم البهائيون مثل هذا النوع من البشر .

وكانت المحاولة التى تقوم فى تفسير آيات القرآن الكريم على أسس أهمها :

الإيمان بفكرة الدورة أو نظرية التناسخ ، وأن القرآن الكريم له ظاهر غير مراد ، وباطن لا يعرفه إلا أمثالهم ، وأن مايقولونه قضايا بدهية لا تحتمل الجدل العقلى ولا يجوز أن نطالبهم عليه بدليل .

فى إطار هذه الأسس الثلاثة جاءت تفسيراتهم لآيات القرآن الكريم التى تتحدث عن ما قبل القيامة ، فتخرج كل ذلك عن ظاهره إلى سخافات تجافى المنطق ويرفضها العقل من غير أن يكون من الجائز عندهم أن يناقشهم أحد فيها أو يرجع لهم قولا .

ونحن ننقل من نصوص بعض فلاسفتهم مايؤكد هذا كله من غير أن نكون محتاجين إلى تعليق أو إضافة قول ، فالأمر ظاهر جلى لا يحتاج إلى تعليق أو إضافة قول .

البرزخ :

[هو المدة بين الرسولين فيكون فى هذا العالم وليس فى عالم ما بعد الموت

فالمدة بين لحوق الرسول - ﷺ - بالرفيق الأعلى ، وظهور حضرة الباب الكريم هي البرزخ بدليل قوله تعالى :

« ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون »[1] .

إذ إن الباقي من مدة البرزخ هي المدة الباقية من مدة الدنيا لأن الدنيا إنما يعني بها الدورة المحمدية وما قبلها ـ فإذا انتهت الدورة المحمدية بمجيء رسول آخر انتهت تلك الدنيا وانتهى زمن البرزخ . إذن فالبرزخ هو المدة التي بين رسولين . « إلى يوم يبعثون » أي إلى الوقت الذي يبعثون فيه من الضلالة إلى الهداية أو معناه الإيمان برسول الوقت . . . وذلك اليوم هو يوم حضرة بهاء الله ورسالة حضرة الباب هي جزء من رسالة حضرة بهاء الله ، ففي ذلك اليوم ، العالم كله يؤمن فلا يبقى من هو على الضلالة والكفر لقوله تعالى :

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » أي الشاهد الذي يشهد على صحة دعواك فيؤمنون به وبك ، وقوله : « حتى تأتيهم البينة » يدل على أن نهاية كفر أهل الكفر والضلالة ، هو إلى أن تأتيهم البينة . فإذا جاءت البينة آمنوا فعم العالم الإيمان ، وهذا الشاهد هو رسول الله ، والمراد به حضرة بهاء الله][3] .

عذاب القبر وفتنته :

[إن عذاب القبر وفتنته وسؤال منكر ونكير ، واقع في هذا العالم وليس في عالم ما بعد الموت . ولفظ القبور الواردة في الأحاديث الدالة على سؤال

---

(١) سورة المؤمنون . آية : ١٠٠ .

(٢) سورة البينة . آية : ١ .

(٣) التبيان والبرهان ـ أحمد حمدي آل محمد ـ جـ ٢ ص ٣٩ - ٤٢ .

القبر وفتنته . لم يرد بها هذه القبور المعروفة بل عبر بها عما يشبهها مجازا . . .
وسؤال منكر ونكير إنما لأمة دعوه حضرة بهاء الله . . . والآية :

« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء »[١] .

أى يقويهم بالحجج القوية فى الحياة الدنيا ، فى إيمانهم بمحمد ﷺ ، وفى الآخرة فى إيمانهم بحضرة بهاء الله . . .][٢] .

الآيات المصاحبة للقيامة وتفسيرهم لها :

[. . . « وإذا العشار عطلت »[٣] .

المراد من العشار الإبل كافة . والمراد من تعطيل الإبل تركها عن الاستعمال لاستعاضة الناس بالقاطرات والسيارات والطيارات بينما كانت الإبل فى الأزمنة السابقة هى عدة الناس فى نقل الأثقال وفى الأسفار ، وهذا ما قد وقع بالفعل ، حتى جزيرة العرب نفسها قد تركت الإبل واستعاضت عنها بالسيارات] .

« وإذا الوحوش حشرت »[٤] .

ومعنى الحشر الجمع ، أى إذا جمعت الوحوش . وقد وقع هذا كما أخبر تعالى ؛ فالوحوش قد جمعت فى أنحاء العالم ، وقد تشكلت جنينات الحيوانات لا سيما فى عواصم البلاد والمدن الكبرى . . . والخلاصة أن حشر الحيوانات الوحشية وجمعها قد كان تكوينه قبل قيام حضرة السيد على محمد الباب ولم تزل تندرج حتى صارت

---

(١) سورة إبراهيم : آية ٢٧ .
(٢) المرجع السابق ج ٢ - ص ٦٠ ، ٦١ .
(٣) سورة التكوير : آية ٤ .
(٤) التكوير : آية ٥ .

حديقات الحيوانات وقد جمعت فيها الحيوانات الوحشية من كافة أنواعها . فهذا هو حشر الوحوش !

« وإذا البحار سجرت »[1] .

أي اشتعلت فيها النيران . فالبحار لم يكن فيها قبل وجود المراكب البخارية شيء من النار سوى ما يطبخ فيه الملاحون طعامهم في السفن الشراعية ، وما كان يرمى بعضهم بعضاً بالنفط والقار ومدافع البارود في حروبهم ، وهذا شيء يسير ونزر ولا يستغرق من الوقت إلا قليلا ، وأما الآن فالبواخر سائرة ليلا ونهارا وتعد بمئات الألوف وكلها تشعل النار ليلا ونهاراً فالبحار مسجورة بما تشعله هذه البواخر ، فإذا صار حرب بحرى فلا تسل عن إشعال النار فيها وتسجيرها . وهذه البواخر إنما وجدت حوالى مجيء حضرة السيد على محمد الباب .

« وإذا النفوس زوجت »[2] .

يصيرون أزواجا ثلاثه ، قال تعالى : « وكنتم أزواجا ثلاثة ، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة ، والسابقون السابقون ، أولئك المقربون »[3] .

فالمؤمنون بالرسول صاحب الوقت يكونون أصحاب اليمين . والذين سبقوا للإيمان في بدء الدعوة هم السابقون . وهؤلاء الناس يتكونون من طوائف ونحل وأجناس متفرقة متخالفة متشاكسة ، فيتآلفون ويتمازجون بسبب إيمانهم بالرسول ، وهذا هو تزويج النفوس ، وأصحاب المشأمة هم ما بقى من أهل الضلالة . فكما ترى الآن قد وقع بالفعل ! فاليهودى والبوذى والمسلم والوردشتى والنصرانى قد صاروا متآلفين .

---

(١) التكوير : آية ٦ .
(٢) « : آية ٧ .
(٣) الواقعة : الآيات ٧ — ١١ .

« على سرر متقابلين »[١] بسبب اعتناقهم دين الجمال المبارك حضرة بهاء الله الذى هو دين السلام والألفة . وقد كانوا قبل ذلك متكارهين متباغضين . .

« وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت »[٢] .

أى سئلت من قاتلها . . ولقد كثر فى هذه الأيام إسقاط الأجنة من بطون الحوامل ، وكانت المرأة قبل أن تسن القوانين الجزائية لا تسأل إذا قتلت جنينها ، وأما الآن فهى مسئولة عن وأد جنينها . . !

« وإذا الصحف نشرت »[٣] .

والمراد بها الصحف السيارة وهى الجرائد . والجريدة بهذا المعنى لم توجد إلا فى القرن التاسع عشر .

« وإذا البحار فجرت »[٤] .

أى فجر بعضها على بعض ورفعت الحواجز بينها . وقد وقع هذا بالفعل ، فالبحر الأحمر فجر على البحر الأبيض سنة ١٨٦٩ م . وبحر المحيط الهادى فجر على البحر الأطلنطى برفع برزخ بناما ، بدىء بفتحة سنة ١٩٠٤ ، وفجر بحر البلطيق على بحر الشمال بحفر قناة كيل فى ١٩١٣ .

« وإذا القبور بعثرت »[٥] .

ليس الآن قاصراً على بعثرتها لاستخراج الذهب والفضة كما كان فيما سبق ، بل يبعثر القبور أيضاً لإستخراج الآثار القديمة منها ، كما بعثرت قبور الآشوريين والكلدانيين فى العراق ، وكما بعثرت الاهرامات فى مصر ، وهى قبور الفراعنة

---

(١) الصافات : آية ٤٤ .

(٢) التكوير : الآيات ٨ و ٩ .

(٣) التكوير : آية ١٠ .

(٤) الإنفطار : آية ٣ .

(٥) « : آية ٤ .

وقبور أخرى بعثرت في بلاد أخرى . يقصدون القبور ويحفرونها فيبعثرون ما فيها أي يفترقونه هاهنا وها هنا بتوزيعه على المتاحف . . . [١] .

وهكذا يجهد البهائيون أنفسهم في تتبع آيات القرآن الكريم الخاصة بالقيامة ، حقيقتها وأشراطها ومشاهدها إلى غير ذلك من مقدماتها ولواحقها على نحو يتعب الحواس ويرهق الأفئدة .

وأنت ترام في هذا كله ونظائره يعتبرون الخيال والأباطيل حقائق علمية مسلماً بها لا تقبل الجدل ولا تحتمل المراء .

ولكي يضمن إله البهائية ونبيها أن أتباعه لا يجادلون ، وأنصاره لا يتساءلون عما يقول يحرم عليهم باب الجدل ، ويغلق أمامهم حرية الاطلاع في كتب غير كتبه ، والوقوف على معارف أخرى سوى هذيانه وأباطيله ، وهو قبل ذلك وبعده يضع أمامهم قاعدة لم تر الإنسانية مثلها في ديانة مصنوعة أو موحى بها .

فهو يقول بأسلوب جازم لا يقبل التنازل عنه ، وبعبارة جادة لا لين فيها ولا التواء .

[قل تالله الحق لا تغنيكم اليوم كتب العالم ولا ما فيه من الصحف إلا بهذا الكتاب] [٢] .

[لو يحل ما حرم في أزل الآزال أو بالعكس ليس لأحد أن يعترض عليه ، والذي توقف في أقل من آن إنه من المعتدين ، والذي ما فاز بهذا الأصل الأسنى والمقام الأعلى تحركه أرياح الشبهات وتقلبه مقالات المشركين ، من فاز بهذا الأصل قد فاز بالاستقامة الكبرى حبذا هذا المقام الأبهى الذي بذكره

---

(١) راجع البيان والبرهان جـ ٢ ص ١٢١ و ص ١٢٨ .

(٢) الأقدس الفقرة ٢٦٧ .

الذين كل لوح منيع ، كذلك يملكم الله ما يخلصكم عن الريب والحيرة وينجيكم في الدنيا والآخرة إنه هو الغفور الكريم](١) .

[من يقرأ آية من آياتى خير له من أن يقرأ كتب الأولين والآخرين](٢) .

[ياقوم لا تمتحنوا ربكم ، إنه يمتحن من يشاء ، إنه هو العزيز المختار](٣) .

[لو يحكم على اليمين حكم اليسار ، أو على الجنوب حكم الشمال حق لا ريب فيه ، إنه محمود فى فعله ومطاع فى أمره](٤) .

[لو يحكم على الماء حكم الخمر ، وعلى السماء حكم الأرض ، وعلى النور حكم النار حق لا ريب فيه ، وليس لأحد أن يعترض عليه أو يقول لم وبم ؟ والذى اعترض إنه من المعترضين فى كتاب الله رب العالمين ، إنه لا يسئل عما يفعل وكل عن كل يسألون ، إنه أتى من سماء الغيب ومعه رأيه يفعل مايشاء بجنود القدرة والاختيار ، ولدونه أن يتمسك بما أمر به ، وإنه لو يحكم على الصواب حكم الخطأ ، وعلى الكفر حكم الإيمان حق من عنده](٥) .

٩ — [أى عقل ذلك العقل الذى يتقبل مثل هذه المقولات ، بل قل أى إله ذلك الذى يطالب عباده بأن يسيروا فى حياتهم خانعين قانعين مقتنعين بقلب الحقائق فاقدين كل معيار للقيم .

أى أمة تلك الأمة التى تقتنع بهذه الهذيانات ، وتؤمن بهذه الافتراءات

---

(١) الأقدس الفقرة ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ .

(٢) أيضاً الفقرة ٢٩٩ .

(٣) لوح الأقدس الأعلى المازندرانى ص ٩٨ من الكلمات .

(٤) إشراقات المازندرانى ، ص ١٠٦ من مجموعة الألواح .

(٥) أيضاً ص ١٠٤ و ١٠٥ .

« وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون »[1] .

وقفة ارتياب :

وقد وصلنا بالحديث أو وصل الحديث إلى آخر نقطة فى العقيدة البهائية كما رسموها بأقلامهم ، أو أوحى إليهم بها شيطانهم .

وهى على ما توخينا فيها من الاختصار فى عرضها ، والاجتزاء من النصوص التى تشرحها وتبين عنها قد رسمت صورة جلية وصادقة لعقيدة تلك النحلة أمام القارىء حتى لا يفتن المؤمنون من المسلمين بما فيها من زيف وتضليل ، وحتى نترك فى الوقت نفسه أمام الذين خدعوا بالبهائية وزيفها فرصة سانحة شديدة اللمعان تضىء أمامهم الطريق لعلهم يرجعون عن ردتهم إلى حظيرة دينهم ، ويؤوبون من خلال الهوى وتيه الخزعبلات إلى نور العقل وبحبوحة اليقين .

غير أن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو إذا كانت البهائية فى عقيدتها قد زعمت صورة على هذا النحو من الانحراف والزيغ ، إذا كانت البهائية قد نزلت بفكرة الألوهية إلى حد عبادة البشر لا فى صورة البشر المثالية ، وإنما فى صورتهم الزائفة المنحرفة ، إذا كانت البهائية لم تستطع أن تضع حداً فاصلا بين النبوة والألوهية ، فزجت بينهما مزجاً شائهاً بحيث جعلتهما يلتقيان فى شخص البهاء نفسه الإله والرسول ! إذا كانت البهائية قد تجاهلت عقول العالم وأحاسيسها حين ألغت فكرة البعث وأنكرت أن تكون هناك حياة بعد هذه الحياة ، وأقرت بأبدية العالم الذى لا أول له ولا آخر عندهم ، إذا كانت البهائية قد صادرت حرية أتباعها ومنعتهم الثقافة والنقاش ، إذا كانت البهائية بكل هذه الصفات ، فكيف تم لها الجرأة على ادعاء نسخ الشريعة الإسلامية من ناحية ، وكيف أتيح أمامها فرص أن يكون لها من الأتباع والأنصار ما نعرف وما لا نعرف ؟ .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢١ .

إن هذا السؤال على طوله الطويل ، وعلى تعدد فقراته وعناصره يدع الإنسان أمام حقيقة واحدة ، وافتراض لا يصح غيره فى عالم الفرض والتقييم .

إن المرء حين يجد عقيدة شائهة كهذه تعمل فى الخفاء ، وتقف إلى جوارها قوى مشبوهة فإنه لا يستطيع أن يحملها على سلامة القصد ، إنما لا بد من الشك فيها والريب .

إن الأديان الصحيحة تبدأ دائما من القاعدة الشعبية ، ثم ترتقى حتى تصعد إلى علية الناس ، فتأتلف جماعة الأمة من العلياء والعامة .

أما الديانات الشائهة المشبوهة التى تسعى إلى التغيير لا لصالح الأمة ، وإنما لصالح بعض أفرادها ، فهى إنما تبدأ من علية القوم ، وليس كل العلية ، بل أولئك النفر الذين لهم مصلحة فى تلك الديانة ، أو يعملون لمن لهم مصلحة وراء تلك الديانة .

والبهائية تدور فى علية القوم فى كل مجتمع ، ولا تنزل إلى الدهماء إلا بمقدار الستار الذى يسترهم ، والوقود الذى يحمى نيرانهم ، وقد يكون النفر الذين أعدوا الستار والوقود أكثر عدداً من المستورين الذين تحمى النار من أجلهم .

بل إن الريب والشك قد يصل بنا أحياناً إلى القول بأن من يعتنق البهائية سواء كان من العلية أو من العامة كلهم أحجار فى ستار أو حطب فى أتون مشتعل ، والمستفيد النهائى أناس آخرون سترتهم الأحجار ، وأذكى نيرانهم الوقود .

هل يمكن أن نثبت فى الصفحات التالية هذا الفرض ؟

الأيدى القابضة على الخيوط وحركة العرائس

على المسرح

لقد صحبنا البهائية فترة من الزمن بحثا عن الوسائل والغايات ، وقد تم لنا تصويرها — على ما نرجوه — من خلال وثائقهم ، ومن بين ما كتبوه .

وحين نريد أن نبحث عن الغاية الكبرى وراء البهائية . فإنه ينبغى أن نكون سائرين على منهج علمى ، لا أثر فيه للانفعال ، وإن كان الانفعال هنا مشروعا ، ولا مجال فيه لسيطرة الغيرة ، وإن كانت الغيرة حتما مقضياً ، نريد أن نلتزم الخط العلمى هنا حتى لا يقال : إن الوسائل عاطفية إلى نتائج ظنية لا يمكن التسليم بمقتضاها .

والخط العلمى يقتضى بعد الملاحظة العامة فرض الفروض ، وامتحان الفرض بكل طريق ممكن لإثبات صحته أو خطئه[1] .

وقد افترضنا لتعليل ظهور البهائية عدة افتراضات لم يثبت أمام التمحيص والاختبار سوى فرض واحد هو الذى سنعرضه الآن ونرجو أن يظل هذا التفسير الذى افترضناه فرضاً أمام القارىء حتى يثبت أمامه بالدليل أن هذا التفسير الوحيد والعلمى لظهور البهائية .

وخلاصة هذا الفرض هو أن البهائية ليست سوى مجموعة من العرائس الصماء التى اجتمعت على المسرح بعد أن تجمعت خيوطها فى يد خفية تعبر عن مجموعة

---

(١) لا يقال إن تلك ظواهر اجتماعية فكيف نطبق عليها المناهج العلمية الصارمة لأن الله قد خلق للظاهرة الاجتماعية قوانين ، وتوصل العلماء إلى المناهج العلمية الصحيحة لدراسة الظاهرة الاجتماعية ، وهى لا تختلف إلا فى بعض الإجراءات عن العلوم . انظر علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت للمؤلف .

من الملاحدة ، أو الا أدريين الذين يريدون تخريب العالم ، ويتطلعون إلى اليوم الذى لا يكون على الكوكب الأرضى فيه سوام .

وهذا التشبيه دال أبلغ الدلالة على هذا التفسير الذى افترضناه ، وليس فيه من قصور سوى أنه يمد بسبب محس بين البهائية ، واليد المحركة متمثلا فى الخيوط التى هى وسيلة الحركة ونقول : إن فى هذا السبب الممتد بين العرائس واليد الخفية قصوراً فى مثالنا التشبيهى ، ذلك أن الحركة الخفية فى واقع أمرها لا تربط نفسها بسبب مباشر مع العرائس العمياء على المسرح إذ إن مثل هذا الربط الظاهر قد يؤدى فى حالة معينة إلى كشف المساتير وإزالة الحجب ، إذا حاول بعض الناس أن يتتبعوا الخط من العرائس المرئية إلى الأيادى الخفية التى تحركها ، فاعتاض من هم وراء الستار عن هذا السبب المباشر بطريقة أخرى يكون السبب فيها متعدد المفاصل كثير الوسائط ، بحيث يمكن فى لحظة معينة تجزىء هذا السبب واصله ، فلا يستطيع أحد الوصول إليهم ، وهم يحرصون غاية الحرص أن لا يتعرف أحد من أفراد العرائس عليهم ، كما أنهم يحرصون غاية الحرص أن يبعدوا عنهم كل جزء من أجزاء السبب المفصل ، بحيث لا يتعرف عليهم إلا الجزء الملاصق لهم ينبغى أن لا يعرف أكثر من اللازم ، فإذا اقتضت الظروف إطلاعه ، على أكثر مما ينبغى لتنفيذ عملية معينة ، فإنه بمقتضى منطقهم يجب أن يموت هذا الجزء بعد أن ينهى مهمته ليموت السر معه ، وليس هناك من تعليل وراء عمليات الإزاحة تلك سوى أنه أصبح يعلم أكثر من اللازم .

وهكذا تصبح العرائس ، وأجزاء السبب المفصل مجموعة من الحيوانات (الجوايم) أو مجموعة من العميان كما هو معروف فى مصطلحات الماسونية العالمية[1] .

---

(١) ولمزيد من التفاصيل فى هذا الجانب راجع أحجار على رقعة الشطرنج . وليم غاى كار .

وقبل أن نحاول اختبار هذا الفرض ، وامتحانه وحشد الأدلة الدالة عليه يجب أن نتوقف قليلا لتلقط الأنفاس ، ونحن نعطي صورة اليهودية ، وما يصاحبها من بعض المصطلحات التي عميت على الكثيرين في الفترة الأخيرة من التاريخ ، والتي راكبت ظهور البهائية بالذات .

لقد لاحظ المؤرخون في تاريخنا الحديث ظهور مجموعة من المصطلحات يستعملها اليهود ، ويحاولون فرضها على الناس فرضا ليفهموها على نحو ما يفهمها زعماء اليهود أنفسهم .

وهذه الكلمات التي يرددها اليهود بعضها معروف لدى العلماء منذ أزمنة بعيدة ، وبعضها مستحدث لم يكن له وجود قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومن بين المصطلحات المستعملة (اليهودية) .

وجميع الخلائق يعرفون أن هذه الكلمة (يهودية) تعبر عن ديانة ، نبيها هو موسى عليه السلام ، وكتابها المقدس الذي نزل عليه هو التوراة ، ومن يوم أن نزلت هذه الديانة على موسى ، وإلى فترة متأخرة نسبياً لم تكن هذه الكلمة تحمل في طياتها معنى سياسيا ، أو مدلولات عرقية أو عصبية تحمل أتباعها على القول بأنهم سلالة عرق ممتازة .

اليهودية إذن ديانة يدخل فيها من أى عرق من يشاء الدخول فيها ، وينتمي إليها من أى سلالة من يريد الانتماء إليها ، وقد أثبت التاريخ أن هذا ما كان بالفعل ، ولكن هذا اللفظ قد تغير مفهومه فيما بعد ليدل على شيء لم يكن يدل عليه ، ويحمل بين طياته معاني غريبة عنه كل الغرابة .

ومن المصطلحات التي نجدها عند اليهود مصطلح (الصهيونية) .

هذا المصطلح له نوعان من الدلالة يمكن أن نطلق على أحدهما :

(ا) الصهيونية الدينية .

كما يجوز أن نطلق على الثانى .

(ب) الصهيونية السياسية .

والصهيونية الدينية قد ظهرت لتعبر عن لون من الحنين الدينى إلى أرض كانت مهبط الوحى على موسى عليه السلام ، وقد ظهر هذا الحنين بعد أن وقع بين اليهود ، وبين غيرهم من دول الغرب مجموعة من المشاكل الاجتماعية والدينية كان اليهود ، أو بالأحرى زعماؤهم السبب فى إثارتها وإيجادها .

وهذه الصهيونية الدينية بمفهومها الذى فهمناه لم يكن يحمل فى طياته معنى سياسيا خاصا ، فلم يكن لليهود مطمع فى أن يخرجوا أقواما غير يهود من أراضيهم الشرعية ليحلوا محلهم بسلطان القهر والاقتدار ، أو بسلطان الحيلة والمكر والتدبير ، ولم يكن هذا وارداً ولا نظهره ، أو على الأقل لم يكن ظاهراً على السطح بادياً للعيان .

فلما كان النصف الثانى للقرن التاسع عشر الميلادى كانت الساحة قد شهدت يهودياً بالادعاء لا أدريا بالحقيقة ، لا يؤمن بالأديان ، ولا ينضوى تحت لواء واحد منها ، هو « تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤) الذى دعا إلى تحويل مصطلح الصهيونية من مدلوله الدينى إلى مدلول آخر سياسى ، إنه يرغب إلى طرد سكان مهبط الوحى عندم وإجلائهم عن ديارهم الشرعية ، وإحلال اليهود محلهم على أن يسلك إلى ذلك وسيلتين فى وقت واحد :

إحداهما : سبيل الحيلة والتدبير .

وثانيتهما : سلطان القوة والاقتدار .

وهذه المعانى التى دعا إليها واعتبرها هى المفهوم الحقيقى للصهيونية هى نفسها التى حولت مفهوم الصهيونية من مفهوم دينى شعورى إلى مفهوم سياسى تخطيطى .

ولسنا نحن كما أننا نعتقد أن غيرنا لا يظن أن هذا التحويل كان وليد يوم وليلة ، وأنه لم يكن موجوداً قبل مؤتمر (بال) بسويسرا ١٨٩٧ م ، بل إن الشكل المنطقى لهذه الفكرة يقول إنها كانت مختمرة فى ضمائر الكثيرين تبحث وراء الكواليس بجدية ونشاط ، وهذا الكمون كان ينتظر فرصة مناسبة لكى يظهر على السطح .

١٢ — [وكان النصف الثانى للقرن التاسع عشر هو أكثر الأزمنة ملاءمة حيث عملت اليد الخفية على إشعال نار القوميات فى أوروبا لتفتيتها من جهة ، ولخلق مناسب الإعلان عن خطتهم من جهة أخرى .

ولم يشأ زعماء اليهود أن يؤسسوا دولة أساسها القومية كذلك القوميات الموجودة فى أوروبا رغم أن الدعاة لهذه الدولة ، أو إنشاء هذا الوطن علمانيون بالدرجة الأولى ، لكنهم لم يشاءوا أن يدعوا إلى وطن قومى لليهود على أساس من القومية التى تشابه القوميات فى أوروبا لأن مثل هذه الدعوى لا يمكن تبريرها ، ولا يستطيعون فلسفتها ، إنهم يريدون أن يجمعوا يهوداً من العالم فى وطن يغتصبونه ، ولا يصح والحالة هذه أن يقيموا دولة على الوطن المغصوب تكون فكرة القومية أساساً لها .

الصهيونية السياسية أساسها ودعائمها :

على هذا النحو السابق تبلورت فكرة الوطن القومى لليهود ، وقد كان الزمن مواتياً للإعلان عن رغبة اليهود فى ذلك ، فاجتمع اليهود فى سويسرا مع أفول القرن التاسع عشر ليتدارسوا حول هذا الموضوع ، ويتفقوا حول الأسس التى ينبغى اتخاذها ، والقواعد التى يجب إرساؤها .

ولقد أصبح واضحاً بعد هذا المؤتمر أن اليهود يريدون أن ينشئوا وطناً قومياً لهم فى فلسطين ، ولابد والحالة هذه من الاتفاق على خطة مزدوجة تضم فى وقت واحد الجانب السياسى ، والتكتيك العسكرى .

فكانت الأسس على النحو التالى :

١ — دعوى الحق التاريخية فى فلسطين .

وكان أول هذه الأسس أن ادعى اليهود أن لهم حقاً تاريخياً فى أرض فلسطين ، ذلك أنهم كانوا أول من سكنها واستوطنها ثم أجلوا عنها ، وهم الآن يريدون أن يأخذوها لهم استرداداً لحقهم التاريخى .

وليس هناك من شك فى أن هذه الدعوى زائفة ، وقد قصد زعماء اليهود إلى ادعائها قصداً كى يفلسفوا موافقهم .

ولم يعد خافياً الآن على كتاب الحضارات القديمة والمشتغلين بتسجيلها أن هذه دعوى مفرضة لا يساندها التاريخ ، ولا يؤيدها الواقع .

ولقد سطرت اليوم كتب كثيرة فى تزييف هذه الدعوى برغم أن الكتابة فى هذا المجال تعرض كاتبها لخطر خطر الموت ، أو تشويه السمعة وتلطيخ السيرة[1] .

٢ — ادعاء أن أرض فلسطين صحراء تحتاج إلى التعمير .

ولقد ادعى اليهود أن أرض فلسطين هى أرض صحراوية برغم خصوبتها ، جرداء تحتاج إلى تعمير خراب لا يجوز أن يبقى هكذا والعالم يحتاج إلى ما يسد جوعته من الطعام والفاكهة ، وأهل هذه البلاد إن كان فيها أهل لا يستطيعون أن يعمروها فهم على قلتهم وندرتهم فى هذه المنطقة متخلفون فكرياً .

وهذه الدعوى هى الأخرى كاذبة ومغرضة ، ففى هذا الوقت الذى ادعى فيه اليهود أن هذه المنطقة خراب ، كانت من أكثر بلاد الدنيا تصدير الطعام والفواكه ، والإحصائية بالأرقام لبعض المحدثين من الكتاب الغربيين تؤكد زيف هذا الادعاء .

---

(١) جمع رجاء جارودى منذ فترة قصيرة معلومات كثيرة حول هذا الموضوع ، ونشرها فى كتاب له نقل إلى العربية أسماه ملف إسرائيل فليراجعه من يشاء .

١٣ — [كتب آشير غنز برج ، من أوائل الصهيونيين الذين جاءوا إلى إسرائيل ، كتب في ١٨٩١ بتوقيع مستعار « واحد من الشعب » :

اعتدنا أن نقول في الخارج إن أرض فلسطين شبه صحراوية ، وإنها لا زرع بها ولا ضرع ، وعلى من شاء الحصول على أرض أن يأتي هنا ويأخذ ما شاء من أرض ، غير أن الواقع مخالف لذلك تماما . فيصعب أن نجد في طول البلاد وعرضها أرضاً بلا زرع ، والمناطق الوحيدة غير المستزرعة هي مساحات من الرمال وجبال صخرية يمكن أن تنمو بها أشجار الفاكهة بعد جهد شاق من استصلاح الأرض وإعدادها .

والواقع أن البدو ، قبل مجيء الصهيونيين ، كانوا يزرعون الحبوب ويصدرون منها ٣٠٠٠٠ طن في العام ، وازدادت مساحة بساتين الفاكهة ثلاث مرات ما بين عامي ١٩٢١ و ١٩٤٢ ، وتضاعف مساحة حدائق البرتقال والحضيات الأخرى ٧ مرات ما بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٤٧ ، كما تضاعف إنتاج الخضروات عشر مرات ما بين ١٩٢٢ و ١٩٣٨ .

وإذا ما اقتصرنا على الحضيات ، فإننا نشير هنا إلى تقرير (بيل) وقد قدمه وزير المستعمرات إلى البرلمان البريطاني في يوليو ١٩٣٧ وتناول فيه التقدم السريع في زراعة البرتقال بفلسطين وذلك توقعاً للزيادة في الاستهلاك من البرتقال في العشر السنوات التالية وقال فيه إن البلدان المنتجة للبرتقال ستكون كما يلي :

فلسطين : ١٥ مليون صندوق .

الولايات المتحدة : ٧ ملايين صندوق .

إسبانيا : ٥ ملايين صندوق .

بلدان أخرى : ٣ ملايين صندوق .

(منها قبرص ومصر والجزائر إلخ) .

[هذه الأرقام قد وردت فى تقرير (بيل) ، الفصل ٨ / ١٩ ص ٢١٤][1] .

٣ — التجاهل المتعمد لشعب فلسطين .

وهذا هو الأساس الثالث من الأسس التخطيطية لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

ومن هنا فإن اليهود منطقيون مع أنفسهم ، ومع خطئهم حين تجاهلوا أن الأرض التى يريدون إقامة شعب لهم عليها مشغولة بمجموعة من البشر لا يتأتى لهم أن يسكنوها إلا إذا تخلصوا من سكانها الأصليين .

ونحن نستطيع أن نلمح هذا التجاهل منذ أن دعا « هرتزل » إلى إنشاء وطن قومى لليهود مع أوائل القرن الماضى .

فى كتابه الذى كتبه فى هذا المجال تحت عنوان (الدولة اليهودية ١٨٩٦) لم يرد أى إشارة عن شعب فلسطين ، وإنما أهملهم إهمالا متعمدا .

وحين قامت دولة إسرائيل بالفعل توالت التصريحات على لسان زعماء هذه الدولة تعلن أن هذه الأرض ليس بها سكان ، وإن كان بها سكان أصليون ، فإنهم لا قيمة لهم ويجب إخراجهم بالحيلة المصنوعة أو بالقوة القاهرة

[صرحت جولدا مائير لجريدة صانداى تايمز اللندنية فى ١٥ يونيو ١٩٦٩ قائلة : لا وجود للفلسطينيين . وليست المسألة مسألة وجود شعب فى فلسطين يعتبر نفسه الشعب الفلسطينى ، وليست المسألة أننا أتينا وطردناهم وأخذنا بلادهم لا ، إنهم لم يوجدوا أصلا][2] .

---

(١) ملف إسرائيل روجيه جارودى ـ ترجمة الأستاذ مصطفى كامل فوده ـ ط ، دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م . ص ٤٣ — ٤٥ .

(٢) الكلمة فى لغتها العبرية الأصلية هاجانا ومعناها الدفاع كأن المراد تاريخ منظمة الدفاع ، راجع القاموس العبرى العربى محمود ٢ ص ١٥١ وضع ى قوجمان ط . بيروت توزيع دار الجيل مكتبة المحتسب ش الطبع ١٩٧١ م .

١٤ - [وبهذا المنطق أجاب وايزمان حين وجه إليه أينشتاين هذا السؤال :

[وما مصير العرب إذا ما أعطيت فلسطين لليهود ؟ قال وايزمان : من هم أولئك العرب ؟ إنهم لا شيء تقريبا] .

نشرت المنظمة الصهيونية العالمية عن بنزيون دينور الأستاذ الجامعي وأول وزير للتعليم في وزارة دافيد بن غوريون قوله في المقدمة التي كتبها عن « تاريخ الهاغاناه » . [ليس في بلادنا مكان إلا لليهود . وسنقول للعرب : ارحلوا . فإن لم يرضوا بذلك وعمدوا إلى المقاومة فسنرحلهم بالقوة]

[وكتب جوزيف فايتز مدير إدارة الاستيطان « بالوكالة اليهودية » غداة يوليو ١٩٦٧ قائلا : من الواضح - فيما بيننا - أنه لا مكان في هذه البلاد للشعبين . والحل الوحيد هو إسرائيل اليهودية التي على الأقل إسرائيل الغربية (غربي نهر الأردن) بلا عرب ، ولا مخرج إلا بنقل العرب إلى مكان آخر ، في البلدان المجاورة][1] .

٤ - دعوى اضطهاد السامية .

ولقد صنعت الخطة اليهودية أساساً مهما هو الادعاء الشديد بأن السامية مضطهدة في العالم ، واليهود الساميون يعانون من وطأة هذا الاضطهاد وظلمه الآثم .

وإعلان هذا المبدأ لا بد أن يسير على محورين في نفس الوقت :

أحدهما يتعلق باليهود .

---

(١) هذه النقول تضمنها كتاب ملف إسرائيل - جارودى - النص العربي ص ٤٢ وما بعدها .

فلا بد أن يشعر يهود العالم بأنهم مضطهدون حتى يتمكن زعماء اليهود من جذبهم إلى إسرائيل .

وتأكيدا لهذا المعنى فلقد اتخذ حاخامات اليهود قراراتهم وأجمعوا أمرهم على أن يحملوا يهود العالم جميعاً على التميز فى أوطانهم بحيث تكون اليهود فى جميع أنحاء الدنيا شخصيتهم المستقلة بدعوى الحفاظ على صفاء العرق ونقاء السلالة .

ومن المعروف أن مثل هذا التميز فى الأوطان يثير الريبة ويستلفت الانظار .

فن حق زعماء الدول وقادة المجتمعات أن يتساءلوا عن سر هذا التميز وأن يرتابوا فيه .

وهذا الارتياب نفسه يجعلهم يتصرفون تصرفات أمنية فى أوطانهم يستغلها زعماء اليهود لإشعار اليهود فى تلك الأوطان بأنهم مضطهدون .

كتب (وليم غاى كار) كمثال لهذا أن روسيا القيصرية فى أواخر القرن الماضى كان فيها يهود يحافظون على تميزهم ، وادعوا أنهم مضطهدون ، فاتخذ القيصر فى روسيا قرارا لمعالجة هذا الحال بمقتضاه يجبر اليهود على إدخال أبنائهم فى المدارس الحكومية عملا على إذابتهم فى المجتمع والقضاء على تميزهم ، فى نفس الوقت الذى لم يكن فيه الروس مجبرين على مثل هذا التعليم الإلزامى .

وهذا القرار وإن كان يعالج من وجهة نظر القيصر مشكلة التفاف اليهود حول أنفسهم إلا أنه أخطأ خطأ بالغا ، حيث أتاح لليهود نوعين من التميز فى نفس الوقت التميز العرقى الذى لم يتخل عنه ، والتميز الثقافى الذى ساقهم القرار إليه ، واستثمره زعماء اليهود أفضل استثمار[1] .

---

(١) راجع : أحجار على رقعة الشطرنج الفصول التى عقدت للثورة الروسية .

وإمعانا فى إشعار اليهود بالاضطهاد فى جميع أنحاء الدنيا حتى يسهل جذبهم إلى فلسطين نجد زعماء اليهود أنفسهم يضحون ببعض اليهود فى العالم من غير أن تظهر أمام اليهود أياديهم الآثمة ، فينتشر الرعب فى صفوفهم فيهاجرون إلى إسرائيل .

١٥ — [نقول من الأمثلة التى تؤكد ذلك ما حدث فى العراق ، فقد ضحى زعماء إسرائيل ببعض اليهود فى العـــراق خفية منهم بواسطة عملائهم ثم قالوا لليهود فى العـراق ، إلى متى ستنتظرن بادروا بالهجرة إلى إسرائيل[1] .

وعلى الجانب الآخر تستغل فكرة اضطهاد السامية لكتم الأفواه ، أفواه الكتاب والمفكرين ، وإرهاب الساسة والزعماء ، إن من يقدر على أن يحلل الفكرة الصهيونية السياسية ، ويزيح الستار عن جرائم هؤلاء الآثمين فى التاريخ ، يرمى بأنه يضطهد السامية ، وينال من هؤلاء اليهود ذلك الحمل الوديع الذى تعرض إلى الظلم والاضطهاد عبر التاريخ .

وقد استطاع زعماء اليهود أن يستصدروا فى أوربا قوانين تحرم التعرض إلى أفعالهم بالدرس والمناقشة ، كما تحـرم التعرض إلى أقوالهـم بغير الرضا والقبول .

كتب الأستاذ روجيه جارودى فى مقدمة كتابه قال: [نواجه هنا موضوعاً يعد من المحرمات ، ألا وهو موضوع الصهيونية ودولة إسرائيل .

ففى فرنسا يستطيع المرء أن ينتقد العقيدة الكاثوليكية أو الماركسية وأن يهاجم النظم السياسية ، فى الاتحاد السوفيتى أو فى الولايات المتحدة الأمريكية

---

(١) راجع . ملف إسرائيل .

أو فى جنوب أفريقيا ، كما يمكنه أن يمتدح الفوضوية أو الملكية دون أن يتعرض لأية مخاطر سوى ما يستطيع ذلك عادة من جدل أو دحض لأفكاره .

أما إذا تناول المرء الصهيونية بالدراسة والتحليل فإنه يدخل فى مجال آخر وينتقل من الأدب إلى ساحة القضاء . وذلك بموجب القانون الذى صدر بفرنسا فى ٢٩ يوليو ١٨٨١ والذى كان يرمى أصلا ويحق إلى عدم التشهير بأى شخص بسبب انتمائه إلى عرق معين أو أمة ما ، أو جنس أو دين . ومن هنا كان أى انتقاد للدولة إسرائيل أو الصهيونية السياسية التى قامت على أساسها تلك الدولة ، مبررا لأن يساق صاحبه إلى ساحة القضاء .

فأى انتقاد أساسى لدولة إسرائيل — ولا أقصد بهذا ما يؤخذ عليها بسبب فعل معين وإنما أقصد التدليل المنطقى لبنيان دولة أرسيت على مبادىء الصهيونية — يؤدى بصاحبه إلى اتهامه « بالنازية » ويجلب عليه التهديدات بالقتل][1] .

وهذه التوليفة المزدوجة من دعوى اضطهاد السامية برغم انكشافها ، وتعدية الغرض منها ، إلا أنها ما تزال حتى الآن تعمل عليها .

● — الحق الإلهى والشعب المختار .

وآخر هذه الدعاوى أن المخططين لإسرائيل يستغلون الدين حتى ولو كانوا غير متدينين للدعوة إلى ما يقصدون .

إنهم يعكفون على الكتاب المقدس ، ويتأملون نصوص العهد القديم فينتقون منهم ما يشاءون ، إنهم ينتقون من النصوص ما يتمكنون من تفسيره تفسيرا يشرح أحقيتهم فى أرض فلسطين . وأنها أرض الميعاد التى وعدهم الرب بها ، ثم يعكفون مرة أخرى كى يعثروا على نصوص تبيح لهم سفك الدماء وقتل

---

(١) ملف إسرائيل — ص ٦٠٥ .

الأبرياء ، ولو لم يجدوا نصاً صريحاً في ذلك استشهدوا ببعض حوادث التاريخ المكذوبة والمزيفة لكي يقيسوا عليها آثامهم المعاصرة في أرض فلسطين أو أرض الميعاد كما يدعون .

١٦ — [فنحن نشير هنا إلى أن التوراة حتى ولو كانت محرفة ملأى بالنصوص التي تخالف أغراضهم ، ولكنهم ينتقون منها ما يريدون ، ويطبقون على العيون أجفانها حتى لا ترى ما لا يريدون .

هذه في عجالة سريعة أسس ودعائم الصهيونية السياسية ذكرناها هنا لنتمكن من المقارنة مقارنة الحركة البهائية ، وتطورها ودعاواها في تلك الفترة ، فقد يتبين من هذه المقارنة أن البهائية ليست سوى بوق من أبواق متعددة تستخدمه الصهيونية السياسية لدعم أسسها ، وتثبيت قواعدها .

حركة العرائس المصمطة على المسرح

لكى نعرف الغاية الحقيقية البابية والبهائية لابد أن نتابع حركاتها على المسرح محاولين تحليل كل جزئية من هذه الحركات المتوالية والمتلاحقة بغير فتور أو انقطاع .

ولكى تكون خطواتنا منظمة ومرتبة فى المتابعة والملاحقة فإنه لا يجوز لنا أن نقتصر على النظرة الكلية لمجموع تلك الحركات أو حلها ، كما أنه لا يجوز لنا أن نقتصر على حركة واحدة أو مجموعة من الحركات الجزئية فنعزلها عن الكل المجموعى ، ثم نحاول أن نستنتج منها نتيجة مقطوعة الصلة عن جميع النتائج الأخرى السابقة عليها أو اللاحقة لها .

لا يجوز هذا ولا يجوز ذاك لأن كلا الطريقين بعيد عن المنهج الصحيح لا يؤدى إلا إلى نتائج خاطئة يكون السبب فى خطئها هو تنكب السير على الطريق المستقيم فى محاولتنا للعرض والاستنباط .

والطريق المستقيم يمكن تقسيمه إلى مراحل يقف السالك له على رأس كل مرحلة ليلتقط أنفاسه من ناحية ، وليتأمل ما قطعه من شوط على الطريق الطويل ، وينظر إلى ما بقى من الطريق الذى يريد قطعه من ناحية أخرى ، وبعد أن ينتهى من قطع الطريق كله يمكنه أن يستنتج نتيجة واحدة تضم فى إطارها جميع النقاط المشتركة للمراحل الجزئية التى قطعها أثناء سيره مهما اختلفت العوارض الجزئية ، أو تباينت على الطريق العناصر المشخصة لكل مرحلة من المراحل .

وحين نريد أن نأخذ الطريق من بدئه فإننا لن نهتم بالتفاصيل فقد سبق لنا أن سطرناها من قبل ، وإنما يهمنا هنا إبراز النقاط المهمة التى تفيدنا فى محاولة التحليل والوقوف على الأسباب الحقيقية أو التوصل إلى اليد الخفية التى تحرك العرائس المصمطة على المسرح بواسطة الخيوط التى تربط هذه العرائس بتلك الأيادى الخفية .

١ — تأمل حركة البابية :

ونحن حين نتأمل حركة البابية ينبغى أن يكون ماثلا فى أذهاننا تلك التربة التى نبت فيها على محمد الشيرازى الباب ، والتى نبت فيها كذلك الأفراد الذين يضمهم حروف حى ، وهم الأفراد الثمانية عشر الذين قامت على أكتافهم الحركة البابية بأسرها .

والتربة التى نشأت فيها الحركة البابية ونبت فيها حروف حى وعلى محمد الشيرازى ، كانت هى الحركة الشيخية ووريثتها الحركة الرشتية .

والعنصر الذى يجب إبرازه هنا بعناية شديدة هو ذلك الجاسوس الروسى الذى انتحل شخصية مسلمة وأطلق على نفسه الشيخ عيسى ، وكان لا يغيب عن مجالس الشيخ الإحسائى ، كما أنه كان يحرص على مجالس الشيخ الرشتى من بعده .

[والطريقة الشيخية ووريثتها الرشتية قد عنيتا بمناهضة الإسلام والكيد لأهله .

وكانت وظيفة كنياز دالغوركى المستتر وراء شخصية الشيخ عيسى هى اختلال المسلمين فى عقيدتهم ، واختيار شخصية معينة يمكن استغلالها فى تمثيل الدور الجديد المتمثل فى ادعاء المهدوية النبوة ثم الألوهية فى النهاية .

ولم يغب عن بال كنياز أنه يتعامل مع طائفة من المسلمين لهم منهج خاص فيما يتعلق بالمهدى المنتظر ، وما يتبع هذه الفكرة من أفكار جزئية ، فرسم لنفسه منهجاً فى الإضلال يتخذ له من الأفكار الشائعة فى زمانه نقط ارتكاز يعتمد عليها .

وقد نشر بعد ذلك مذكراته التى تضمنت المنهج والوسيلة والنتيجة والثمرة معاً .

وفى تلك المذكرات يقول كنياز دالغوركى « الشيخ عيسى » [إنه كان يبحث ويفتش عن الواثقين فى العقائد الإسلامية لضرب المسلمين من بينهم ضربة تقضى على وحدتهم وجمعيتهم فكان من أسهل الطرق الموصلة إلى هذا إنشاء الخلافات الدينية ونشرها ، وتسعير نارها فيما بينهم ، فى هذا البحث والتحرى اطلعت على الطائفة الشيخية التى كانت تخالف فى كثير من العقائد الإسلامية الثابتة عند أكثرهم ، منها المعاد والمعراج الجسمانى وغير ذلك ، فدخلت فى حلقة السيد كاظم الرشتى وكان كثير الذكر عن المهدى ولكن ليس المهدى الذى كانوا ينتظرون رجوعه منذ قرون بل الذى سيحل فيه روحه .

ويقول : إنى سألت الرشتى يوما عن المهدى أين هو ؟ فقال : أأنا أدرى ؟ يكون هنا فى هذا المجلس ، فإذن لمح الخيال فى خاطرى كالبرق الخاطف وأردت إنجازه وإبداله فى صورة الحقيقة .

رأيت فى المجلس المرزا على محمد الشيرازى فتبسمت وصممت فى نفسى أن أجعله ذلك المهدى المزعوم ، ومنذ ذلك اليوم بدأت كلما أجد الفرصة والخلوة أرسخ فى ذهنه أنه هو الذى سيكون القائم ويوميا كنت أخاطبه : يا صاحب الأمر ، ويا صاحب الزمان : فكان فى أول الأمر بدأ يترفع ويتأنف لهذا القول ويتفكر ولكنه لم يلبث إلا القليل حتى كان يبدى السرور والفرحة عن هذه المخاطبات .

وكان للحشيش دوره وأثره القوى مع تلك الرياضات والمشقات التى كان يمارسها لتحقيق تلك الأمنية ، كما كانت التعليمات الشيخية عن عدم بقاء ابن العسكرى ذلك إلى ألف سنة ، ومجيئه بصورة شخص آخر بحلول روحه فى جسمه لها تأثيرها ودورها فى تكوين المهدوية . . . فأثمرت هذه النتائج ، وبعد انتقاله من كربلاء إلى مدينة بو شهر فجأة خطابه فى مايو ١٨٤٤ م يخبرنى ويدعونى إلى بابيته بأنه هو نائب صاحب العصر وباب العلم فجاوبته بأنى أومن أنك صاحب الزمان وإمام العصر لا بابه ونائبه ، ورجوت منه بالإلحاح

أن لا تحرمني حقيقتك ولا تحجبني من أصلك فأنا أول المؤمنين ، وحمدت الله أن سعي لم يضع وتجاوزني لم تبر التي بذلت لأجلها الجهد الكبير وصرفت فيها الوقت الكثير](١) .

وإذا كان الكنياز دوره البالغ في تحريض علي محمد الباب على ادعاء ما يدعى بواسطة اتصاله المباشر به فإن دور كاظم الرشتي في هذا الأمر لم يكن أقل أهمية ، فكان من حين لآخر يلوح له بالظهور ، وأن الظهور قد أصبح وشيكا .

[واجتماع هذين الرجلين مع اختلاف الوسيلتين على هدف واحد أمر يثير التساؤل والعجب .

وما كان لي ولا لغيري أن يقال من حجم التأثير النفسي بالأسلوب المباشر أو بالتلويح ، فأسلوب التلويح أو الإثارة النفسية يعمل عمل السحر في نفس من تلوح له ، وهذه كانت الوظيفة اللائقة بالزعيم والشيخ كاظم الرشتي ، فكلما كان التلويح من عظيم تثق به ، وتنزهه عن الخطأ وتترقب شفتيه انتظاراً لكلمة تبشر بخير سيقع في المستقبل ، كلما كان التبشير من مصدر هذه صفته لحدث عن قوة تأثيره ولا حرج .

نقل الكاشاني عن السيد كاظم الرشتي تصريحا يبشر بقرب ظهور القائم قال فيه : [إن الموعود يعيش بين هؤلاء القوم وإن ميعاد ظهوره قد قرب فهيئوا الطريق إليه وطهروا أنفسكم حتى تروا جماله . ولا يظهر لكم جماله إلا بعد أن أفارق هذا العالم فعليكم بعد فراقي أن تقوموا على طلبه ولا تستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه](٢) .

---

(١) مذكرات كنياز دالغوركي نقلا عن كتاب فارسي « باب وبهاء رابشناسيد » ملخصاً والتلخيص . الترجمة لظهير انظر كتابه البابية عرض ونقد ص ١٦٤ و ١٦٥ .

(٢) نقطة الكاف — لميرزه جاني الكاشاني .

وفى هذا النص تبشير وتكليف ، تبشير بقرب ظهوره ، وتكليف لأصفيائه وأخص تلامذته أن يلتفوا حوله يوم ظهوره .

وكثيراً ما كان يصدر عن كاظم الرشتى تلويح بهذا الأمر ، وإشارة بطرف خفى إلى على محمد ، ولعل إجابته فيما نقله كنياز دالغوركى على السؤال الذى وجهه إليه عن المهدى أين هو ؟ فيه إشارة كافية إلى منهج الرشتى فى إثارة نفس على محمد الشيرازى قال : أ أنا أدرى ؟ يكون هنا فى هذا المجلس .

أصبح الجو إذن مناسباً ، وأصبح على محمد مهيأ كى يصدع بالأمر بعد وفاة كاظم الرشتى .

وفى هذه العجالة التى سطرناها فى صدد تمهيد الأرض وإعداد التربة التى نبت فيها الشيرازى قدر كاف كى ينطبع القارىء بالانطباع الحقيق الذى يؤكد له أن هناك أيديا خفية قد أعدت الأرض ومهدت التربة لنشأة على محمد الشيرازى .

وكنياز دالغوركى روسى الجنسية ، وروسيا فى ذلك الوقت كانت من أهم الدول التى قطنتها بعض الجاليات اليهودية التى حاولت أن تثبت للمجتمع الروسى أن اليهود هم شعب الله المختار ، وهى فكرة تدخل ضمن إطار مخطط عام وعالمى كان زعماء الصهيونية السياسية قد وضعوه لتخريب العالم حتى لا يبقى إلا اليهود أسياد الدنيا وورثة موسى الكليم .

وقد ظهر فيما بعد خطر هذه الفكرة على روسيا نفسها مما اضطر قيصر روسيا إلى محاولة القضاء على الشخصية المتميزة لليهود داخل المجتمع الروسى على نحو ما شرحناه سلفاً .

فهل يمكن أن تكون الحكومة الروسية مدفوعة إلى تحقيق هدف يهودى مستور قد دفع إليه عملاء اليهود دفعا الحكومة الروسية لتحقيقه من غير أن تشعر ؟ وهل يمكن أن يكون كنياز دالغوركى يقوم بما يقوم به من نشاط لخدمة الهدف العالمى لليهود ؟ .

لنترك الأحداث تأخذ مجراها إلى حيث النهاية فماذا بعد ؟ .

إن المراقبين لحركة التاريخ فى هذه الحقبة من الزمن وهم يرصدون حركة كنياز دالغوركى ليجدون فيها غاية الإخلاص للدولة الروسية ، فلقد كان من حق المرء أن يعتقد أن كنياز دالغوركى يعمل لحساب مطامع روسيا القيصرية فى إيران ولكن الأحداث بوقائعها الثابتة تنطق بخلاف ذلك .

فكثيراً ما كانت تقع الخلافات بين كنياز دالغوركى وممثل الحكومة القيصرية فى إيران وكان الخلاف كلما يقع حول مطالب كنياز الخاصة بزعماء الحركة البابية أولا والبهائية فيما بعد أو كانت تتعلق هذه الخلافات بمسألة المجاملات المتكررة من دالغوركى إلى زعماء هذه الحركة . ويسجل كنياز دالغوركى إلى زعماء هذه الحركة .

ويسجل كنياز دالغوركى فى مذكراته هذه المواقف التى تعبر عن الخلاف فى وجهات النظر بينه وبين ممثل الحكومة القيصرية .

حيث يحكى قصة خلاف بينه وبين السفير الروسى (كراف سيمنوابج) قال : « ولقد قطع هذا الوزير المفوض جميع رواتب أصدقائى ورفقائى حتى رواتب المراتب الميرزا حسين على البهاء وأخيه الميرزا يحيى صبح أزل ، والميرزا رضا على وغير هؤلاء الذين كانوا يأخذون الرواتب سراً فبقطعه رواتب هؤلاء قد هدم مؤسساتى جميعاً وقلب وأعكس كل ما أنا فعلته وعملته ونقض كل ما أنا غزلته »[1] .

وهذا الخلاف يدل على أن انشاط كنياز دالغوركى لم يكن صادراً بالكلية من مكتب الوزير المفوض أو السفير الروسى الذى يمثل بالقطع الحكومة القيصرية

---

(١) راجع النص ضمن كتاب البابية والبهائية ومصادر دراستهما ا . د عباس كاظم مراد ، مطبعة الإرشاد – بغداد ١٤٠٢ ﻫ – ١٩٨٢ م ص ٥٧ .

وإذا لم يكن قد صدر من هـذه الجهة الممثلة لمطامع دولة تطمع فى الأرض الإيرانية فأغلب الظن — إلى الآن — على الأقل أن نشاطه يكون لحساب جهة أخرى فى الخفاء .

ولقـد بلغ الخلاف ذورته إلى حد أن قام الوزير المفـوض بترحيل كنياز دالـكوركى إلى روسيا وظل بها لفترة من الزمن وهذا أمر له دلالته .

ولم يتوقف دور كنياز دالـكوركى عند حد الرشوة بالمـال والتوجيه بالتلويح ولـكن أقطاب الحركة البابية ثم البهائية من بعدها قد ربوا على عينة واصطنعهم هذا المخادع المـاكر لنفسه حيث كانوا يترددون عليه فى منزله وفى مقر عمله ليصنع بذمهم ما يشاء وليشكل ضمائرهم حسب إرادته وهواه ، قال عن الباب :

وكان يقرب منزلى طالب علم يسمى السيد على محمد وكان من أهل شيراز . . أنا أيضاً صادقته بحرارة وبكمال الصميمية . . . والسيد على محمد لم يترك صداقتى وكان يصفنى أكثر من قبل وكنا نشرب قليان المحبة (الحشيش) وكان ابن الوقت ومتلون الاعتقاد . . . سأل طالب تبريزى يوماً السيد كاظم الرشتى فى مجلس تدريسه فقال : أيها السيد صاحب الأمر وأى مكان مشرف به الآن ؟ فقال السيد أنا ما أدرى هنا — مكان التدريس — يكون الآن مشرفاً بحضوره ولـكنى لا أعرفه . . . فأنا مثل البرق طرأت بخاطرى فـكرة سأشرحها . . »[١] .

وفعل كنياز دالـكوركى شيئاً مماثلا مع حسين على البهاء وغيره من البهائية فهو يقول : « وكان الميرزا حسين على — البهاء — أول من ورد هذه الغرفة وأخبرنى بمطالب مهمة جداً . . . » انقضى رمضان المبارك وأنا كنت أربى نفراً من أصحاب سرى تربية الجاسوسية ولم تكن لأى منهم لياقة الميرزا حسين على البهاء وأخيـه الميرزا يحى صبح الأزل . . . فرجعت إلى المنزل وهيأت سماً قتالا ودعوت الميرزا حسين على (البهاء) وأعطيته سكة ذهبية من سكة (فتح على شاه)

---

(١) راجع النص ضمن كتاب البابية والبهائية ومصادر دراستها ص ٥٦ .

وأعطيته السم ، وأمرته أن يدسه فى طعام الحكيم الكيلانى بكل طريق ممكن ويقتله »(١) .

ويدفع دالفوركى بتهمته خطوة إلى الأمام وهو يشرح لنا ما فعله مستترا بعصابة البابية والبهائية .

إنه يؤكد فى صراحة لامواربة فيها أنه هو الذى كان يخطط لهؤلاء ويحدد لهم الأسلوب والهدف ويرسم لهم الطريقة التى ينبغى لهم أن يسلكوها بل ماهو أكثر من ذلك إنه ينشىء لهم كتباً وألواحاً ويصلح لهم كتباً أخرى بحيث يضيف إليها أو يحذف منها حسب الحاجة ثم يأمر عملاءه وأصفياءه باستنساخ الكتب ونشرها سواء فى فترة بقائهم فى إيران أو بعد انتقالهم إلى بغداد مطرودين .

وسنتابعه بعضاً من نصوص كنياز دالفوركى (الشيخ عيسى) تؤكد هذا الموقف وتجليه غاية الجلاء .

وقلت لميرزا حسين على البهاء اجعل أنت أخاك الميرزا يحيى وراء الستر وادعوه (من يظهره الله) فلا تدعه أن يكلم أحدا ، وكن أنت بنفسك متوليه وأعطيتهم مبلغاً كبيرا رجاء أن أعمل بذلك عملا »(٢) .

« فألحقته به — يعنى حسين — فى بغداد زوجته وأولاده وأقرباءه وكل من كان لائذابه كى لا يكون له هوى من خلفه . . . » فشكلوا له فى بغداد تشكيلات وجعلوا له كاتب الوحى وأنا أيضاً أرسلت لهم كتاباً ، وكتبا كانت باقية للسيد

---

(١) نفس المرجع ص ٥٧ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٨ . ولعل القارىء الكريم يذكر أننا قد توقفنا عند هذه الحيلة وقلنا أن يحيى صبح أزل قد اكتشف المؤامرة بعد فوات الأوان واعتبر أخاه لذلك ماكرا خادعاً وكانت بداية الخلاف والشقاق بينهما ويكشف دالفوركى هنا أنها كانت خطة مرسومة قام هو بمباشرة رسمها فتأمل .

بعد ما أنا أصلحتها جرحاً وتعديلا وأمرتهم أن يستنسخوا منها نسخاً كثيرة وكانوا يهيئون فى كل شهر بعض الألواح ويرسلونها الذين كانوا منخدعين بالسيد الباب ولم يروه وكان قسم من أعمال السفارة الروسية فى طهران منحصرا فى تهيئة الألواح وتنظيم أعمال البابية . والدولة الروسية كانت تقويهم وبنت لهم مأوى ومسكناً . . وورقباؤنا كانوا ساعين أن يفشوا الألواح المتضادة المتناقضة التى كانت صادرة بيد كتابنا وبتشهير رقبائنا اسم الميرزا يحيى صبح أزل. فى البابية أنه وصى الباب لا جرم صرنا مجبورين أن نبدل البابية بالبهائية »[1] .

وهذه النصوص وأمثالها مما يشابهها تؤكد الدور الذى كان يقوم به الشيخ عيسى لا لمصلحة الدولة الروسية القيصرية — وإن كان هذا هو الذى يظهر على السطح — وإنما لمصلحة قوى خفية تتمثل فى المؤسسات السرية اليهودية .

وما كان الشيخ عيسى أن يستكمل الدور وحده من غير أن يكون معه مساعدون ومن غير أن يكون وراءه مخططون مهرة يرقبون الأحداث ويعملون لكل شىء حسابه .

وإذا كان الشيخ عيسى قد استطاع أن يضع المنهج ويحدد الغاية ويؤلف الكتب ويكتب الألواح ، فإنه بقى عليه شىء هام ينبغى أن يقوم به وهو : أن يحسب ألف حساب لوقوع معاونيه تحت طائلة القانون ويضع الخطة المناسبة الدفاع عنه .

والمتأمل الحصيف الأحداث يجد أن هذه الخطة قد وضعت من مرحلتين :

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩ فى هذا النص إشارة للتناقض الذى ما زالت البهائية تترنح منه إلى اليوم وهو من الذى أوصى الباب به ليكون خليفة من بعده الظاهر أنه قد أوصى إلى صبح أزل فكيف جاء البهاء إلى الساحة ؟ الإجابة واضحة عند داغوركى كما هو واضح من النص ولكن البهائية لها كلام آخر وقد سبق أن ناقشنا المسألة برمتها فيما تقدم .

إحداهما : تتلخص فى تغطية جرائم المجرمين فى بلادهم حتى لا تكشفهم عيون السلطة وتقف على حدود جرائمهم بالكامل .

وأخراهما : تتمثل فى حالة الدفاع النشط عن رءوسهم وهاماتهم حين يقعون فى قبضة الحكام .

ولم يستطع الشيخ عيسى بمفرده وبصفته الشخصية أن يطلع بهذا الدور ولذا فقد عاونه فيه غيره .

دفعت الحكومة الروسية برجل أرمنى اسمه (منوجهر خان) كى يعلن إسلامه فى إيران حتى يستتر بالمهمة التى ستناط به فيما بعد ، وبعد إعلانه لإسلامه حظى بإعجاب الشاه حيث ، غمره بالفضل وأعطاه ثقته ، فعينه معتمداً للدولة فى أصفهان ، وكان له دور خطير جداً فى توسيع نار الحركة البابية مستغلا ثقة الشاه به ، فلقد قام بإخفاء الميرزا على محمد الباب فى بيته أربعة أشهر .

ولما مات (منوجهر خان) وخلفه المعتمد (جورجين خان) كتب إلى الشاه يقول : (كان من المعتقد فى أصفهان منذ أربعة أشهر أن معتمد الدولة سلفى قد أرسل السيد الباب إلى مقر الحكومة الملكية بناء على طلب جلالتكم ، وقد اتضح أن سلفى قد أكرم الباب فى ضيافته ، واجتهد فى إخفاء تلك الحراسة عن الناس وعن الموظفين فى المدينة . وكان إخفاء الباب مفيداً جداً للبابيين ، إذ أن المعتمد أنقذه من غضب علماء المسلمين الذين أفتوا بقتله لارتداده عن الإسلام ، وهيأ له من جهة أخرى سبيل الاتصال بالبابيين ، فكان يراسلهم ويقابلهم فى مخبئه ويوجههم بمعاونة المعتمد نفسه .

وكان منوجهر خان يمول الحركة البابية بأموال طائلة ، يظهر لك واضحاً من قول الباب (إن الذات العلية قد وهبنى أموالا عظيمة ، ولا أعلم كيف أصرفها على أحسن وجه كـا ـــ والآن والحمد لله وصلت إلى معرفة حقيقة هذا

الظهور ، ولى رغبة شديدة فى أن أخصص كل ممتلكاتى للصرف فيها على شئون هذا الأمر ولإعلاء صيته) .

وكان هذا الماكر يضع الخطط ، ويحببها إلى الباب . فلقد قال له يوماً : (لى رغبة أن أسافر بإذنك — تأمل — إلى طهران وأعمل جهدى حتى يعتنق محمد شاه هذا الأمر ، وهو شديد الثقة بى ، وثقته لا تتزعزع . وإنى متأكد أنه سيقبل الدعوة ويقوم على ترويجها شرقاً وغرباً ، وسوف اجتهد أن أحصل لك على يد إحدى أخوات الشاه ، وأنفذ مراسم الزواج بنفسى . وفى نهاية الأمر أرجو أن أكون قادرا على أن أميل قلب حكام وملوك الأرض إلى هذا الأمر العجيب — كذا —)[1] .

ولم تقف الأمور عند تدخل بعض الأفراد لتمثيل أدوار محددة ولكن الأمر حين كان يشتد التدخل بعض الدول بثقلها فى حالة تدعو إلى العجب ووضع علامات استفهام كبرى أمام مواقف بعينها تتدخل فيها بعض الدول من غير أن يكون هناك مبرر ظاهر لتدخلها .

وقد ظهر ذلك بجلاء ووضوح فى الأيام الأخيرة للباب حين اشتدت السلطة عليه وحوله إلى مجلس العلماء لكى يناظرهم ، وحين ثبتت ردته أفتى العلماء بقتله لتنفيذ حد الردة فيه وهنا تدخلت الحكومة الروسية والإنجليزية بثقلهما عند الشاه ولكن جهودهما باءت بالفشل ، واقتاد حراس وجنود الشاه — على محمد الباب — من سجنه فى قلعة جهريق بتبريز وطيف به فى الشوارع وكان يتبعه السفير الروسى متألما ثم نفذ فيه حكم الإعدام .

---

(١) هذه النصوص نقلا عن كتاب البابية والبهائية ومصادر دراستهما د . عباس كاظم مراد .

وانظر الموضوع ذاته حقيقة البابية والبهائية د . محسن عبد الحميد . — قراءة فى وثائق البهائية د . ه . عائشة عبد الرحمن .

ونفس الموقف قد تكرر بعد ذلك حين وقعت الاضطرابات وظهرت خيانة البابية فى محاولة قتل ناصر الدين شاه إنتقاماً لما أوقعه بعلى محمد الباب زعيمهم فلما نجا الشاه من الاغتيال قامت حملة للكشف عن المجرمين واعتقال المشبوهين ومحاكمتهم .

وكان من بين المتهمين حسين على البهاء فلاذ بالسفارة الروسية وقامت السفارة بحمايته وقد أثار هذا الموقف عجب الشاه إذ أنه تدخل من السفارة الروسية فى مسألة داخلية لإيران لا يحق لهم قانوناً التدخل فيها فأرسل مندوبه لطلب المتهم وامتنع السفير الروسى من تسليمه ريثما يرتب الأمر له وكان السفير وقتها هو الشيخ عيسى أو كنياز داغوركى[١] .

وقد حكى هذا الموقف فى مذكراته التى نشرت فيما بعد .

فهو يذكر عن الحوادث الأخيرة للباب حديثاً مفصلا إلى أن قال :

« . . . فأنا بواسطة الميرزا حسين على وأخيه الميرزا يحيى ونفراً آخرين أقمت بالضجيج والعجيج أن صاحب الأمر — على محمد — قد قبض عليه . . . فوصلنى خبر قتله بطهران ، فقلت لميرزا حسين على البهاء ونفر آخرين الذين لم يروا السيد أن يثيروا الغوغاء بالضجيج والعجيج ، وقد تعصب نفر آخرون الذين وأطلقوا الرصاص على ناصر الدين شاه ، فلذلك قبضوا على كثير من الناس ، وكذلك قبضوا على الميرزا حسين على البهاء وبعض آخر من الذين كانوا لى أصحاب السر .

. . . فأنا حاميت عنهم وبألف مشقة أثبت أنهم ليسوا بمجرمين ، وشهد عمال السفارة وموظفوها ، حتى أنا بنفسى قلت : إن هؤلاء ليس — كذا — بابيين ،

---

(١) انظر قراءة فى وثائق البهائية /١ د/ عائشة عبد الرحمن ، والبابية عرض ونقد . إحسان إلهى ظهير .

فنجيناهم من الموت وسيرناهم إلى بغداد[١] .

ولعلنا نذكر كيفية انتقال حسين على البهاء إلى بغداد ونذكر مع ذلك النصوص التى سبق نقلها منسوبة إلى حسين على يصف فيها كيفية انتقاله ويذكر أن جنود الروس كانوا فى حمايته وأنه انتقل إلى بغداد على كف القدر والاقتدار .

ونذكر مع ذلك أيضاً ما قلناه سلفاً من أن الروس قد عرضوا عليه الجنسية ومنحه قطعة من الأرض داخل روسيا كى يقيم عليها هو وأتباعه .

ولكنه فيما يظهر لى أن الجمعيات السرية اليهودية قد عدلت فيما بعد عن هـــذا الغرض حيث رأت أن ينتقل البهاء إلى مكان آخر ليتمكن من أداء مهمته .

وإن تعجب فعجب ما حدث بعد مقتل الباب لقد وضع جثمانه فى تابوت على شفا حفرة فترة من الوقت بتبريز ثم سمح بعد ذلك لوصيه — يحيى صبح أزل أن يوارى جثمانه التراب ولكن المفاجئة أن الجثمان قد اختفى وإلى أين ذهب ؟

ويحكى عبد الحسين أوراه هذا المشهد فى الكواكب الدرية ، فيقول : « إن نعش الباب سرق من الخندق ووضع فى صندوق أعد لهذا الغرض ووضع فى مصنع أحمد الميلانى التاجر المعروف ، المشمول بحماية دولة الروس »

وهو قريب من قول المبشر البهائى « د . أسلمنت » إن الجثة سرقت وأخفيت فى مستودع سرى فى إيران ، حتى جيء بها خفية بعد سنين فى ظروف خطرة

---

(١) انظر هذه النصوص ضمن كتاب البابية لـ « عباس كاظم مراد » ص ٥٦ وما بعدها .

إلى الأرض المقدسة ودفنت في قبر جميل الموقع على بضعة أميال من جبل الكرمل[١] .

زاد ، النبيل الورندى البهائى ، على هذه الرواية ، أن الذى نقل ذلك الصندوق إلى حيفا بفلسطين ، الميرزه عبد الكريم الاصفهانى ، فسمى أحد أبواب المرقد باسم عبد الكريم ، إعترافاً بفضله[٢] .

على أن هذا الاتجاه فى إخفاء جثمان الباب ونقله إلى جبل الكرمل وإن كان هو الاتجاه الغالب فى الفكر البهائى إلا أن عظم الشبهة وبصمات الجرم الواضحة قد دفعت ببعض كتاب ومؤرخى البهائية إلى إغفال مثل هذا المرقد .

ذهب الكاشانى فى (نقطة الكاف) إلى أن الصندوق بالجثمان ظل موجوداً حتى أذنت السلطات إلى يحيى صبح أزل وصى الباب فعمد إلى الجثمان وأخرجه وكفنه بكفن من الحرير الأبيض ودفنه[٣] .

رأياً ما كان الامر فكاتب هذه الصفحات من حقه أن يعجب كغيره من الناس لماذا هذا الاهتمام الزائد حتى بجثمان الباب بعد موته غير أنى أعترف أنه بعد أن توافرت الاسباب عندى والتى تلقى ضوءا شديدا على الهدف الحقيقى من وراء البهائية إنقضى عجبى وتنفست الصعداء فى مسألة كانت بالنسبة لى تعد من المسائل المجهولة الهدف المستورة الغايات .

ومن حق المرء أن يتساءل عن هذا الوفاق العجيب الذى وقع بين الحكومة الروسية من جهة والحكومة الإنجليزية من جهة أخرى على رعاية البابية على أرض إيران

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد ٢٧ ط الإنجليزية والترجمة د. عائشة عبد الرحمن .
(٢) قراءة فى وثائق البهائية ص ٤٧ .
(٣) المرجع السابق بتصرف .

فى حين أن الدولتين كان بينهما خلاف حاد يتعلق بمطامع كل منهما فى أرض إيران ، إذ أنه من المعروف أن روسيا القيصرية كان لها مطامع قديم ومتجدد فى أرض إيران الذى يمكن أن تصل بها إلى المياه الدافئة كما يقولون ، وحين ظهرت مبشرات البترول فيها زادت حرارة هذا الاكتشاف نار مطامع الروس فى المنطقة اشتعالا .

أما الدولة الإنجليزية فضلا عن مطامعها فى منطقة الشرق كـكل لأسباب إستراتيجية خاصة بها فى تلك الآونة فإن مبشرات البترول باعتبار أنها شديدة الإغراء قد جذبت اهتمام الإنجليز إلى هذه المنطقة واعتنائهم بالسيطرة عليها اعتناءاً شديداً [١] .

إن هذا الصراع على نحو ما صورناه لم يهدأ لحظة واحدة بين الطرفين وفى غمغمة هذا الصراع ظهر الاتفاق بين الدولتين على نصرة البابية وحماية البهاء من بعد بشكل منظم لم يبن مرة واحدة عن خلل فيه .

أقول : ومن حق المرء أن يتساءل عن هذا الوفاق العجيب الذى وقع بين الدولتين المتصارعتين وهو وفاق يأخـــذ بألباب الباحثين ويدفعهم إلى تعميق البحث والنظر والوقوف على السبب الحقيقى الذى يصلح لتعليل تلك الظاهرة العجيبة .

وبعد إستقراء متأن للتاريخ يمكننا أن نفسر هـــذا الوفاق بوجود العامل المشترك الذى ظهر فى شرق وغرب أوربا فى وقت واحد .

إننا نستطيع أن نفسر هذه الظاهرة حين نتأمل الحركة الصهيونية السياسية فى شرق وغرب أوربا فى تلك الحقبة من التاريخ .

---

(١) راجع تفاصيل هذا الصراع فى نحو كتاب مدافع آية الله الخمينى (الثورة الإيرانية) فى طبعته العربية ـ محمد حسنين هيكل .

سبقت الإشارة إلى ظهور حركة سياسية اتشحت بوشاح اليهودية وتسربلت بنصوص العهد القديم من الكتاب المقدس وأطلقت على نفسها الحركة الصهيونية .

وكانت هذه الحركة واحدا من بدائل كثيرة طرحت نفسها على الساحة حين ظهرت فى أوساط اليهود ثورة علمانية تؤكد ضرورة الخروج على الأسلوب القديم والنمط المتكرر للحركة اليهودية فى حقب التاريخ المتوالية وانتهز بعض زعماء اليهود اللاأدريين والذين لا يكنون للديانات أدنى درجة من الاحترام هذه الفرصة للاستفادة منها فى بسط نظريتهم على المجتمع اليهودى .

إنهم يريدون أن يأخذوا بمبدأ القومية ويطبقونه على اليهود كما أخذ به غيرهم من دول أوربا .

غير أن مبدأ القومية يحتاج إلى أرض ، فوحدة الأرض أو الوطن عنصر أساسى وعامل فعال لا يمكن الاستغناء عنه لدعاة القومية وحياة نظرية القومية واليهود شتات متفرقون فى كثير من بلدان العالم لا يجمعهم وطن واحد ولا يستطيعون الادعاء بأنهم دعاة الوطنية أو القومية بجامع وحدة الأرض .

ولقد فكر شياطين الصهيونية السياسية فهداهم تفكيرهم إلى أرض الميعاد أرض العسل واللبن الأرض الخراب هناك فى فلسطين ورأوا أنهم من الممكن أن تكون نصوص العهد القديم التى تبشر بالأرض وتبشر بالمسيح الموعود يمكن الارتكاز عليها فى الدعوة لإحياء القومية اليهودية واقتنع بعض اليهود فى غرب أوربا بهذه الفكرة كما اقتنع آخرون فى شرق أوربا خاصة روسيا القيصرية بهذه الفكرة كذلك ونشط اليهود الصهاينة وراء الحكومتين فى روسيا وفى إنجلترا التى لا تغيب عن أملاكها الشمس على حد سواء .

وهنا ينبغى أن نضيف إضافة هامة وهى أن بريطانيا كان لها اهتمام شديد

وعين مفتوحة ساهرة على دولة الخلافة فى تركيا باعتبارها الرجل المريض التى تترقب موته لترث ممتلكاته فى الشرق أو على الأقل تحظى بقدر ممكن من هذه الممتلكات .

وكان اليهود الصهاينة ينظرون إلى تركيا ببالغ الاهتمام على أساس أن فلسطين أرض الميعاد جزء من ممتلكات الخلافة العثمانية لذلك تركوا جزءا هاماً من نشاطهم إلى تركيا وأصبحت أذرنا فى تركيا عنصراً هاماً ومعقلا أساسياً لليهود فى ممارسة أطماعهم ورصدهم لحركات الخليفة والتأثير على أعماله بشكل ما[١] .

بعد هذا التصور لحركة الصهيونية السياسية وحجم تأثيرها البالغ خاصة فى شرق وغرب أوروبا مع تأثيرها فى الوقت ذاته فى تركيا معقل الخلافة الإسلامية لم يعد هناك من حاجة للدهشة أو العجب حين نجد نوعاً من الوفاق بين سياسة الدولتين الروسية والانجليزية حول حركة البهائية والبابية .

ونستطيع بعد هذا كله أن نعتبر هذه الوقفة — وقفة الوفاق بين الدولتين — مع اختلافهما فى جميع السياسات الأخرى دليلا من أدلة كثيرة على أن حركة البابية والبهائية إنما نشأتا لخدمة الصهيونية السياسية بالدرجة الأولى .

---

(١) راجع الصهيونية اليهودية جذورها فى التاريخ العربى لـ . د ريجينا الشريف ، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز سلسلة عالم المعرفة — الكويت ٩٦ .

— وراجع الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية لـ . د . رشاد عبد الله الشامى سلسلة عالم المعرفة — الكويت ١٠٢ .

— راجع فلسطين أرض الرسالات الإلهية لـ . د رجاء جارودى ، ترجمة وتعليق وتقديم د . عبد الصبور شاهين دار التراث الباب الثانى ص ٢١٣ وما بعدها .

• قداسة الحروف والأرقام دليل آخر .

أما دليلنا الثانى على ارتباط الحركة البهائية بالصهيونية السياسية فهو ما شاع من اعتقاد البابية البهائية على فكرة القداسة فى الأعداد .

وفكرة القداسة فى الأعداد والأرقام لها تاريخ فى الفكر اليهودى .

وهى نظرية تعتمد على مقدمة خيالية لا أساس فيها لمنطق العقل ولا ترتكز على دعامة فكرية مقبولة .

فاليهود يرون أن كل حرف من حروف الهجاء يرمز إلى رقم من الأرقام يختص به وهم يرتبون الحروف ترتيباً على طريقة (أبجـــد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) والألف عندهم تساوى واحد والباء تساوى اثنين والجيم تساوى ثلاثة والدال تساوى أربعة والهاء تساوى خمسة والواو تساوى ستة الزاى تساوى سبعة والحاء ثمانية والطاء تساوى تسعة والياء تساوى عشرة الكاف تساوى عشرين اللام تساوى ثلاثين الميم تساوى أربعين النون تساوى خمسين السين تساوى ستين العين تساوى سبعين الفاء تساوى ثمانين الصاد تساوى تسعين القاف تساوى مائة الراء تساوى مائتين الشين تساوى ثلاثمائة التاء تساوى أربعمائة الثاء تساوى خمسمائة الخاء تساوى ستمائة الذال تساوى سبعمائة الضاد ثمانمائة الظاء تساوى تسعمائة الغين تساوى ألفاً .

وهذه قضية افتراضية موهومة وقضايا الوهم لا يطلب عليها دليل ، فالمرء لا يستسيغ أن يسمع من يقول له : ما الدليل على أن الألف تساوى واحدا مثلا إذ أن مثل هذا السؤال ينقل القضية من قضية موهومة لا تقبل سوى الخطأ وحده إلى قضية إفترضها العقل تقبل الخطأ والصواب .

ورغم أن طريقة عد (أبجد) لا تحتمل إلا الخطأ وحده فقد إعتبرها اليهود فى تاريخهم الطويل قضية صالحة لتضليل الجوييم (الناس غير اليهود) فهم

يخيلون لغيرهم من الأقوام أن هذه القضية مقطوع بصدقها ويبنون عليها قضايا خطيرة يتعلق بعضها بحركة التاريخ وتفسير الأحداث الكبرى فيه ويتعلق البعض الآخر بمسائل السعود والنحوس وما يرتبط بهما من مستقبل الأفراد وتفسير مواقفهم النفسية والمصيرية .

والمتأمل فى الحركة البابية منذ نشأتها يلاحظ أن هذه الحركة تعتمد على طريقة عد [أبجد] فى تبرير وجودها وفى تحديد زمن القائم ثم هى ترتكز على الطريقة نفسها فى وضع ما لها من عقائد وتشريعات وما تعتمد عليه من رؤوس فى الطريقة وأتباع .

وقد سبق أن بينا كيف كانت طريقة عد (أبجد) هى الوسيلة الوحيدة لتفسير قيام على محمد وتحديد زمن قيامه بالذات .

وهنا نؤكد أن الطريقة نفسها كانت هى المحور الأساسى فى وضع العقيدة البهائية فالعدد المقدس عندهم هو العدد تسعة عشر وقداسة هذا الرقم عندهم — فيما أرى مستنداً إلى نصوصهم — أنه يرمز إلى أخص صفات الله عز وجل وهى (واحد) فأخص صفات الله كما نعلم هى صفة الوحدانية فالله عز وجل واحد فى صفاته وفى ذاته وفى أفعاله .

وهذه الكلمة (واحد) مكونة من حروف أربعة هى : الواو والألف والحاء والدال ، فالواو وعلى طريقة أبجد تساوى ستة والألف واحد والحاء ثمانية والدال أربعة ومجموع هذه الرموز العددية لحروف واحد تساوى تسعة عشر ومن هنا فإنهم قد اعتبروا العدد تسعة عشر هو الرمز الحقيقى لكلمة واحد فيكون مقدساً .

وليس العدد تسعة عشر وحده هو العدد المقدس ولكن ما قبل القسمة عليه أو يضرب فيه أو تكون له صلة به يكتسب تلك القداسة منه ويكون مقدساً مثله .

والمتأمل فى نصوص البابية والبهائية من بعد يجد أنهم قد احترموا هذه القداسة فى التأليف والكتابة ، فى العقيدة وفى التشريع . الخ .

فالمتأمل فى البيان الناسخ للقرآن يجد أنه مؤلف على تسعة عشر واحد (الواحد الأول الواحد الثانى . الخ) وكل واحد من الآحاد التى يشتمل عليها الكتاب مؤلف من تسعة عشر باب هكذا (الباب الأول من الواحد الأول الباب الثانى من الواحد الأول . الخ)

والسنة عندهم تسعة عشر شهراً .

والشهر عندهم تسعة عشر يوماً .

والزكاة عندهم تسعة عشر فى المائة من مال المزكى .

وعقوبة الجرائم أو الكفارات أحياناً تكون تسعة عشر مثقالا من الذهب أو الفضة أو أضعاف هذا الرقم أو جزءه .

وهكذا يتضح أن طريقة (أبجد) عنصر هام فى الفكر البابى والبهائى على السواء[1] .

---

(١) ومما يؤسف له أن هذه الطريقة قد عمت الأجواء الإسلامية ولو لفترة من الفترات ، فظهرت الكتب والنشرات وألقيت محاضرات وظهرت مؤلفات حول ما يزعمون أنه السر العددى للقرآن الكريم وخاصة العدد الوارد فى معجزة الأرقام والترقيم فى القرآن الكريم لعبد الرازاق نوفل .

قوله تعالى « عليها تسعة عشر » راجع مع صورة المحاضرة التى ألقاها الدكتور رشاد خليفة فى أمريكا ونقلت إلى العربية وغير ذلك من الكتب والمؤلفات التى لا نجردها من حسن النية ولكنها قد أخطأت الوسيلة والهدف ، وقد تصدى لهذه الفكرة وانتشارها عدد من كبار المؤلفين — انظر : قراءة فى وثائق البهائية ، على ميزان القرآن الكريم — حسن ناجى محمد محى الدين . ط الكويت .

وهذه الطريقة مادامت يهودية المنشأ والمولد والنسب فإننا نعتبرها دليل آخر من عشرات الأدلة التي تربط بين البهائية والفكر الصهيوني .

فتنة البهائية بأرض الميعاد :

ونريد هنا أن أشير إلى عامل ثالث له شواهد كثيرة من النصوص المقدسة عند البهائيين وهو شغف هؤلاء البهائيين بأرض الميعاد ووصفهم لها بأوصاف لم نرها إلا في كتب العهد القديم المحرفة .

وفيما سطرناه من صفحات أشرنا إلى أن الصهيونية السياسية كانت تضالل العالم بأشياء حين أرادت أن تغتصب أرض فلسطين وتنشأ عليها وطناً قومياً لليهود هناك والقد أشاعت ضمن ما أشاعت أن أرض فلسطين أرض خراب وأنها صحراء لا يستفيد منها العالم شيئاً رغم خصوبتها وأنها جرداء لا يملك الرعاع من العرب والبدو الرحل من الأعراب أن يحولوها إلى أرض منتجة وهي تحتاج إلى عقل قدير وسواعد مستمدة للبذل والعطاء وهذا لا يتوفر إلا عند العنصر اليهودي .

تلك هي مقولة اليهود لتبرير حلمهم الإجرامي في اغتصاب الأرض وإبادة الشعب فماذا عن موقف البهائية خاصة بعد أن انتقل البهاء إلى هناك ؟

لنترك النصوص هنا تعبر عن موقفه وموقف أتباعه .

يقول البهاء حسين في الألواح عند ذكر نزوله عكا إنه (سكن في أخرب البلاد بعد إذ عمرت السماوات والأرض باسمه كذلك ارتكب عبادك الظالمون) .

وفي لوح ابن ذئب : (قد أقعدوا روح الأمين سجوني في أخرب القرى) .

انظر إليه وهو يخاطب أرض فلسطين في كتابه الأقدس وتأمل هذا الخطاب « يا أرض الطاء لا تحزني من شيء قد جعلك الله مطلع فرح العالمين ، لوشاء يبارك سريرك بالذي يحكم بالعدل ويجمع أغنام الله التي تفرقت من الذئاب أنه يواجه أهل البهاء بالفرح والانبساط إلا أنه من جوهر الخلق لدى الحق عليه بهاء الله

وبهاء من فى ملكوت الأمر فى كل حين ، افرحى بما جعلك الله أفق النور بما ولد فيك مطلع الظهور وسميت بهذا الاسم الذى به لاح نير الفضل ، وأشرقت السماوات والأرضون ، سوف تنقلب فيك الأمور ويحكم عليك جمهور الناس إن ربك هو العليم المحيط إطمئنى بفضل ربك إنه لا تنقطع عنك لحظات الألطاف سوف يأخذك الاطمئنان بعد الاضطراب كذلك قضى الأمر فى كتاب بديع .

يا أرض الخاء نسمع فيك صوت الرجال فى ذكر ربك الغنى المتعال طوبى ليوم فيه تنصب رايات الأسماء فى ملكوت الإنشاء باسم الأبهى يومئذ يفرح المخلصون بنصر الله وينوح المشركون ليس لأحد أن يعترض على الذين يحكمون على العباد دعوا لهم ما عندهم وتوجهوا إلى القلوب »[1] .

ولقد ترددت هذه النغمة على ألسنة المعاصرين الأوائل الذين تحمسوا للتأريخ للحركة البهائية والذين كانوا من أوائل شهود عصره .

يصور د . أسلمنت البهائى حال عكا على أنها أرض العقوبات ليس لها من فضل فى الماضى سوى استقبال المجرمين لتكون هى المنفى الذى يلقى فيه كل مجرم عقابه على أنها تعتبر دار خراب المعيشة فيها بالغة القسوة لنقص أسباب المعيشة بها قال :

« كانت فى ذلك الوقت حبسا لكبار المجرمين يرسلون إليها من جميع أنحاء تركيا . وقد حبس فيها بهاء الله وأتباعه فى قشلاق العسكر بمجرد وصولهم إليها بعد سفر شاق فى البحر — من أدرنه — وكانوا نحوا من ثمانين إلى أربعة وثمانين من الرجال والنساء والأطفال ولم يكن عندهم فراش ولا أسباب الراحة وكان الطعام الذى يقوم لهم كريها وغير كاف . . . وكان

---

(١) انظر كتاب الأقدس ضمن خفايا الطائفة البهائية ا . د . أحمد محمد عوف ، نشر دار النهضة العربية ص ١٦٢ وما بعدها .

الأطفال يصيحون على الدوام في الأيام الأولى ، فكاد النوم يكون مستحيلا »[١] .

وهذا الأسلوب الموافق لطريقة الصهيونية في الدعاية مهما كان فيه من أساليب التضليل فإن المؤرخين المحدثين قد زيفوه كما سبق أن اقتلنا من قبل تزييف المؤرخين المقولة نفسها عند اليهود .

تعجب المستشرق الإنجليزى « براون » من تصريحات البهائية المتكررة التى تصف أرض فلسطين بالخراب بعد أن رآها في أرض الواقع وسجل تعجبه هذا في مقدمته لنقطة الكاف قال :

« أردت لقاء بهاء الله فأبرقت لمندوب البهائية في عكا ، أستأذن في اللقاء « فرد برقياً في اليوم التالى « يتوجه المسافر » فتحركت على الفور ووردت عكا في ٢٢ من شعبان سنة ١٣٠٧هـ ولما وصلت حوالها رأيت منظراً بهيجاً بفضائها النقى والحدائق الصافية والأشجار العطرة والثمار الناضجة . . رأيت طراوتها واخضرتها وتعجبت من قول بهاء الله الذى يكرره دائماً : إن عكا من أخرب البلاد . » « وفى اليوم الثالث ذهبت مع أحد أبناء بهاء الله إلى قصر البهجة ذى الديوان الكبير المفروش بالسجاد والمنقوش بالرخام فوقف الدليل المرافق أمام الستائر برهة حتى خلعت نعلى ، ثم رفعت الستائر ودخلت الإيوان الكبير الواسع وفى ناحية منه رأيت رجلا جالساً على الوسادة ، على رأسه قلنسوة كبيرة عالية كزى الدراويش . . . »[٢] .

وهكذا يظهر بجلاء ووضوح حرص إله البهائية على اتباع هذا الخط والمنهج الذى انتهجته الصهيونية السياسية فى بعض نواحيها كما سيتضح تتبعه لها فى بعض مناحيها الأخرى .

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد : ٢٧ والنقل من كتاب قراءة في وثائق البهائية ص ٧٩ وما بعدها .

(٢) انظر المقال السابع من كتاب البهائية : إحسان إلهى ظهير طبع لاهور .

البشريات المتتالية بأرض الميعاد :

لم يعد خافياً الآن أن البهائية التى ربيت على أيدى الصهيونية ورضعت من لبنها وهدهدت بين ذراعيها لم يعد خافياً أنها تترسم خطاها بلا أدنى محاولة للمواربة أو التضليل

وإذا كانت البهائية قد اعتمدت على نظام عد أبجد وهى تؤسس مذهبها عقيدة وشريعة وإذا كان رب البهائية حسين البهاء قد سلك مسلك المضللين العالمين فى القول بأن أرض فلسطين أرض الخراب ما دام عليها مسلم أو مسيحى فإنه هنا ينطلق من العهد القديم ليبشر بأن أرض موسى الكليم عائدة إلى أصحابها وأن وعد اليهود فى القديم بأنهم سيسكنون أرض فلسطين قد أصبح وشيك الوقوع .

سبق أن ذكرنا أن اليهود فى تضليلهم للعالم بل على الأحرى أن الصهيونية السياسية وهى تضلل العالم وتجتذب إلى صفوفها العناصر اليهودية قد ادعت أن لهم حقاً مقدساً فى أرض فلسطين وأنها الأرض التى سيظهر فيها الخاص ليخلص اليهود من عوامل بؤسهم وشقائهم .

وقد انطلقت الصهيونية فى دعاية مكثفة لتأكيد هذا العامل وهى ترتكز على عامل نفسى فعال ، هذا العامل النفسى فى الحقيقة هو محور الارتكاز فى تكوين الشخصية اليهودية ، وشرح ذلك يطول ولكن يكفى أن ألفت نظر القارىء إلى أن اليهود كانوا فى الماضى يعيشون بشخصية متميزة تتكون هذه الشخصية داخل المركز الدينى الذى كان يفرض على اليهود نمطاً معيناً من المعيشة ويطالبهم بعدم الذوبان فى المجتمعات وعلى الجملة فلقد كانت الشخصية اليهودية تتشكل داخل أسوار معابدهم الدينية التى أفسدتها المطامع وعبثت بنصوصها الأهواء .

وطبقاً لتعاليم معابدهم فقد قاوموا فكرة الذوبان فى المجتمع وعاشوا فى أحياء خاصة بهم فى كل دولة فارتاب كل مجتمع فيما عنده من العناصر اليهودية وأصبح اليهود لذلك مضطهدين يحيون عيشة الذلة والهوان .

وداخل آتون العزلة والذلة نضجت الشخصية اليهودية التى تجمع الأطراف المتناقضة فهى تجمع فى داخلها الرغبة فى الاستعلاء والشعور بالدونية وكراهية الناس والتودد إليهم والقهر والظلم والإبادة إذا تسلطوا والخنوع والذلة والهوان إذا حكموا .. الخ . الأمر الذى يصعب معه أن نحدد نمطية للشخصية اليهودية بعيدة عن جمع المتناقضات فى شىء واحد

استغل الصهاينة السياسيون ببراعة هذه الضغوط النفسية ووضعوها تحت المجهر الإعلامى فتضخمت جزئياتها ووضعوها تحت بؤرة من الضوء شديدة اللمعان فأخذت بالألباب والابصار واجتذبت إليها بعض عناصر اليهود . واستغلت عناصر الشخصية اليهودية فى محاولة تأثيث فكرة ضرورة قيام الدولة اليهودية فى فلسطين ولما لا يقبل اليهود إذا هذه الفكرة ! أو ليسوا هم المستضعين فى الأرض من جهة الراغبين فى الحفاظ على تميزهم باعتبارهم شعب الله المختار من جهة أخرى ، إنهم يريدن أن يرفعوا عن كواهلهم عبء الظلم والاضطهاد ويريدون أيضاً أن يحققوا لانفسهم قدرا من صفاء العرق الذى لا يكدره الاختلاط وصفاء السلالة المتأبية على الذوبان فى المجتمعات ، إن هذا كله لا يتحقق إلا إذا كانت لليهود دولة وأى دولة أحق بها اليهود إن تكن مطبوعة بالطابع الدينى رجالها يجرى فى عروقهم الدم اليهودى من غير اختلاط أو امتزاج وأى أرض سيرفرف عليها علم تلك الدولة إن لم تكن هى أرض الميعاد التى ورد ذكرها فى الكتاب المقدس

إنها دعاية عريضة تعتمد على أسس مدروسة عمادها الأساسى جوهر الشخصية اليهودية(١) وهدفها الذى تروم الشخصية الصهيونية تحقيقه هو تحقيق دولة يهودية فى فلسطين .

وهدف الصهيونية والوسائل التى تؤدى إلى تحقيقه ينسجم مع نظريتهم العامة .

---

(١) انظر الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية لـ د. رشاد عبدالله الشامى .

ولكن المرء يعجب غاية العجب حين يرى البهائية تدعو إلى هذا الهدف بعينه بل وتسلك نفس الدروب من غير أن تحرص على أن تعفو أثرها أثناء المسير . غير أن المرء يمكن عجبه حين يدرك الصلة الحقيقية بين البهائية والصهيونية .

وقد حرصت الصهيونية أو اليهودية العالمية على أن تكون البهائية العامل الأساسى فى تحقيق الدولة اليهودية بين المسلمين .

ولقد كان اليهود يظنون من أول الأمر أن تحقيق الدولة الصهيونية ليس هدفاً بعيد المنال فهم قادرون على تحريك السياسة البريطانية والسياسة البريطانية لها قوة الضغط التى لا تنكر فى الشرق الأوسط وعلى نظام الحكم فى الآستانة . وبإمكان الحكومة الإنجليزية أن تجهز على الرجل المريض وتسقط الخلافة العثمانية وتأخذ ما لها من أملاك أو تحظى بأكبر قسط ممكن منها على أن تكون فلسطين جزءاً من الممتلكات الواقعة فى حيز السيطرة الإنجليزية ثم تتسلمها اليهود لتقم عليها الدولة الصهيونية .

وبدأت الصهيونية تحسب حسابها فى تهيئة الجو فانشأت البابية لهذا الغرض ولم يكن فى نيتها أن بريطانيا سترجىء الإجهاز على الرجل المريض فى ذلك الوقت لمصلحة سياسية وعجل القدر فقتل الباب وارتبكت لفترة مخططات اليهود ولكنهم كما صرح عميلهم الشيـــخ عيسى قلبوا البابية إلى بهائية بطريقة بهلوانية ، ولكنهم هذه المرة يجب أن يحتاطوا لأنفسهم وهم يعدون الكتب والألواح البهاء فلا يجب أن يتسرعوا فى وضع التصريحات على لسان البهاء حتى لا تفاجئهم الظروف بأشياء لم تكن فى الحسبان فيضطروا إلى تغيير هذه التصريحات بأخرى تناقضها ثم يجهدوا أنفسهم فيما بعد فى محاولة التقريب بين النصوص ورفع التناقض

وقد ظهر التخطيط الجديد حين كلف حسين البهاء أن يلقى إلى الناس بأنوار روحية وكتبه المقدسة

وكان من بين ما أوحى به إليهم حديثه المفصل عن أرض الميعاد وعودة أرض الكليم موسى .

ولكن ما الذى يمكن أن يحدث لو أن إنجلترا تلكأت حتى مات الإله الجديد والتقل هل يجب على الصهيونية العالمية متمثلة فى زعمائها أن تنصب لهم إلهاً جديداً كما فعلت حين قتل الباب فنصبت مكانه حسين على ؟

لو حدث ذلك لارتاب الناس فى حقيقة هذا الأمر إذ يكفيهم من بذل المجهود أن يغطوا تلك الثغرة الماضية ويبرروا موت إله صرح أكثر من مرة أنه لن يأتى مظهر بعده قبل مضى مدة من الزمن تسع العشرات من الأجيال .

لابد إذن من خطة جديدة تظهر فيما يوحى به البهاء إلى عبيدة شياطين الإنس ومؤدى هذه الخطة الجديدة أن أرض موسى الكليم عائدة فإن عادت وشمس البهاء مشرقة فهو ما يبقى ويبغون وإن عادت بعد أن تغيب شمس بيانه وتسكن أمواج وحيه فعليهم أن يتوجهوا بكل ما يسألون عنه إلى ما أوحى به إليهم وعليهم أن يعلموا وهم يؤدون واجبهم فى خدمة الصهيونية العالمية أن إلاههم الذى مات يشرق عليهم من أفق القدس الأعلى فى سماء هذه الأرض المقدسة كما كان يشرق عليهم أثناء ظهوره من على أرض هذه المقدسة فوجوده ظاهراً لحكمة وغيابه لحكمة والويل والدمار لمن إعترض أو ناقش وجادل .

سنجتزىء الآن بعض نصوص لشياطين البهائية تدمغ مواقفهم وتجلى حقيقة أمرهم .

فى كتابهم الأقدس الذى أوصى به حسين على إلى عباده قوله : « هذا يوم فيه فاز الكليم بأنوار القدم وشرب زلال الوصال من هذا القدح الذى به سجرت البحور قل تالله الحق أن الطور يطوف حول مطلع الظهور والروح ينادى به الملكوت هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور . هذا يوم فيه سرع كرم الله شوقاً للقائه وصاح الصهيون قد أتى الوعد وظهر ما هو المكتوب فى ألواح الله المتعالى

العزيز المحبوب . يا معشر الملوك قد انزل الناموس الاكبر فى المنظر الأنور وظهر كل أمر مستقر من لدن مالك القدر الذى به أتت الساعة وانشق القمر وفصل كل أمر محتوم . يا معشر الملوك أنتم المماليك قد ظهر المالك بأحسن الطراز ويدعوكم إلى نفسه المهيمن القيوم إياكم أن يمنعكم الغرور عن مشرق الظهور أو تحجبكم الدنيا عن فاطر السماء قوموا على خدمة المقصود الذى خلقكم بكلمة من عنده وجعلكم مظاهر القدرة لما كان وما يكون . تالله لا نريد أن نتصرف فى ممالككم بل جئنا بل لتصرف القلوب إنها لمنظر البهاء يشهد بذلك ملكوت الأسماء لو أنتم تفقهون .

من خلال هذا النص نجد أن البهاء قد أكد بصفة قاطعة سقوط الأرض المقدسة فى أرض الصهاينة .

وهذا التأكيد من وجهة نظره كان له ما يستند إليه ولم يصدر من فراغ فهذه الحقبة من التاريخ كانت تشهد نشاطاً مكثفاً داخل أروقة صناع السياسة فى بريطانيا وغيرها حيث كان اليهود يعدون العدة لصدور وعد بلفور

غير أن المسألة تحتاج إلى أمرين فى المنطقة لابد أن يقوم بهما رجل متدين

أحدهما : إبراز هذه المنطقة بصورة المظلوم الذى وقع عليه من كوارث الحكام فى تركيا وسوء إدارتهم ما يحوجهم إلى من يخلصهم .

ولما كانت الخلافة فى تركيا شعاراً دينياً كان لابد أن يكون المقاوم لتركيا متسربلا هو الآخر بسرابيل الدين ومتشحاً بوشاح روحانى يقدر على مقاومة الخلافة التى لها بالإسلام صلة .

ثانيهما : استنهاض الملوك فى المغرب للوقوف إلى جانب الحركة الصهيونية بمخاطبة العواطف أو الإحراج الدينى ولابد وأن يقوم بهذا الدور أيضاً رجل يدعى أن له صلة الخالق لهذا العالم وحق التصرف فيه وهو وإن كذبه الملوك والمتنورون فإن الدعاية الصهيونية كفيلة بإقناع الرعاع والعامة حتى يستطيعوا إجبار قادتهم

بطريق أو بآخر الوقوف إلى جوار هذه الحركة فى فلسطين أو على الأقل تحييدهم حتى لا يقاوموا هذه الحركة إن لم يساعدوها .

وكانت الفقرات التالية فى الأقدس تركيزاً على هاتين النقطتين بالذات فتراه يقول وهو يندب حظ هذه البقعة من العالم لوقوعها تحت الخلافة العثمانية « يا أيتها النقطة الواقعة فى شاطىء البحرين قد استقر عليك كرسى الظلم واشتعلت فيك نار البغضاء على شأن ناح بها الملأ الأعلى والذين يطوفون حول كرسى رفيع نرى فيك الجاهل يحكم على العاقل والظلام يفتخر على النور وإنك فى غرور مبين . أغرتك زينتك الظاهرة سوف تفنى ورب البرية وتنوح البنات والأرامل ومافيك من القبائل كذلك ينبئك العليم الخبير »[1] .

وعلى الجانب الآخر نجده يستنهض همم الملوك ويخاطبهم بما يناسبهم فيخاطب ملك ألمانيا فيذكره بالبعث وما بعده ويطالبه بأن يتوجه إلى شطر جاله هو .

ويخاطب ملك النمسا الذى مر بالقدس ولم يعرج على عكا فلامه أشد اللوم وبين له أنه تعلق بالفروع وترك الأصل وكان أولى به أن يتوجه إلى عكا حتى يرى منظره الأبهى انظر إلى عباراته القاسية المترفعة فى نفس الوقت

« يا ملك النمسا كان مطلع نور الأحدية فى سجن عكاء إذا أقصدت المسجد الأقصى مررت وسألت عنه بعد إذ رفع به كل بيت وفتح كل باب منيف ، قد جعلناه مقبل العالم لذكرى وأنت نبذت المذكور إذ ظهر بملكوت الله ربك ورب العالمين .

كنا معك فى كل الأحوال ووجدناك متمسكا بالفرع غافلا عن الأصل إن ربك على ما أقول شهيد قد أخذتنا الأحزان بما رأيناك تدور لا سمنا ولا تعرفنا أمام وجهك إفتح البصر لتنظر هذا المنظر الكريم وتعرف من تدعوه فى الليالى والأيام وترى النور المشرق من هذا الأفق اللميع .

---

(١) الأقدس ضمن كتاب خفايا الطائفة البهائية ص ١٦٢ .

وبعد أن يتوجه لكل ملك من الملوك التي اختارها على حدة يعمم القول للملوك جميعاً مؤكداً على نقطة هامة وهي أنه لا يريد أن يهز عروشهم ولا يريد أن ينحيهم عن أماكنهم أو يفرق بينهم وبين سلطانهم . ولكن كل ما يريده هنا هو استنهاض الهمم معه وتوجيههم بالقلوب إليه ولنصرتهم لتعاليمه ومبادئه(١) .

تم له إذن في تخطيطه المشئوم عرض الظلم الواقع من وجهة نظره على الأرض المقدسة وتم له استنهاض همم الملوك إليه ولكن يبقى أمامه وأمام شياطينه نقطة لا يجوز إغفالها . إن اليهود حين يدخلون أرض فلسطين لا يجوز لهم أن يتعايشوا مع هذا الشعب المسلم أو المسيحي سكان الأرض الأصليين ولا بد من إخراجهم أو إبادتهم وإذا كان المسيحيون والمسلمون سيتكاتفون بدافع الحمية الوطنية أو الغريزة الدينية فإن الصهاينة قد رأوا أن هناك دوراً أساسياً لا بد أن يناط بحسين البهاء وهذا الدور يرتكز على محاربة القيم والغرائز الإنسانية أو على الحمية الوطنية .

فالغريزة الدينية تطالب المسلم والمسيحي معاً بحمل السلاح حفاظاً على مقدساته والحمية الوطنية تطالب المسلمين والمسيحيين سكان الأرض أن يدافعوا عن أوطانهم ومسقط رؤوسهم ، وعلى البهاء إذن أن يحارب فكرة الجهاد وحمل السلاح حرباً منظمة لا هوادة فيها وأن يؤكد للسكان الأصليين ومن يجاورهم من سكان البلدان الأخرى أن إسقاط الجهاد أمر يعبر عن رغبة مقدسة وأنه تكليف من رب البهائية .

ولقد قدم البهاء لنصوص إسقاط تشريع الجهاد بهذه الجرعة السامة : إنه بقدر ما يحمل العبد من الظلم يظهر العدل وبقدر ما يقبل الذلة يلوح العز الإلهي ! وهذه عبارته فيه : (قل بما حمل الظلم ظهر العدل فيما سواه وبما قبل الذلة لاح

---

(١) راجع المرجع السابق ص ١٥٩ وما بعدها .

عز الله بين العالمين . حرم عليكم حمل آلات الحرب إلا حين الضرورة وأحل لكم لبس الحرير . .) ٢٩١ ثم نسخ قيد الضرورة فى (لوح بشارات) وتفضل على العباد بأن قدم البشارة الأولى ، محو حكم الجهاد ، على إطلاقه قال : (البشارة الأولى التى منحت من أم الكتاب فى هذا الظهور الأعظم : محو حكم الجهاد من الكتاب) .

وبهذا النص الصريح أخذ البهائيون ، فمنعوا استعمال الأسلحة النارية لأى سبب وعلى أى حال قال الحجة د . أسلمنت البهائى : « إن البهائيين تركوا بالكلية استعمال الأسلحة النارية حتى فى أمور الدفاع المحضة وذلك بناء على أمر صريح من بهاء الله » .

ونقل ابنه عباس أفندى عبد البهاء ، عن أبيه : « أنه عن استعمال هذه الوسائل بالكلية فى نشر دعوة الحق حتى ولو كان ذلك من قبيل الدفاع عن النفس لأنه محا آية السيف ونسخ حكم الجهاد وقال : لأن تقتلوا خير من أن تقتلوا »[1] .

وإسقاط حكم الجهاد على عظم أمره لابد أن يصاحبه حالة من الخنوع الفردى وإيجاد مجموعة من البشر قد فقدوا كل معانى الحرية (حرية الكلمة ـ حرية الرأى ـ حرية الحركة بالاستقلال داخل الوطن) وفقدوا مع معانى الحرية كل معنى للغيرة على الأعراض أو الأوطان .

وفى مصادرة الحريات إلا حرية الاستماع إلى تعاليم البهاء يلقى حسين المازندرانى إلى عباده بهذا التكليف الذى يحرم الخروج عليه (إن الحرية تخرج الإنسان عن شئون الأدب والوقار وتجعله من الأرذلين فانظروا ، الخلق كالأغنام لابد لها من راع ليحفظها إن هذا الحق يقين إنا اصدقها فى بعض المقامات دون الآخر إنا كنا عالمين قل الحرية فى إتباع أوامرى لو أنتم من العارفين . لو اتبع الناس ما أنزلناه لهم من سماء الوحى ليجدن ـ كذا ـ أنفسهم فى حرية بحتة طوبى لمن عرف مراد الله فيما نزل من سماء مشيئته المهيمنة على العالمين . قل إن الحرية التى تنفعكم أنها فى العبودية لله الحق والذى وجد حلاوتها

---

(١) قراءة وثائق البهائية ص ٩٤ وبعدها .

لا يدركها بملكوت ملك السماوات والأرضين . حرم الله عليكم السؤال في البيان حق الله عن ذلك اسئلوا ما تحتاج به أنفسكم لا ما تكلم به رجال قبلكم إتقوا الله وكونوا من المتقين . إسألوا ما ينفعكم في أمر الله وسلطانه قد فتح باب الفضل على من في السماوات والأرضين » .

ومصادرة الحريات وحدها على هذا النحو ليس أمراً كافياً وإنما لابد لكي تقتل الشخصية الإنسانية ويسلب منها مقومات حياتها أن تترك الغيرة على الأوطان والأعراض .

ومن هنا كان تأكيد البهائية على مبدأ سبق لنا أن تناولناه بالشرح والتحليل هو مبدأ إلغاء فكرة الأوطان فإلغاء فكرة الأوطان قد قامت بفكرة الوطن العام وإلغاء الحدود السياسية لابد إذن أن يعدل كل إنسان في إتجاهه أنه لا ينتمي إلى وطن بعينه وحتى ولو كان هذا الوطن هو مسقط رأسه ومدرج طفولته إنه لا يجوز أن يخصه بقدر زائد من الحب بل يجب عليه أن يخلع كل ربقة الانتماء التي تربط بوطن بعينه عليه أن يكون محباً لجميع الأوطان وعليه أيضاً أن يفسح لغيره إذا أراد أن يقتحم عليه وطنه فلا يدفعه ولا يقهره بل يترك له الوطن إلى جزء آخر من أرض الله الواسعة التي يشترك فيها الجميع من غير أن يكون هناك ارتباط خاص لقوم معينين لبقعة من الأرض بعينها .

ولنا أن نتأمل هذه الفكرة من جديد ضمن نصوص البهائية المقدسة .

(فقد حان الوقت على حد قولهم) لأن تندمج الوطنية الضعيفة ضمن الوطنية العامة الكبرى التي يكون فيها الوطن العالم بأجمعه فيقول بهاء الله : قد قيل في السابق : حب الوطن من الإيمان وأما في هذا اليوم فلسان العظمة ينطق ويقول : ليس الفخر لمن يحب الوطن بل لمن يحب العالم وقال إبنه وخليفته عباس أفندي عبد البهاء : « التعصب الجنسي وهم وخرافة واضحة لأن الله خلقنا جميعاً جنساً

واحداً . ومنذ الابتداء لم تكن هناك حدود بين البلدان المختلفة فلا يوجد فى الأرض جزء مملوك لقوم دون غيرهم[1] .

ولقد كانت هناك رغبة أكيدة عند الصهاينة لفصل بين الأمم وماضيها ولقد جربت فى سبيل تحقيق هذا الهدف أكثر من طريق .

واهتدت فى النهاية إلى أن الطريقة المثلى لفصل الأمم عن تراثها هى إلغاء اللغة خطاً ومفردات وتراكيب .

وظهرت هذه النغمة كفكرة مقدسة عند البهائية مشدداً عليها من البهاء نفسه[2] (يا أهل المجالس فى البلاد اختاروا لغة من اللغات ليتكلم بها من على الأرض وكذلك من الخطوط إن الله يبين لكم ما ينفعكم ويغنيكم عن دونكم إنه لهو المفضال العليم الخبير هذا سبب الاتحاد لو أنتم تعلمون . والعلة الكبرى للاتفاق والتمدن لو أنتم تشعرون[3]) .

وقد يبدو للناظر أن المازندرانى يريد طمس جميع اللغات وتحويل العالم إلى

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد ص ١٦٨ ، ص ١٦١ وانظر قراءة فى وثائق البهائية ص ٩٥ .

(٢) إذا كانت هذه الفكرة قد ظهرت بشكل نظرى فى تعاليم البهاء فإنها قد خرجت إلى حيز التطبيق العملى فيما بعد حين أسقطت الصهاينة بمعاونة الاستعمار الخلافة العثمانية وسلمت الدولة لمصطفى كمال أتاتورك ورفاقه الذين أصدروا قراراتهم السياسية بإبطال التعامل بالخط العربى والألفاظ العربية ووضع المخالف قواعد قانونية لأنه مجرم فى نظر القانون يجب عقابه كمحاولة منه لقطع الأمة الإسلامية أو الأمة التركية عن تراثها القديم فتأمل . راجع الصراع بين الفكرة الغربية أبو الحسن على الحسن الندوى .

(٣) أنظر الأقدس للمازندرانى .

لغة واحدة ، وهذا حقا ما يظهر من عبارته العامة إلا أننا حين ننظر إلى جميع عباراته منتظمة فى نسق واحد فإن هذه النظرة تكشف لنا عن المراد الحقيقى .

إنه لا يقصد سوى تبديل اللغة العربية وحدها حتى يقطع المسلمين عن تراثهم وعن مصادر تشريعهم وعن تاريخ الأجداد وأمجاد الأماجد من الرجال إنه يريد تبديل اللغة العربية ولو إلى الفارسية المعروفة بهذا لها فى القواعد والمفردات المشهورة بأنها لغة الملوك والتعبير عن ترفهم الزائد فهو يقول مخاطبا قلم الوحى « يا قلمى الأعلى ، بدل اللغة الفصحى باللغة النوراء » ويقصد باللغة النوراء هنا اللغة الفارسية ليكشف عن إنتمائه لجنسه ووطنه ويعبر عن مكنون صدره وما يحتويه من عوامل الغل والحق الدفين .

وتراه مع هذا كله يحمل أتباعه ومريديه على تعلم اللغات الأجنبية لنشر أباطيله وهذيانه (قد أذن الله لمن أراد أن يتعلم الألسنة المختلفة ليبلغ أمر الله شرق الأرض وغربها ويذكره بين الدول والملل على شأن تنجذب به الافئدة ويحيى به كل عظم رميم) .

يتبين من هذا وغيره حرص البهاء أو حرص من وراءه على ثلم الصلة بين الفرد ونفسه من جهة وبين الفرد وجماعته الكبرى من جهة ثانية وبين الفرد ووطنه من جهة ثالثة لا غيرة إذا ولا حمية ولا رغبة فى إثبات الذات أو تميز فى الشخصية إذا حدث ذلك تم للصهيونية ما تريد وإذا فتحت الارض وسلمت للصهيونية فى عهد البهاء فقد تم المراد وإلا فمن الممكن أن يكون الاتصال به ممكنا بعد وفاته عن طريق قراءه فى تعاليمه أو اتصال بعبده ونبيه من بعده فوفاته لا تعنى غيابه عن عباده ولكن قصارى ما تعنيه هو اختفاؤه عن أنظار الناظرين وارتفاعه بخطابه عن مصالحة أذن الأغيار من غير وسيط يكون بينه وبين الأغيار (يا أهل الأرض إذا غربت شمس جمالى وسترت سماء هيكلى لا تضطربوا ، أنا معكم فى كل الأحوال وننصركم بالحق إنا كنا قادرين . . . إذا اختلفتم فى أمر فأرجعوه

إلى الله مادامت الشمس مشرقة فى أفق هذا السماء وإذا غربت ارجعوا إلى ما نزل من عنده إنه ليكفى العالمين . قل يا قوم لا يأخذكم الاضطراب إذا غاب ملكوت ظهورى وسكنت أمواج بحر بيانى إن فى ظهورى لحكمه وفى غيبتى حكمه أخرى ما اطلع بها إلا الله الفرد الخبير . ونرا كم من أفقى الأبهى وننصر من قام على نصرة أمرى بجنود من الملأ الأعلى وقبيل من الملائكة المقربين) .

— يهودية حتى فى المنهج :

مما سلف ذكره تجتمع لدينا أدلة كافية لا يحتاج الباحث معها إلى زيادة ولا يرغب القارىء بعد ذلك فى إضافة حتى يقتنع بصدق التبعية وإخلاص الخدمة التى تطوع بها البهاء وأسلافه وقدموها رخيصة إلى أعدائهم وأعداء أسلافهم .

فهو أننا لا نرى أن تجف الصحف أو نرفع الأقلام حتى نسجل للبهاء نقطة هامة تحسب له فى ميزان أعدائه الذين استخدموه وتحسب عليه دليلا قاطعاً على خيانته فى ميزان أمته الذين باعهم وخان عهدهم وميثاقهم حين أعلن فى أول أمره أنه مسلم من أبناء الإسلام وهذه الجزئية التى تحسب له أو عليه عند اختلاف المنظور هى أنه اختار نفس المنهج وسلك نفس الطريقة التى سلكتها المؤسسات السرية اليهود تلك المؤسسات التى رامت تخريب العالم والذهاب به إلى أضرب مظلمة ومسالك لا يتمكن سالكها حين يقطع شوطاً منها أن يرجع إن أراد إلى نقطة البداية .

إن هذه المؤسسات السرية اليهودية المنتشرة فى العالم لا تعلن عن أهدافها لاتباعها جملة وإنما تغريهم فى أول الأمر بما يحبون وبما يطرب آذانهم من كلمات تفيد الأخوة الوئام وتحتوى بين جنباتها جل معانى المحبة والسلام ، ثم تتقدم بأفرادها درجة بعد درجة وفى كل درجة تكشف لهم عن جزء من الدستور الآثم وتزيح الستار عن خبث النوايا وتوقفهم على سوء الطوية شيئاً بعد شىء ، وجل السر لا يكشف إلا للأصفياء والسر كله يبقى مكتملا فى رؤوس أولئك الذين

يخطئون ويوجهون ويحرم عليهم أن يبيحوا به لغيرهم فإن الإباحة به خطر ينبغي أن يعاقب بالموت من يعرض الجماعة له .

هكذا كانت ولا تزال الماسونية العالمية وهكذا كان البهاء إله البهائية . لا يظهر سره إلا لأصفيائه ويظهر الذراري الحيارى في هذه الدنيا مايشوقهم إلى الخلاص ويطمعهم في راحة فيحاء وسط صحراء الدنيا وأوائها .

المنهج هو المنهج والطريقة هي الطريقة ويؤكد المؤرخ اليهودي المعاصر :

« إجناس جولد تسيهر » هذه الحقيقة مستشهداً بنصوص البهاء نفسه وهو مؤرخ له خطره حيث إنه كان معاصراً البهائية في بعض أدوارها » ... وقد زعم فضلا عن ذلك بأنه لا يكشف عن كل ما يشتمل عليه مذهبه من درر نفيسة محققة لنجاة الإنسان وخلاصه ومن هذه الدرر بعض الأفكار الخفية ويظهر أنه احتفظ بها للنخبة المختارة من مريديه فلا يبوح بها لأحد سواهم . كما قصد أن يبين الناس أنه يخفى عن خصومه قدراً معيناً من أفكاره وتعاليمه إذ يقول في فقرة من فقرات كتبه : « لا نريد قط أن نعالج هذه المراتب ولا أن نفصلها لأن مسامع خصومنا مرهفة متيقظة تترقب شيئاً تتذرع به لمعاداتنا زاعمة أنه يناقض الذات الإلهية الحقة ويتعارض مع دوامها وهم لن يصلوا قط إلى خفايا العلم وكنوز الحكمة التي أحاط بها ذلك الذي تجلى مع إشراق سناء الذات الإلهية وبهائها[1] » .

وماذا بعد . .

« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام للمستشرق إجناس تسيهر نقله إلى العربية وعلق عليه الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور علي حسن عبد القادر والأستاذ عبد العزيز عبد الحق . طبعة دار الكتاب العربي الطبعة الثانية ص ٢٧٥ .

الدور الجديد

عباس أفندى

وحركة العرائس على المسرح

حرصت الصهيونية السياسية غاية الحرص أن تدرك هدفها فى عهد البهاء وأن تسيطر على أرض فلسطين والبهاء بين ظهرانيهم غير أن الله لم يملك الأسباب كلها لنبى الإنسان .

أجلت إنجلترا لأسباب سياسية الإجهاز على الرجل المريض فلم تقع فلسطين تحت الانتداب البريطانى وتقدم العمر بحسين على البهاء وأوشكت شمس جماله أن تغيب تحت أطباق الثرى وسلب الله القادر عقل مطلع الظهور فأصيب بالجنون فصدرت التعليمات إلى عباس أفندى ولده الأكبر أن يحول بينه وبين الناس حتى لا يفتضح أمره وهلك الجمال المبارك — كما يسمى نفسه — غير مأسوف عليه فى السادس عشر من مايو ١٨٩٢ م الموافق الثانى من ذى القعدة سنة ١٣٠٩ هـ .

وجدت الصهيونية السياسية نفسها وكان ما كان من مؤتمر بال بسويسرا حيث أعلن فى هذا المؤتمر ما ستر عن العالم قبله ، أعلن على العالم الرغبة فى تأسيس دولة يهودية فى فلسطين وأعلنت الوسائل إلى تحقيق تلك الدولة والعمل على تأسيسها وكانت هذه الأشياء المعلنة كثيراً ما تردد على لسان الجمال المبارك وتصدر عن مشرق النور الأعظم .

ولكن هذا الجمال المبارك قد غابت شمسه وأفل كوكبه والساحة الآن قد أصبحت خالية من مقدس تحتاج الصهيونية إليه فهل استهلكت نصوص التوراة فى تأييد موقف البهاء بحيث لا يمكن أن نجد فيها ما يؤيد غيره ؟ لقد عكف حاخامات اليهود وجهابذة علمائهم على الكتاب المقدس يستخرجون منه نصوصاً لموجود جديد عليه أن يقوم بدور له صلة بالدور الذى قبله وله من الجدة والاتساع ما يناسب الظرف الجديد .

إنهم يريدون رجلا مقدساً ولكن لا يجوز أن يدعى أنه إلهاً فقد دعاها أناس قبله وقد استخرج اليهود من النصوص المقدسة ما لا يستطيعون بعده أن يجدوا فى هذه الكتب ما يؤيد ظهور إله جديد خصوصاً وأن الورطة التى تورطوا فيها ما زالت تقرع الأسماع وتقض المضاجع وتقلق الفؤاد .

إن علماء اليهود ما يزالون يترنحون من هول المفاجأة حين ادعوا الألوهية للباب وهم يدعون أنهم قادرون على حمايته فهلك الباب وأعقب البهاء وادعوا الألوهية للبهاء بعد أن كانوا قد أغلقوا الأبواب وأوصدوا جميع النوافذ حين صرحوا على لسان على محمد أن من يدعى الألوهية قبل مرور مدة تساوى الأرقام التى تقابل حروف مستغاث[1] كانت مفاجئة أن يقتل الباب وأحدث ادعاء حسين على من بعده ثغرة فكرية كان عليهم أن يجهدوا أنفسهم فى سدها وما استطاعوا .

إنهم إذن يريدون للعهد الجديد مقدساً ولكنهم يريدونه بشراً ولا يريدونه إلهاً فماذا عسى أن يكون ؟

تلك هى المهمة الصعبة التى اصطدم بها حاخامات اليهود وشيوخهم الذين يفهمون العهد القديم لقد جلسوا متكئين على الكتاب المقدس يتأملونه ففكروا وقدروا ثم خرجوا على الدنيا بمقولة يؤيدونها بنصوص العهد القديم .

إن البهاء قد أنجب أولاداً وكل ولد من هذه العصابة يسمى غصناً وكان أكبرهم يسمى الغصن الأعظم .

ما المانع إذن أن يوصى البهاء المجنون لابنه غصن أعظم عباس أفندى الذى ربى من صغره على فكر أبيه وأسياده وهدهد منذ صغره بين ذراعى قراصنة اليهود ؟

ما المانع أن يوصى له أبوه بالخلافة من بعده ؟

---

(١) حروف مستغاث تساوى بطريقة عد أبجد التى أشرنا إليها من قبل تساوى ٢٠٠٠ سنة فتأمل .

بعد تسعة أيام من هلاك الجمال المبارك فتح عباس أفندى بحضور من كبار البهائيين كتاب الوصية فماذا فى هذا الكتاب ؟

عبارات لو قرأتها أو سمعتها لخيل لك عقلك أنك تعود إلى قرون مضت وتقرأ عبارات كأنها صيغت فى دهاليز التاريخ الماضى وما ظهر من الوصية نجتزىء منه ما يلى : « إن وصية الله هى أن يتوجه عموم الأغصان والأفنان والمنتسبين إلى الغصن الأعظم . انظروا ما أنزلناه فى كتابى الأقدس : « إذا غيض بحر الوصال وقضى كتاب المبدأ فى المآل ، توجهوا إلى من أراده الله الذى انشعب من هذا الأصل القديم وكان المقصود من هذه الآية المباركة الغصن الأعظم ـ كذلك أظهرنا الأمر فضلا من عندنا وأنا الفضال الكريم . قد قدر الله مقام الغصن الأكبر بعد مقامه إنه هو الآمر الحكيم . وقد اصطفينا الأكبر بعد الأعظم أمرا من لدن عليم خبير » .

قال أسلمت : « وعلى مقتضى هذه الوصية أصبح عبد البهاء بدلا من والده ومفسراً لتعاليه وقد أمر بهاء الله أسرته وجميع الأحباب أن يتوجهوا إليه ويطيعوه وبهذا الترتيب امتنع ظهور الانقسام بين الأحباء وأصبح الاتحاد على الأمر مضموناً »[1] .

ونصرف النظر الآن عن محاولة التعلق بقضية اجتماع الأحباء أو انشقاقهم فتلك مسألة يمكن أن تقاس على ما قبلها من الأشباه والنظائر والتاريخ يعيد نفسه لنصرف عن هذه المسألة إلى مسألة أخرى هى مركز إهتمامنا الآن وهى الإشارة إلى ذلك الجهد المبذول الذى بذله حاخامات اليهود وشيوخهم فى محاولة إثبات نبوة عباس أفندى كما حاولوا من قبل أن يثبتوا ألوهية كلا من الباب والبهاء .

---

(١) انظر هذه النصوص ضمن كتاب قراءة فى وثائق البهائية ص ١٠٥ .

ولم يكن لهؤلاء الجهابذة من العلماء طريقاً سهلا إلى القرآن الكريم كي يستخرجوا منه ما يريدون ولم يكن القرآن في نفس الوقت هو محل اهتمامهم بالدرجة الأولى إن القرآن هو الوثيقة الوحيدة التي احتفظت بلفظها المقدس وطريقتها التي نزلت بها من غير أن يكون للبشر دخل فيها لا في اللفظ ولا في المعنى فيصعب عليهم بل يستحيل أن يجدوا من القرآن ما يؤيد وجهة نظرهم.

وكان سائغاً لهذه الاعتبارات جميعاً أن يكون التأييد كله منبثقاً من العهد القديم كتاب اليهود وحقل الاعيبهم.

وقد لاحظ شاهد العصر الأستاذ جولد تسيهر وهو يهودي هذه الملاحظة بدقة وعناية حيث قال: «وبلغ الأمر ببعض اليهود المتحمسين للبهائية أن استخلصوا من دقائق العهد القديم وتنبؤات أسفاره ما ينبىء بظهور بهاء الله وعباس، وزعموا أن كل آية تشيد «بمجد يهوه» أنها تعني ظهور مخلص العالم في شخص بهاء الله كما نسبوا جزءاً كبيراً من الإشارات والتلميحات التي في الأسفار إلى جبل الكرمل الذي تجلى على مقربة منه نور الله وأضاء على الكون كله وذلك في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

وهذا فضلا عن أنهم لم ينسوا أن يستخرجوا عما يحتويه سفر دانيال من الرؤى ما ينبىء بقيام الحركة التي أوجدها الباب وأن يلتمسوا بتأويلها ما يدل على وقت حدوثها فالثلاثمائة والألفان من الأيام (أي من السنين) التي بعد انقضائها «يتبرأ القدس» أي يتطهر المعبد (إصحاح ٨ عدد ١٤) تنتهي تبعاً لتقديراتهم في سنة ١٨٤٤ بالنسبة للتقويم المسيحي وهي السنة التي ظهر فيها ميرزا علي محمد وأوحى إليه أنه الباب الذي حل فيه العقل الكلي وذلك في الدور الجديد لتجليه وقد تقدمت البهائية بظهور عباس أفندي خطوة أخرى في استعانتها بالتوراة والإنجيل فأسفارهما سبق أن بشرت بظهور عباس من قبل وهو المقصود بالإمارة وسائر الألقاب الفاخرة العجيبة التي وردت في عدد ٦ من الإصحاح التاسع من

سفر أشعياء : « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام »[1] .

وفي يوميات مرزه أحمد سهراب ما يفيد هذا المعنى ويؤكده فهو يؤكد أن اليهود أجهدوا أنفسهم حين لووا رؤوس النصوص المقدسة واستنطقوها زوراً وبهتاناً شهادة نبوة عباس أفندى (.. هذه حمامة القدس تغنى أفلا ينصتون ؟ هذا ملاك الملكوت الأبهى يناديهم أفلا يلبون ؟ وهذا رسول الميثاق يدافع أفلا يلتبهون ؟)[2] .

لم يقف اليهود عند حد إثبات نبوة عبد البهاء من نصوص الكتاب المقدس فليس هذا الإثبات سوى الوسيلة للغاية الكبرى ولا يمثل إلا الأساس للبناء الضخم ولا يعدوا أن يكون نقطة البداية لمهمة ضخمة سوف يضطلع بها هذا المتنبى الجديد .

إن مهمة عبد البهاء تغاير تمام المغايرة مهمة أبيه تماماً كما غايرت مهمة أبيه من قبل مهمة الباب ووظيفته .

والفيصل فى هذا كله بل القاعدة العامة لهذا التغير هى مفاجآت العصر وتطور المسألة الصهيونية .

تطورت المسألة الصهيونية وأصبحت الخطة محكمة حين وضعت فى دهاليز السياسة البريطانية صيغة أصبحت وشيكة التنفيذ لوعد يقوم به سياسى كبير يهودى الديانة فى الحقيقة نصرانى فى الظاهر والادعاء وهو « بلفور » .

---

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام لـ « إجناس جولد تسيهر » . ص ٢٨٠ وما بعدها .

(٢) راجع هذا النص فى قراءة فى وثائق البهائية ص ١١٢ .

وعدمت خطة هذا الوعد بل وصيغة الملائمة وبقيت هذه الخطة سرية ريثما يمهد لها فى الشرق والغرب .

ففى الشرق لابد من إسقاط الخلافة العثمانية فى تركيا ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى .

وفى الشرق أيضاً لابد من تفريق كلمة المسلمين وكسر شوكتهم ولابد أيضاً من انتزاع روح النخوة والغيرة من صدورهم باسم النصوص المقدسة وعلى لسان متنبىء تسانده نصوص الكتاب المقدس .

وفى الغرب لابد من دعاية كبرى للتبشير بعهد جديد وشغل الناس هناك بقضايا مصيرية مثل السلام العالمى ، الإخاء والمساواة ، إلغاء الفوارق بين المرأة والرجل ، التسامح والصبر وطول النفس فى مواجهة الشدائد وتحمـــل أذى الناس .

لا حرب فإن الحرب وحشية ولا غيرة فإن الغيرة تخلف ولا حرية فإن الحرية حيوانية .

لابد وأن يتحد الناس على دين واحد وما هو ؟ . !

يستطيع الناس أن يمارسوا طقوسهم الدينية كل على حسب هواه وعلى أساس ما ربى عليه .

ويصرح ابى البهائية الجديد بهذا حين سئل من أحد محبيه هل يلزمه أن يترك ديانته إلى دين جديد ويجيبه نبى عكا بأنه يمكن للشخص أن يكون بهائياً مسيحياً وبهائياً يهودياً وبهائياً مسلماً وبهائياً . . . الخ ديانة لا هوية لها ولكنها تريد أن تجمع الأديان كلها فى دين واحد هذا الدين ربما يكون هو الدين اليهودى إلا أنهم لا يصرحون بذلك .

ديانة لا تريد من أصحابها أن يشتركوا فى السياسة أو يمارسوها فالاشتراك فى السياسة مضيعة للوقت .

ديانة تطالب من الأحياء أن يخضعوا تحت قيادة أى رئيس وأن يستسلموا له من غير مقاومة .

إنها ديانة تطالب الفرد بالهدوء وتنشد للجماعة الطمأنينة والسكون .

هذه الوظيفة المزدوجة فى الشرق والغرب لابد وأن يقوم بها عبد البهاء وهى وظيفة تحتاج معها إلى حركة قوية وسريعة لعبد البهاء فى أقطار الدنيا وهى تحتاج أيضاً إلى إعلام قوى يجتذب الناس بحق أو بالتضليل فالساحة العالمية لابد وأن تجهز تجهيزاً كاملا وسنجتزىء من النصوص ما يؤكد هذه الخطة جملة وتفصيلا حريصين أن تكون هذه النصوص من كلام عبد البهاء نفسه أو من كلام المؤرخين المتحمسين للبهائية وخاصة شهود العصر منهم .

يقول جولد تسيهر « . . . وقد زاد عبد البهاء على التعاليم التى ورثها عن أبيه زيادة كبيرة وسعى تدريجياً إلى التوفيق بينها وبين صورة التفكير الغربى ومرامى الثقافة الحديثة وخفف بقدر الإمكان من وطأة الخزعبلات والخوارق التى كانت لا تزال عالقة بالمراتب الروحية السابقة[1] » .

ويقول عبد البهاء « . . . إن الدين ليس له أية علاقة بالأمور السياسية ولاهو يتدخل فيها لأن الدين يتعلق بالأرواح والوجدان لا بغيرها[2] » .

« يا أحباء الله يجب عليكم أن تخضعوا لسرير سلطنة كل سلطان وتكونوا خاضعين لسدة الملوكية لكل ملك وأن تخدموا الملوك وتكونوا مطيعين لهم وأن لا تتدخلوا فى الأمور السياسية[3] » .

---

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام لـ « جولد تسيهر » ص ٢٧٨ .

(٢) خطابات عبد البهاء ١ / ١٧٦ والترجمة عن الفارسية للأستاذ ظهير فى البهائية : ٢١٣ ط . طهران .

(٣) د . أسلمنت عبد البهاء (بهاء الله والعصر الجديد) ٢٥٤ .

وفى مجال آخر يقول : آمراً أصحابه بالتزام الصمت وعدم النقاش والجدال مهما كانت دواعى النقاش والجدال « . . . إن النزاع والجدال ممتنع فى هذا الدور المقدس وكل معتد محروم . عليكم بنهاية المحبة والصداقة مع جميع الطوائف سواء من القريب والغريب . عاملوا جميع الملل والطوائف والأديان بكمال الصداقة والمحبة والمودة . . إذا ظهر سائر الملل والطوائف لكم الجفاء فعليكم بالوفاء ، ولو يظلموكم عاملوهم بالعدل ، ولو يعادونكم توددوا إليهم ولو يذيقونكم سماً أعطوهم عسلا ، ولو يطعنونكم قولوا لهم مرحباً ! هذه صفة المخلصين وسمة الصادقين[1] » .

وفى مجال وحدة الأديان والدعوة إليها نجد عبد البهاء صريحاً واضحاً فحين يسأله سائل عن موقفه من دينه القديم أيتركه حين يدخل فى البهائية قال : « . . . ينبغى لك أن لا تنفصل عنها فاعلم أن الملكوت ليس خاصاً بجمعية مخصوصة فإنك يمكنك أن تكون بها بهائيا مسلماً وبهائيا ماسونياً وبهائياً مسيحياً وبهائياً يهودياً[2] » ! !

هذه النصوص وأشباهها تؤكد المهمة الملقاة على عاتق عبد البهاء وتشرح التعاليم التى ينبغى عليه أن يمهد بها الأرض ويعد النفوس فى الشرق والغرب لاستقبال دولة وشيكة الوقوع وقد قرب زمان تأسيسها .

أما المنهج الذى ينبغى عليه أن يتبعه فقد رسم له أيضا وبطريقة منظمة وهذا المنهج يمكن أن نلاحظ عليه ملاحظتين :

الأولى : أنه شارك أباه فى إظهار ما يمكن إظهاره للعامة كى يأخذ بألبابهم ويتمكن من جذبهم إليه واستمالتهم نحوه ، أما السر المتمثل فى الهدف الأعظم فيجب على عبد البهاء أن يطويه ولا يظهره إلا للصفوة الممتازة من رجاله كما فعل أبوه من قبل .

---

(١) عبد البهاء : ألواح وصاياه المباركة : ١٥ .

(٢) خطابات عبد البهاء : ٩٩ .

كتب عباس أفندى إلى « المرزه يوحنا » أحد دعاته ، « حضرة يوحنا »
الحكمة ضرورية والاحتياط لازم ولا ترفعوا الحجاب أمام كل أحد بل كلموا النفوس المستعدة القبول ولا يتحدثوا عن العقائد مطلقا ، بل حدثوا عن تعالم الجمال المبارك . روحى لأحبائه الفداء[1] » .

الثانية : الأخذ بمبدأ التقية .

وما كان هذا المبدأ معمولا به فى أيام أبيه إلا فى ظروف معينة أبرزها ماظهر منه فى الأيام الإثنى عشر التى قضاها فى حديقة نجيب باشا فى العراق حيث لم يتمكن من إعلانه خروجه عن البابية هناك فلما اطمأن لذاته وحماية اليهود له فى أدرنة ثم عكا أعلن ألوهيته فى غاية السفور والوضوح .

وكانت أدرنة لذلك تسمى أرض السر .

وفيما أعلم لا يوجد موقعا مشابه فى حياة حسين البهاء بحيث يضطر البهاء معه بأخذ مبدأ التقية شعاراً له .

غير أن الظروف قد تغيرت فى عهد بنى عكا وعبد البهاء عباس فبينما كان أبوه يعمل فى مجتمع مغلق له تمسك بدينه تمسكا قويا يحتاج إلى صدمة ظاهرة تصدعه وشق ما تماسك منه فإن عباس فى طوره الجديد قد أصبحت مهمته عالمية لابد من أن ينتقل فى أقطار الدنيا ولابد من أن يكون له من الأتباع والأصحاب ما يمكن استعمالهم فى مهام أشد خطراً على البهائية بزعامة رئيسهم فى العهد الجديد أن يقوموا بالدور الذى يقوم به كبار اليهود من الصهاينة فى توجيه السياسة العالمية .

والصهاينة يحتاجون الآن إلى تأثير قوى وتوجيه للسياسة العالمية فى جميع أقطار الدنيا ، وهم يملكون التوجيه بالإعلام ولكنهم يحتاجون إلى توجيه

---

(١) مكاتيب عبد البهاء ٣ / ٤٤٤ .

بالتأثير من وراء الكواليس . وهذه المهمة المذخورة لابد من جهاز سرى منظم ومدرب ، هذا الجهاز السرى يتظاهر بأنه لا علاقة له بالسياسة بل هو مأمور ألا يشتغل بها وهذا الجهاز لا علاقة له بحمل السلاح أو الحرب بل إذا أجبر على إطلاق النار على عدوه يجب عليه أن يطلقها فى الهواء إنهم يريدون جهازاً منظماً يوجه السياسة بتأثير خفى ومن أجل ذلك فإنه لابد من اصطناع مبدأ التقية ليكون ستاراً كثيفاً يحجبهم عن أعين الناس أو يحجب أعين الناس عنهم .

ومبدأ التقية هذا استلزم أن يكون كل بهائى منافق يخفى فى نفسه أمراً ويظهر أمراً آخر ويتخذ لنفسه سلوكا هو لا يريده لذاته ولا يرتضيه لنفسه .

ومبدأ النفاق هذا يزهد فيه أو يرغب عنه بهائى بدأ من بنى عطا إلى أقل رجل التنظيم البهائى .

فعبد البهاء نفسه كان منافقاً يستمرىء النفاق .

فإذا كان مع المسلمين ادعى أنه وأباه بذلوا جهدهم لتصحيح عقيدة الشيعة وإذا كان مع النصارى قال إنه على عقيدتهم وإنما يقول ما يقول للمسلمين مماثلة لهم ونفاقاً[1] .

ولتأكيد هذا النفاق نراه يصلى فى كنائسهم ويصرح لهم بأنه واحد منهم .

« نشرت الجريدة المسماة ذى كرستشين كومنوات » بأن عبد البهاء زار كنيسة المستركل المسيحى فى لندن وألقى خطابة مجيدة دامت ثمانى دقائق ثم حضرت صلاة المسيحيين أثيمت مساء الأحد ، وبعد نهاية الصلاة كتب عبد البهاء بالفارسية فى توراة الكنيسة ما ترجمته بالعربية « هذا كتاب هو كتاب الله المقدس الموحى به من السماء وهو توراة الخلاص والإنجيل الشريف وسر الملكوت ونور هار الكريم

---

(١) راجع البهائية نقد وتحليل الإحسان إلهى ظهير ص ٢١٥ ط لاهور .

الإلهي علاوة إرشاد الله [1] » .

واستمراراً في نفاقه أيضا نرى عبد البهاء حريصاً غاية الحرص إذا كان في بيئة مسلمة أن يغشى مساجد المسلمين ويصلي معهم الأوقات كلها لأول الوقت وفي الجماعة الأولى .

وقد حمله هذا النفاق للمسلمين أن يخرج على تعاليم أبيه فقد حرم أبوه الجماعة والجمعة وطالب أتباعه أن يصلوا فرادى أما عبد البهاء فلم يعد سائغاً له – ومتطلبات العصر الجديد كما ترى – أن يلتزم بمثل هذه التعاليم لقد خرج عبد البهاء إلى مساجد المسلمين واستمع إلى كبار مفكريهم في عصره وطالب أتباعه أن يخرجوا إلى الصلاة مع المسلمين مبرراً الحاجة إلى هذا الخروج قال : « ربما يقول الإنسان : إني أصلي كلما أريد وعندما أجد قلبي متوجهاً إلى الله سواء في المدينة أو في الخلوات فلماذا أذهب إلى المحل الذي يجتمع فيه الآخرون في يوم معين وفي ساعة معينة وأجتمع في الصلاة معهم ؟ فذلك القول باطل لا معنى له لأنه إذا اجتمع جمع كثير فإن قوتهم تكون عظيمة فالعسكر إذا حاربوا منفردين فلا يكون لهم قوة الجيش المتحد فإذا اتحد الجند في هذا الحرب الروحاني مجتمعين فإن إحساساتهم الروحانية المجتمعة تساعد بعضهم البعض وتكون دعواتهم مقبولة [2] » .

تأمل هذا الذي قاله عبد البهاء ثم تأمل معه ما صرح به أبوه من قبل تجد عجباً من العجب لا يخلصك منه إلا أن تقول بأن العصر الجديد يحتاج إلى أسلوب النفاق أكثر من يحتاج إلى الإبانة والوضوح وهذا ما قاله أبوه من قبل « . . كتب عليكم الصلاة فرادى قد رفع حكم الجماعة إلا في صلاة الميت إنه لهو الآمر

---

(١) جريدة ذى كرستشين كومنولث الصادرة في ١٣ سبتمبر ١٩١١ م نقلا عن كتاب عبد البهاء والبهائية ص ٣١ وما بعدها وانظر البهائية نقد وتحليل الأستاذ إحسان إلهي ظهير ص ٢١٥ .

(٢) بهاء الله والعصر الجديد : ٩٨ الطبعة العربية بالقاهرة .

الحكيم » و « إن صلاة الجماعة حرام إلا في صلاة الميت[١] » .

وظل عباس أفندى على نفاقه للمسلمين إلى آخر لحظة فى حياته .

أكد ذلك أسلمت الداعية البهائى حيث قال : « استمرت أعمال عبد البهاء العديدة على حالها ولم تنقص إلا قليلا رغم ما بدا عليه من الضعف الجسمانى المتواصل لغاية آخر يوم أو يومين فى حياته ففى يوم الجمعة ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢١م شهد صلاة الجمعة فى مسجد حيفا وبعد ذلك وزع الصدقات بيده على الفقراء كعادته »[٢] .

وهذا النفاق الظاهر والخداع المشفوع بالأدلة عليه ينقلب عداله مكشوفة حين يختلف عباس إلى دور العبادة اليهودية .

فهو حين يكون مع المسلمين يكون منافقاً وحين يكون مع المسيحيين يكون منافقاً أما حين يكون مع اليهود فإنه يكون عميلا خادماً يسوق إلى أسياده آيات المدح والإطراء ويأخذ من سادته تفاصيل ما يجب عليه أن يقوم به خدمة لهم وعمالة لقد دعاه الحاخام ميارفى فى المجمع اليهودى فى سان فرانسيسكو سنة ١٩١٢ وقدمه إلى الحاضرين بقوله : إخوانى أفراد هـذا المجمع من حسن حظنا وهو لا شك حظ سعيد أن نرحب هـذا الصباح بعبد البهاء المعلم المعظم فى عصرنا هـذا ، ثم قام بعده عبد البهاء عباس وخطب فيهم خطاباً يمجـد فيه اليهود وعظمهم »[٣] .

---

(١) نقلا عن الفارسية بترجمة الأستاذ ظهور فى البهائية .

(٢) بهاء الله والعصر الجديد ص ٧١ وانظر إحسان إلهى ظهير فى البهائية نقد وتحليل ص ٢١٤ .

(٣) جريدة المهاجر الصادرة ٤ ديسمبر سنة ١٩١٢ م الصادرة من نيويورك .

ولما رجع من سفره من أمريكا قال : فى أمريكا دخلت صوامع اليهود التى هى كالكنائس المسيحية ورأيتهم يعبدون الله »[1] .

— عبد البهاء لإسقاط الخلافة العثمانية : —

ومهما كان الحديث عن المنهج والخطة الموضوعة التى ينبغى على عبد البهاء أن يلتزم بهما فى دورهما الجديد فإن الكلام سيظل نظرياً لو لم نجد من شواهد التاريخ ما يفيد أن عبد البهاء قد مارس دوره بالفعل .

قبيل الحرب العالمية الأولى استقر عبد البهاء فى عكا ليقوم بدور يجب أن يضطلع به ويمارسه بالفعل على أرض الواقع .

إن صناع القرار فى بريطانيا الآن قد نسجوا خيوط وعد بلفور وظل مخبأ فى أدراج السياسة الخاصة ريثما تتاح الفرصة له واقتنعت بريطانيا بأن الوقت قد حان لإسقاط الرجل المريض والفوز بأكبر قدر ممكن من تركته .

ومن الركائز المهمة التى ينبغى الاعتماد عليها يهود الدونم والصهيونية العالمية وعباس أفندى بجهازه المتشح بوشاح الدين العالمى .

وقد بدأت اللعبة بعرض سخيف على السلطان عبد الحميد فيه إستغلال لوضع اقتصادى منهار ، عرض الصهاينة على السلطان عبد الحميد ٥٠ مليون جنيه إسترلينى قرضاً مريحاً لتركيا و ٥ ملايين جنيه يتقاضاها عبد الحميد بصفة شخصية نظير أن يمكن اليهود فى أرض فلسطين حتى يقيموا عليها دولتهم دولة إسرائيل فى أرض الميعاد ، ولقد عقب السلطان رحمه الله على هذا العرض المغرى بقوله : إن فلسطين ليست أرضاً مملوكة له ملكا شخصياً حتى يبيعها لليهود .

---

(١) مجلة « نجمة الغرب » البهائية ص ٣٧ عدد ٣ ج ٩ نقلا عن بهاء الله والعصر الجديد ص ١٢٤ — إحسان إلهى ظهير البهائية نقد وتحليل ص ٣١٦ .

وبدأت خيوط المؤامرة السرية على إثر هذا تغزل وتنسج فى الظلام .

أقام عباس أفندى وترك أسفاره ليباشر نشاطه ضد الدولة العثمانية فى أرض الميعاد ونحى الخليفة عن كرسى الحكم وكان الذى حمل له عريضة الاستقالة هو « هرتزل » الصهيونى الكبير المعروف ولم يجد الخليفة يومها ما يعقب به وهو يوقع عريضة الاستقالة سوى قوله : ألم يكن هناك رجل غيرك يحمل خطاب الاستقالة إلى ؟

فى هذا الوقت وقبله بقليل كان لهيب مؤامرة عباس أفندى قد ارتفع فأدركه الكثيرون حتى أهله وأقرباؤه واتهموه بالعمالة والخيانة لحساب جهة أجنبية فحكمت عليه الدولة العلية بالسجن فى عكا إلا أن يد هذه الدولة العثمانية ليست مبسوطة على ممتلكاتها كل البسط فعاش عباس أفندى فى عكا داخل سجنه فى غاية التكريم والإعزاز وتحول السجن بالنسبة إليه واحة فيحاء وكعبة تستقبل العملاء الأوفياء .

كتب أسلنت يقول : « كان عبد البهاء قد أقام بناء على سفح جبل الكرمل فى أعلى حيفا . . . وقد أوعزوا للحكومة بأن عبد البهاء يقصد من إقامة هذا البناء عمل قلعة ليتخفى فيها وأتباعه ويهاجمون الحكومة ويستولون على جهات سوريا المجاورة »[1] .

وفى دائرة المعارف الأردية ما ترجمته « وقد اتهمه أخوه محمد أفندى والبهائيون الآخرون الذين كانوا يسكنون فى عكا وحيفا بأنه كان يقوم بحركات وأعمال لإسقاط الدولة الإسلامية العثمانية لصالح الصهاينة والصليبيين ، وقد علمت الحكومة التركية بذلك ففرضت عليه الإقامة الجبرية »[2] .

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد ص ٦١ .

(٢) الدراسات فى الديانة البابية ص ٩٥ وما بعدها والنقل والترجمة لإحسان إلهى ظهير ص ٣١٩ من كتاب البهائية نقد وتحليل .

ويضيف إسلمنت « وبناء على ما تقدم من التهم وعلى تهم أخرى لا نصيب لها من الصحة ـ كذا ـ سنة ١٩٠١ حبس عبد البهاء وأسرته مرة أخرى داخل حدود حوائط عكا »[1] .

ويعلق الأستاذ إحسان إلهى ظهير بكلامه وكلام غيره قائلا : « وكان محبوساً اسماً أما حقيقته فكان حرا مطلقاً بفضل اليهود ومساعدتهم ومساندة بقية عملاء الاستعمار العاملين فى أنحاء فلسطين آنذاك وقد كتب أحد البهائيين عن تلك المدة : كان يحضر لزيارة عبد البهاء والاستفادة من تعاليمه وصحبته الجم الغفير من الرجال والنساء وهم يجلسون على مائدته كأضياف مكرمين يسألونه عن كل ما يخالج ضمائرهم من أمور روحية أو اجتماعية أو أدبية وبعد أن يمكثوا عنده مدة تتراوح بين بضعة أشهر وبضعة ساعات يرجعون إلى موطنهم وهم متجددون ومستنيرون ملهمون بما لم تر عين الإبداع شبيهه . . . »[2] .

وكلما تقدم التاريخ رويداً بالعدد التنازلى إلى ساعة الصفر لقيام الحرب العظمى الأولى كان عباس أفندى وخلفيته يكشفون نشاطهم وكان اليهود والصليبيون الإنجليز يعملون جادين على إضعاف الرجل المريض أكثر فأكثر ويحاولون أن يشعر عباس بذلك الضعف حتى يمارس عمله ويقوم بمهامه من غير تردد واثقاً من حماية اليهود والإنجليز له ورعايتهم لشأنه والحيلولة بينه وبين أى مكروه يناله من قبل الدولة العثمانية .

وقد علمت الحكومة العثمانية فى سنة ١٩٠٤ ، ٧ ١٩ بخياناته وشكلت لجاناً للتحقيق فى أمره وأمر الطائفة التى تتبعه ولكنه وهو يعلم ذلك ما كان يكترث به ولا يصغى له أذنا وإنما كان يمارس نشاطه العادى واثقا من مظلة الحماية التى تحميه والأيدى الخفية التى تدفع عنه .

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد ص ٦١ .

(٢) البهائية نقد وتحليل لإحسان إلهى ظهير ص ٢١٩ .

كنت أسلمت : « وبينما كانت اللجنة تجمع الأدلة ضده كان يزاول أعماله اليومية وأشغاله العادية بكل اطمئنان وبدون اكتراث ويشتغل فى زرع الأشجار المثمرة فى الحديقة وبرأس حقل زواج بالعزة والحرية[1] » .

والثقة المطلقة فى اليهود والإنجليز لم يكن ليكترث بعروض تعرض عليه كى يخرج من فلسطين .

وهذا نص له دلالة مزدوجة فتأمله بعناية .

اعترف البهائيون أنفسهم « بأن القنصل الإيطالى اتصل به آنذاك وقدم له تسهيلات لفراره من عكا ومنحه الجنسية الإيطالية إن رغب فيها[2] .

« ولكنه آثر البقاء فى فلسطين لأداء الخدمات للاستعمار حتى قامت الثورة ووقع الانقلاب وأطاحت الدولة بالحكومة التركية وأطلق سراح ذلك الخائن العميل عبد الاستعمار وربيب اليهود والصهاينة[3] » .

تقترب الحرب العالمية والمؤامرة خلف الأسوار : —

ولم يستطع عبد البهاء عباس على أية حال أن يغادر عكا إلى خارجها طوال سبع سنوات هى السابقة استقالة عبد الحميد الثانى سنة ١٩٠٨ .

وحين أوشكت الحرب العالمية على الإندلاع وأقيل عبد الحميد الثانى نشطت الحركة الصهيونية نشاطاً بالغاً فى جميع المجالات تغير كبار الساسة وزعماؤها فى بريطانيا وغيرها من الدول التى ستخوض الحرب المستقبلة ووضعت الخطة المحكمة

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد ص ٦٥ .

(٢) دائرة المعارف الأردية ص ٩٤ جـ ٥ والترجمة والنقل لظهير .

(٣) بدائع الآثار ، للخاورى البهائى ، ودائرة المعارف الأردية ص ٩٤ جـ ٥ انظر ظهير البهائية نقد وتحليل ص ٣٢ وما بعدها .

التي على أساسها ستقسم تركات الرجل المريض عند إسقاطه والإجهاز عليه وتقرر أن يتولى أمر توزيع هذه الأرض وتلك الممتلكات أناس لهم ميول وتعاطف مع الصهاينة من أمثال سايكس وبيكو وتقرر أن يقوم وزير خارجية بريطانيا بإعلان عن وعد تلتزم به الحكومة البريطانية تعمل بمقتضاه الصهيونية السياسية على أرض الميعاد في فلسطين بطريقة متحمسة حتى ولو أهملت أبسط قواعد الأخلاق وأدنى شيم الإنسانية[1] .

وفي نفس الوقت بدأ عباس أفندي يخرج من عزلته في فلسطين بعد استقالة السلطان عبد الحميد فانتقل إلى إنجلترا وتجول فيها وجلس إلى كبار المسيحيين في كنائسهم وأعلن بينهم ما أعلن من تعاليم دينه الجديد وأنه يؤمن بما يؤمن به النصارى ثم تجول بعد ذلك في بعض مستعمرات بريطانيا وهناك في الهند تحدث عن شيء غريب لقد طلب من أصحابه وأتباعه وأحبائه أنه عندما تقوم دولة إسرائيل في فلسطين عليهم أن يضعوا خطة عشرية يتم خلالها فتح محافل بهائية ومراكز لكل محفل في هذه الدولة الجديدة .

إستضاف الإستعمار البريطاني عبد البهاء في أكبر مستعمرة له في الشرق وهي الهند [وأعلن في إحدى خطبه (أنه هو البهرام الذي وعد بمجيئه الزرادشتيين[2]) وعقد في نيودلهي المؤتمر الرابع للدعاية وفيه أعلن خطة السنوات العشر البهائية بعد قيام مملكة بني إسرائيل وما قامت إلا بعد موته — سنة ١٩٢١ — بأكثر من ربع قرن ! ! قال : إننا ندعو المجتمع البهائي بجميع طبقاته

---

(١) خصص وليم غاي كار وهو من شهور الوقت فصلا كاملا للحديث عن هذه المؤتمرات مقدمات ونتائج لافتا النظر إلى أثر اليهود في تحريك السياسة بالمال والإعلام والضغط . راجع أحجار على رقعة الشطرنج وليم غاي كار ترجمة سعيد جزائرلي مراجعة وتحرير م . بدوي ط . دار النفائس ببيروت الفصل التاسع ص ١٨٣ وما بعدها .

(٢) براون : دراسات : ٧٧ .

أن يبادروا فى العشر سنوات - كذا - من قيام دولة إسرائيل إلى تأسيس فروع المحافل الروحية البهائية الإيرانية والعراقية والأمريكية والإسترالية فى إسرائيل »[1]] .

ولم تقتصر تنقلات عبد البهاء على الهند وبلدانها ولكنه تنقل أيضاً فى مصر وأمريكا وغيرهما ثم عاد مرة أخرى إلى بريطانيا ومنها عاد إلى فلسطين سنة ١٩١٣ م بعد أن استجب معه الخطة الكاملة التى ينبغى عليه أن ينفذها حيث الحرب العالمية لم يبق على اشتعالها إلا وقت قصير .

عاد عباس أفندى إلى قلعته بعكا وتدفق عليه طلاب الحكمة من كل حدب وصوب وكان يندس بينهم زعماء الصهاينة حيث يخططون ويتآمرون داخل وكر الشيطان وهم يتظاهرون بأنهم بهائيون إجتمعوا على نبيهم فى عكا .

ولكى لا تظهر هذه المؤامرة أو يفتضح أمرها زاد عباس أفندى من حجم نفاقه فتظاهر بإخلاصه الشديد للدولة العثمانية ووده الذى لا ينقطع للمسلمين فكنت تراه يكثر من دعائه للدولة العلية كما كان يفعل أبوه من قبل .

« إلهى إلهى أسألك بتأييداتك الغيبية وتوفيقاتك الصمدانية وفيوضاتك الرحمانية أن تؤيد الدولة العلية العثمانية والخلافة المحمدية على التمكن فى الأرض والاستقرار على العرش »[2] .

وفى هذا الوقت كغيره من الأوقات كان عباس أفندى يحرص غاية الحرص على غشيان مجالس المسلمين وحضور إجتماعاتهم فى المساجد بطريقة تكاد

---

(١) نشره شوقى أفندى فى مجلة الأخبار الأمرية لسان حال البهائية . العدد الرابع سنة ١٩٥٣ .

(٢) مكاتيب عبد البهاء ٢/٢١٥ .

تخيل على أكبر المفكرين المسلمين لفرط دقتها ولخبث النفاق الذى يغلفها[1] .

وقبيل إندلاع الحرب وجه عباس أفندى إلى إعلان بيان للبهائيين فى العالم والمتعاطفين معهم من كبار الساسة والزعماء فى الدول الخارجية أن يتعاطفوا معه ومع هذه الأرض التى يسكنها ومع القادمين إليها من الذين يخططون لقيام دولة إسرائيل وكان الإعلان يطفح بالمعانى الروحية التى تخاطب الباطن وتجتذب الأرواح من وجهة نظره . « هـذه حمامة القدس تغنى أفلا ينصتون ؟ هـذا ملاك الملكوت الأبهى يناديهم أفلا يلبون ؟ وهـــذا رسول الميثاق يدافع أفلا ينتبهون ؟ »[2] .

واندلعت شرارة الحرب الأولى بعد مقام عباس فى عكا بأشهر قلائل واصطلى العالم بنيرانها المحرقة سنوات طويلة وفى أثناء الحرب كان عباس يمارس دوره بغاية الجد والنشاط ويستر هذا الدور بأقصى ما يملك من حيل المراوغة والنفاق فكان يقوم بنفسه متظاهراً بالحرص على مصلحة سكان البلاد الأصليين فيقدم لهم الأقوات والأموال .

كتب أسلمنت يحكى عن أيام صاحبه عبد البهاء حين كانت الحرب مشتعلة « وعندما نشبت الحرب أصبح عبد البهاء فى الواقع سجين الحكومة التركية وأثناء الحرب كان مشغولا بتدبير الشئون المادية بما أمكن معه تفادى المجاعة لمئات المساكين الأغيار — يعنى غير البهائيين — فضلا عن البهائيين فى حيفا وعكا وكان يمدهم بما يكفيهم من المئونة ويحافظ على الجميع ويواسى آلامهم على قدر المستطاع ويحسن على مئات من المساكين بمبلغ مناسب من النقود ويعطيهم أيضاً خبزاً وإن لم يوجد الخبز كان يمدهم بالتمر أو مثله وكان كثيراً ما يقوم بزيارة

---

(١) راجع تاريخ الإمام محمد عبده للسيد رشيد رضا .

(٢) بلفظه فى الحجج البهية ١٣ — ١٤ ط أولى . القاهرة .

الأحياء فى عكا للمساعدة ومواساة المساكين هناك من الأتباع وغيرهم وفى زمن الحرب كانت عنده إجتماعات للأحباء يومياً وكانوا مسرورين مطمئنين هادئ البال أثناء تلك السنين المملوءة بالمتاعب »[1] .

وفى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ أذاعت وكالات الأنباء العالمية نص وعد بلفور — والذى تلتزم به بريطانيا بإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين — والذى أبرق به إلى اللورد روتشيلد ترجمتها : « إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم أن لن يسمح بأى إجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها المجتمعات غير اليهودية أو بالمركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى »[2]

وبينما كان لهذا الإعلان رد فعل على الشعوب العربية كالصواعق فإننا نرى عباس أفندى يتجاوب مع هذا الإعلان تجاوب المسرور الذى انتابته النشوة وشملته من جميع أقطاره ولقد عبر عن هذه النشوة والفرحة بعبارات واضحة لا مواربة فيها قال : « وردت البشائر فى الكتب المقدسة أن اليهود سيجتمعون فى الأرض المقدسة وتتمجد الأمة اليهودية التى تفرقت فى الشرق والغرب والجنوب والشمال وتتمركز هاهنا ولم تتحقق هذه البشائر إلا فى عصر الجمال المبارك — البهاء المازندرانى — وانظر من الآن أن طوائف اليهود تأتى من أطراف الأرض وبقاع العالم المختلفة إلى هذه الأرض المقدسة ويتملكون الأراضى والقرى ويسكنون فيها ويزدادون تدريجياً إلى أن تصير فلسطين كلها وطناً لهم »[3] .

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد : ٧٠ .

(٢) وليم كار . أحجار على رقعة الشطرنج ص ١٨٢ — ١٨٥ من الترجمة العربية للسيد / سعيد جزائرلى .

(٣) مفاوضات عبد البهاء : ٦٨ .

وكان عليه بعد هـذه النشوة أن يتوجه بالدعاء والابتهالات الصريحة التي لا نفاق فيها اليوم إلى الدولة الإنجليزية التي تعمل جاهدة الآن على توفير الأرض أرض الميعاد لأحبائه اليهود الصهاينة (اللهم أيد الإمبراطور الأعظم جورج الخامس عاهل إنكلترا بتوفيقاتك الرحمانية وأدم ظلها الظليل على هذا الإقليم الجليل بعونك وصونك وحمايتك إنك أنت المقتدر المتعالي العزيز الكريم »[1] .

ولم يكن من الممكن بعد ذلك أن يظل أمره خافياً عن جماعة المسلمين ولا عن الخلافة العثمانية وممثلها في أرض فلسطين .

افتضح أمر هـــذا المتنبيء في حيفا وأصبح واضحاً العيان مهمته في تلك البلاد .

وفي الوقت الحرج للدولة العثمانية في أرض فلسطين قرر القائد العثماني « جمال باشا » أن يرسل إلى الآستانة ويستصدر منها أمراً بقتل نبي عكا وصلبه وتحركت اليهود حركة سريعة لدى الساسة الإنجليز تؤكد رغبتها الملحة في ضرورة الحفاظ على الذات المباركة .

فتحركت إنجلترا على جميع مستوياتها لتلبية هذه الرغبة .

ولنترك حفيد عبد البهاء يسجل هذا الموقف بنفسه حيث إن عبارته في هذا المجال لا تحتاج إلى تعليق لفرط ظهورها ووضوحها .

« من المناسب أن ندرج هاهنا الجهود التي بذلت عند محاصرة مدينة حيفا الحفاظ على حياة حضرة عبد البهاء : فعندما ظهرت بوادر الخطر أرسل اللورد كرزون على جناح السرعة تقريراً إلى وزارة الخارجية البريطانية يلفتها إلى أهمية حفظ حياة حضرة عبد البهاء ويوم وصول التقرير أوعز « اللورد بلفور » وزير الخارجيـة إلى الجنرال ـ اللنبي ـ بوضع كل إمكانياته لحفظ وصيانة حضرة

(١) مكاتيب عبد البهاء : ٣٤٨/٣ .

عبد البهاء ورفاقه فأبرق الجنرال بعد فتح حيفا إلى لندن ، يطلب إعلان بشرى سلامة الذات المباركة على العالم وانبه الحاكم العسكرى لحيفا أن يتخذ التدابير اللازمة لحفظ الذات المباركة لأن التقارير الواردة كانت تشير إلى أن السلطات العثمانية قررت عند الإنسحاب من حيفا أن تصلب حضرة عبد البهاء وعائلته فى جبل الكرمل وكانت هذه هى الخطة المرسومة من قبل جمال باشا[١] .

النصر ومظاهر الاحتفالات :

فى نوفمبر سنة ١٩١٨ أعلنت الهدنة وتوقفت الحرب وكان ماكان مما هو معروف من المعاهدات والاتفاقات التى وضعت فلسطين بمقتضاها تحت الإنتداب البريطانى .

وأصبح من المناسب بعد إعلان حالة الهدنة أن تكون هنا إحتفالات مناسبة تأخذ صوراً وأشكالا مختلفة بحيث يظهر عبد البهاء فى صورته اللائقة بأعماله .

كتب شوقى أفندى سبط عبد البهاء وخليفته : « وعلى أثر الاحتلال البريطانى للأراضى المقدسة تمكنا من التخلص من المخاطر الجسيمة التى كنا نتعرض لها خلال خمس وستين سنة من الحياة المنورة للشرع البهائى القدير وانجلى بدر الميثاق الذى كان مخسوفاً بالمحن والبلاء وتجلى أمر الله من جديد لقد صممت الحكومة البريطانية بعد انطفاء نيران الحرب على أن تكافىء حضرة عبد البهاء على الخدمات التى أداها لهم فمنحته لقب فارس[٢] مع وسام خاص قدم لحضرته فى حفل مشهود

---

(١) شوقى أفندى . قرن بديع : ٣ / ٣٩٦ .

(٢) يعبر هذا اللقب - فارس - عن مرحلة من المراحل الماسونية من الدرجة الأولى التى خصصت للعميان من بنى البشر وهى نيف وثلاثين درجة فهل بين هذا اللقب الممنوح لنبى عكا وهذه الدرجة الماسونية من صلة ؟ . ! فتدبر .

بمقر الحاكم الإنجليزى لحيفا حضرته شخصيات فذة من مختلف الشعوب والأمم ومن بينهم الجنرال اللنبى قائد قوات الإحتلال والسير هربرت صاموئيل - المندوب السامى اليهودى - وبيتر رونالد حاكم القدس الشريف . كما أعفيت من الرسوم الحكومية كل الممتلكات التابعة للمقام الأطهر ، بناء على الأوامر الصادرة من مركز الحكومة بلندن إلى المندوب السامى الدولة البريطانية البهية[١] .

ويكتب أسلنمنت عن لحظات الإحتفال بالنصر والابتهاج بسقوط فلسطين فى أيدى اليهود والصليبيين (وكان الإبتهاج فى حيفا عظيما عند ما استولت الجنود البريطانية والهندية عليها بعد قتال دام ٢٤ ساعة فى ٢٣ / ٩ / ١٩١٨ بعد الظهر وبذلك انتهت أهوال الحرب التى استمرت طول حكم الأتراك ومنذ الإحتلال البريطانى طلب عدد عظيم من العسكر والموظفين من كل الطبقات حتى العليا مقابلة عبد البهاء وكانوا يبتهجون بمحادثاته النوراء وسعة اطلاعه وتعمق باطنة وكرم ضيافته ونبالة ترحيبه[٢] .

والمتأمل فى هذه الوقائع التى احتوتها هذه النصوص لم يكن فى احتياج إلى أدلة بعد ذلك لإدانة عبد البهاء وطائفته .

— سقوط فلسطين ونبوة عبد البهاء :

والشىء الأغرب والأعجب أن اليهود قد أوعزوا إلى البهائيين بأن سقوط فلسطين تحت الإنتداب البريطانى وتدفق الصهاينة إليها لدليل قاطع على ألوهية المازندرانى حسين على ونبوة « غصن أعظم » عباس أفندى .

ويبين حاخامات اليهود أن هذه هى بشائر العهد القديم .

فقد بشر العهد القديم كما يرون بتجمع اليهود فى أرض الميعاد بعد تشتتهم وأن هذا التجمع لن يكون إلا فى عهد الظهور الأبهى وغصنه الأعظم .

---

(١) شوقى أفندى : قرن بديع ٣ / ٢٩٩ .

(٢) بهاء الله والعصر الجديد : ٧٠

ويرى حاخام اليهود أنه قد أخطأ من فسر الظهور بظهور عيسى - عليه السلام - ومحمد صلى الله عليه وسلم ذلك أن اليهود يرون أن ما فى العهد القديم من مبشرات بالخاص الذى يجتمع اليهود بعده لم تتحقق فى عهد عيسى ولا محمد ﷺ بل الذى تحقق هو العكس حيث اشتت اليهود وتفرقوا فى الأرض بعد ذلك واجتماعهم إنما سيتحقق فى عهد الجمال المبارك وفرعه الأعظم فيكونا لذلك هما ما بشرت بهما الكتب المقدسة .

ولقد أجهد « أبو الفضائل الجرفادقانى » المؤرخ البهائى نفسه فى شرح هذه الفكرة متجاهلا حقائق التاريخ قال : « . . . فإن اليهود الذين كانوا يقرءون الكتاب كل يوم بكل دقة وأرجعوا كل أمورهم إليه وعلقوا كل آمالهم عليه عرفوا معنى البشارات وعلموا مغزاها فرأوا رأى العين أن بشارات الكتب المقدسة ، وخصوصاً المنبئة عن عواقب هذه الأمة لا توافق ولا تنطبق على ظهور سيدنا عيسى له المجد ، مهما بالغ المفسرون من النصارى فى تطبيقها وحاولوا بالمحاولة المعهودة توفيقها ، فإن بشارات تلك الكتب المقدسة أعرق اليهود دون حفظها دماءهم وبذلوا لصونها أموالهم بل ذريتهم وأبناءهم وعلقوا بها وحدها أملهم ورجاءهم تنادى بأفصح نداء بأن بنى إسرائيل بعد ما تزول سلطتهم من الأراضى المقدسة ويتشتتون فى جميع البلدان ويتفرقون فى جميع الممالك ويضربون بكل المصائب ويصيرون ملعونين مرذولين بين جميع الشعوب وبعد ما تطئ الأراضى المقدسة الأمم الأجنبية وتدوسها القبائل الوحشية وتنهدم مدنها وديارها وتنحط زينتها وعمارها ، يظهر الرب القدير ويطلع من المشرق جماله المشرق المنير وينزل فى الأرض المقدسة ويرتفع نداؤه من الجبل المقدس فيجمع شتيت بنى إسرائيل من المشرق والمغرب والشمال والجنوب ويجلبهم من بين جميع الشعوب فيخرجون من الظلمة إلى النور ويتبدل حزنهم بالسرور وكفرهم بالإيمان وعنادهم بالإذعان وذلتهم بالعزة وضعفهم بالقوة فيصيرون مبروكين بعد ما كانوا ملعونين وغالبين بعد ما كانوا مغلوبين ، ويرجع عز الأراضى المقدسة وتتبرك بترابها الملل المتباعدة ويغير اسمها الرب الموعود ويبنى هيكلها القصى المبارك المحمود ،

فتسمى أرضاً مقصودة بعد ما كانت مطرودة وتصير مطلوبة بعد أن كانت مهجورة ، فترجع عزة الأرض المقدسة رجوعاً لا يزول ، ويغرس الشعب فيها غرساً لا يتضعضع ولا يحول ، وتقع الحوادث المنصوصة التي ذكرناها ، في أجل مسمى ومدة معلومة في الكتاب كما يعرفه أولوا الألباب ، ولا تغيره أوهام المنتحلين ولا تبطله محاولة المحرفين ولا تزعزع أساسه المتين تشكيكات المشككين وتمويهات المبطلين . وكل تلك القضايا الثابتة إنعكست في ظهور سيدنا عيسى عليه السلام وكذلك في ظهور نبي الإسلام - عليه السلام - فإن بني إسرائيل كانوا مجتمعين ومعززين في الأراضي المقدسة ، فتشتتوا بعد ظهور المسيح ، له المجد ، بغلبة « طيطوس الروماني » على سوريا ، حينما هدم معبد أورشليم وقتل من اليهود على ما نقله المؤرخون أكثر من ألف ألف نسمة ، وباع البقية في البلاد بيع الأنعام ، وزادهم ذلة وشقاء وتشتيتاً وبلاء ، فتح « عمر » خليفة الإسلام » مدينة إيليا ، القدس الشريف ، وعاهد الأسقف زاوينوس على أن لا يسكن يهودي فلسطين فأبطلت بهذا الحكم حرقتهم الدائمة ، ووقعت الأراضي المقدسة تحت يد الأجانب ، فصارت ميدان القتال ومعترك الحرب والنزال بين العرب والروم ، والترك والصليبيين والمماليك ، فانهدمت بلدانها وزلزل عمرانها وأقفرت ربوعها وتفرقت جموعها وكانت طول هذه الأجيال مهب عواصف الفتن وملتقى زوابع المحن . إلى هذا القرن الأخير : قرن طلوع نور الأنوار وميعاد كشف الأستار وبزوغ شمس العلم في رابعة النهار حيث وكدت نوعاً ما تلك الحوادث المهلكة والزوابع المدمرة ، فأخذت الأرض المقدسة حالة السكون والقرار وتقدمت في العمار - بالإستيطان اليهودي في حماية الإنتداب - إلى أن يقع فيها ما أخبر به حفظة الوحي في سابق القرون والأعصار ، فكانت الأرض المقدسة عامرة فهدمت بعد ظهور المسيح له المجد ، ثم كانت أمة اليهود ساكنة فيها فتشتتت بعد ظهوره عليه السلام فلم يتم شيء من البشارات التي أشرنا إليها في ظهوره وقيامه - صلى الله عليه وسلم - حتى يكون مصداقاً لتلك البشارات ومقصوداً من

تلك الآيات »[1] .

يا سبحان الله . . . ! ما الذى كان يمكن أن يفعله يهودى متعصب أو ماسونى أكل الحقد قلبه أو صهيونى راغب فى الإرتحال عن وطنه الأصلى إلى وطن آخر مغتصب تحت أى شعار كان ، ما الذى كان يمكن أن يفعله واحد من هؤلاء أو يقوله لو أعطى القلم أو أعطى فرصة الحديث فى مثل هذا الموضوع ؟ .

لم يكن ليفعل أكثر من هذا .

وما هو الأكثر الذى يمكن أن يفعله بعد الاعتماد على كتاب من صنع البشر والادعاء بأنه هو المنزل[2] . واتخاذ فقرات منه بعد تعديلها وإدخال الأهواء عليها .

وما الذى يمكن أن يعتمد عليه أحد هؤلاء حين يريد أن يقول جديداً بعد تزييف التاريخ فى الادعاء بأن أرض فلسطين كانت أرضاً خراباً ثم عمرت أو كانت أرض الفتن والاضطرابات ثم سكنت وهدأت أو .. أو .. الخ .

كتبت ا . د . عائشة عبد الرحمن تعليقاً على هذا النص : ولا أتعلق هنا بجدل مع كاتب هذا المنشور اليهودى الخبيث ، يغنينى عنه ما هو بين من زيغ تهافته وخلل تناقضه وتساقطه . طوى كل ما قبل المسيح عليه السلام من جولات المعركة الإنسانية مع أعداء البشر ولم يشر إلى أى سبب لكونهم « ملعونين حيثما ثقفوا » مطرودين من كل بلد منبوذين من كل ناس .

---

(١) أبو الفضائل الجرفادقانى : (الحجج الباهرة) ص١١٢ — ١١٤ . ط السعادة بالقاهرة .

(٢) أثبت الكتاب والباحثون بالإضافة إلى الكتاب السماوى المنزل (القرآن الكريم) أن التوراة فيها ما هو من وضع البشر ـ راجع آيات القرآن الكريم الخاصة بهذا الموضوع وانظر ـ الفصل لابن حزم رسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينوزا . الطبعة العربية والمقدمة الملحقة .

— وهن ذوى عكا والخطة اليهودية :

توالت السنون على عبد البهاء وعلت الشيخوخة والضعف عملها ووعد بلفور ما زال فى مقدمات تحقيقه والموت لن يرحم عبد البهاء ولن يبقيه حسبما يريد اليهود أن يبقى والتاج الوحيد أمام اليهود فى مثل هذه الظروف أن يكيفوا خططهم طبقاً لهذا الظروف الجديد الخارج عن إرادتهم .

واستفاد اليهود من خططهم السابقة التى وضعوها عند ما أدركوا أن حسين البهاء لم يعد صالحاً للعمل وأن موته سيكون وشيكاً ، استفادوا من خططهم هناك وهم يخططون هنا وأيام عبد البهاء الأخيرة قد أصبحت أمامهم ظاهرة بحيث لا يحتمل وفاته تأجيلا ما .

وكانت الخطة اليهودية أن يقوم عبد البهاء بأعمال من شأنها أن تموه على الناس وأن توحى إليهم بأن هؤلاء البهائيين مايزالون أشرافاً فى مجتمعهم وأبرياء لا يجوز الشك فيهم فأجبروه أن يحرص برغم ضعفه على غشيان مساجد المسلمين وظل يخالطهم ويحضر جماعتهم برغم الوهن والضعف إلى آخر حياته على نحو ما ذكرناه من قبل .

هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فإن على اليهود أن يجبروا عبد البهاء قبل أن يواروا جثمانه التراب ويضعون هو وآنامة بين يدى الله عز وجل أن يعلن على قومه وعشيرته وأتباعه ومريديه أن يحرصوا من بعده على إكمال أعماله فى خدمة دولة اليهود التى خطط لها بكل الجد وبغاية للنشاط .

وهذا واحد من إعلاناته المتكررة التى صدرت عنه قبيل وفاته قال : « سيأتى يوم لا أكون فيه معكم ، فإن أيامى أصبحت معدودة ولا يوجد عندى فرح إلا فى ذلك الأمر ، فكم أحب أن أرى الأحباء متحدين كأنهم عقد لؤلؤ مضىء أو نجوم الثريا أو أشعة الشمس الواحدة أو غزلان مرعى واحد ..

هـذه حمامة القدس تغنى أفلا ينصتون ؟ هـذا ملاك الملكوت الأبهى يناديهم أفلا يلبون ؟ وهذا رسول الميثاق يدافع أفلا ينتبهون ؟ إنى منتظر لاسمع ، ألا يسمعون لتمنياتى ويتممون آمالى ويلبون دعائى ؟ هأنذا منتظر بفراغ صبر »[1] .

— هلاك عبد البهاء ومراسيم تشييع الجنازة وتقديم العزاء دليل إدانة : —

نقرر هنا ونحن فى مجال البحث عن الأسباب التى تؤكد الدعوى التى ادعيناها من أن البهائية عمالة لليهود أن هلاك عبد البهاء والاحتفاء به فى مراسيم وداعه الاخير وتقديم العزاء لأسرته والأسلوب المتبع فى هذا العزاء كل هذا دليل إدانة ينضم لمشرات الأدلة التى ذكرناها سلفاً ليكون دليلا دامغاً يشير بصدق إلى الغاية الحقيقية التى يهدف إليها كل بهائى .

فى الثامن والعشرين من نوفمبر سنة ١٩١١ م - شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٠ هجرية - مات عبد البهاء ، فأبرقت حكومة حضرة الأعلى للسلطان المعظم الإمبراطور الأعظم - جورج الخامس - عن طريق وزير المستعمرات مستر تشرشل إلى حاكم فلسطين السير هربرت صموئيل ، أن يبلغ آل البهاء والبهائيين عامه ، تعازى الحكومة وأنها تشاركهم الأحزان كما أن فاتح فلسطين الجنرال اللنبى حاكم مصر أرسل برقية عبر فيها عن شديد أسفه وألمه لهذا المصاب الأليم ، وفقدان السير عبد البهاء المعظم »[2] .

إن المرء لا يستطيع أن يخفى ثقته بما توصل له من نتائج بعد هذه الأدلة التى اكتملت وتضافرت كلها لتأكيد قضية واحدة لم تعد تحتمل الشك أو الريبة .

---

(١) يوميات سهراب / نقلا من كتاب البهائية الاستاذ ظهير : ٢٢١ .

(٢) شوقى أفندى / قرن بديع ج ٣ / ص ٣٢١ . وانظر إحسان إلهى ظهير البهائية نقد وتحليل ص ٢٣٦ .

ـ وقفه قبل الاستمرار :

ونريد قبل أن نستمر في عرض أحوال البهائية والوصول بها إلى الكشف عن غايتها أن نجيب عن تساؤل مؤداه ـ هل استطاع عبد البهاء في مدة توليه منصب الإشراف على البهائية العالمية أن يؤدى دوره بنجاح ؟

لقد قلنا إن المهمة الملقاة على عاتق ابى عكا هى : أولا : أن ينقل عبد البهاء البهائية من ديانة محلية إلى ديانة عالمية لا بالمبادىء وحدها وإنما (أيضاً) بكثرة ما يجلب لها من أتباع في جميع دول العالم وعلى اتساع خريطة الدنيا طولا وعرضاً .

وثانياً : المشاركة بغاية الجهد والطاقة في إسقاط الخلافة العثمانية والعمل غاية الجهد على أن تصير فلسطين وطن قومى لليهود أو التمهيد لذلك .

أما الخلافة العثمانية فقد شارك عبد البهاء في إسقاطها كما شارك ومكن للإنجليز في أن تكون فلسطين تحت الانتداب البريطاني حتى يتمكن اليهود من الهجرة إليها بأعداد وفيرة وقبل هذا ومعه خرج عبد البهاء في رحلات روجه إلى أقطار العالم خطابات ليجتذب إلى البهائية أتباع وأعضاء جدد وساعده في ذلك اليهود مستعملين لتحقيق هذه الغاية وسيلتين .

الإعلام القوى الذى يملكون السيطرة عليه .

والنساء اللواتى لهن من أسلوب وطرائق الإغراء ما يمكن لهن من اجتذاب الكثيرين للنحلة الجديدة .

وسنترك لأحد شهود العصر المتحمسين لليهود باعتباره واحداً منهم يرسم صورة النجاح التى حققها عبد البهاء والأسلوب المتبع لتحقيق هذه الغاية .

يقول الأستاذ إجناس جولد تسيهر د . . . وهكذا انقطعت الحركة البابية ودخلت جديا في دور الدعاية عندما ترقت وتحولت إلى البهائية وقد اقتنع

فقهاؤها وأتباعها بأنهم ليسوا فرقة من الفرق الإسلامية ولكنهم يمثلون مذهباً عالمياً ورحبوا بالنتائج المترتبة على هذه الفكرة ، فلم يوجهوا دعايتهم لحسب إلى المسلمين على نطاق واسع (إذ بلغوا بها الهند الصينية) ، ولكنهم روجوا لها شيئاً فشيئاً حتى تخطت ـ فى فوز ظاهر ـ حدود العالم الإسلامى . فقد وجد بى عكا فى أمريكا ، وفى أوربا أيضاً كما يقولون ، من يقبل على اعتناق ديانته فى حماسة ولهفة من بين المسيحيين . وإن ما أقيم من المؤسسات فى أمريكا ، وما اتخذ من المشروعات الأدبية قد ساعد البهائية الأمريكية على أن ترسخ قواعدها فلها « مجلة نجم الغرب » التى تصدر منذ سنة ١٩١٠ فى تسعة عشر عدداً فى السنة وهذا هو الرقم المقدس لدى الباب وهى لسان حال البهائيين . وقد انتشرت البهائية فى بقاع شاسعة من الولايات المتحدة ، واتخذت مركزها فى شيكاغو ، حيث يتأهب أنصارها لبناء دار سموها « مشرق الأذكار » كى يعقد البهائيون الأمريكيون اجتماعاتهم فيها . وقد تمكنوا بفضل ما اكتتب به الإخوان من المال الوفير من شراء قطعة أرض واسعة شمالى بحيرة متشيغن ، باركها عبد البهاء فى أول مايو سنة ١٩١٢ أثناء إقامته فى الولايات المتحدة . . . وفى اللحظة التى أكتب فيها هذه السطور تيسر لى أن أستمع إلى حجج كهذه مستمدة من الكتاب المقدس من أحد البهائيين المتفانين فى نشر مذهبهم وقد كان يشتغل إلى عهد قريب طبيباً بطهران ويقيم منذ عامين فى « بودابست » البلدة التى كنت أقطنها ، مشتغلا بالدعوة لعقيدته وكسب الأنصار لها وهو يشعر بأن العناية قد خصصته للدعاية لدينه فى وطنى ؛ وهذا دليل آخر على أن البهائيين الجدد لا يقصرون دعايتهم الإسلامية المغالية على القارة الأمريكية وحدها »[1] .

. . . . . وفى الواقع أتت الدعاية الواسعة التى قام بها البهائيون منذ تولية عبد البهاء بنتائج جليلة القدر ، فقد توجه عدد كبير من السيدات الأمريكيات

---

(١) راجع العقيدة والشريعة فى الإسلام : د . إجناس جولد تسيهر ص ٢٨٠ وما بعدها .

(وقد دونت فى الحواشى أسماء بعضهن) للحج إلى مقر النبى الفارسى بجوار جبل الكرمل لكى يلتقطن من فيه حكم الهداية التى أنصتن لها على مقربة من الوحى إليه ثم يعملن على نشرها فى وطنهن الغربى . وإنا لدين بأوفى مرجع يبحث فى آراء عباس أفندى إلى الآنسة « لورا كليفورد بارنى » التى استطاعت أن تصحب عبد البهاء وقتاً طويلا وأن تدون تعاليمه إختزالا ليتسنى لها أن تضع للعالم الغربى ملخصاً دقيقاً للمذهب البهائى الجديد »[١] .

أضف إلى الإعلام القوى واختيار العنصر النسائى كوسيلتين من وسائل البهائية السريعة مادعم به لليهود موقفهما فى الدعاية لتخريج آيات الكتاب المقدس فى العهد القديم والتركيز على أن هذا العهد هو الذى يمثل نقطة التقاء الأديان جميعاً . فهو باعتباره كتاب اليهودية المقدس يؤمن به المسيحيون الذين آمنوا بموسى والكتاب الذى أنزل عليه ويؤمن به المسلمون الذين آمنوا بموسى والكتاب الذى أنزل عليه فى حين أن اليهود قد كفروا بجميع الرسل الذين جاءوا بعد موسى فيما عدا عبد البهاء وأبيه وعلى محمد الباب .

ومن وسائل الإغراء أيضاً بالإضافة إلى هذا كله ما كان قد أعد لعبد البهاء من جمال الحديث وعذب الكلام وما أدب به على سوء الخلال الظاهر فى النفاق الذى اصطنعه طوال حياته .

قال خير الدين الزركلى فى وصفه : « كان متوقد الذكاء جاداً فى نشر بدعته يستميل الناس بلين الحديث وكرم اليد ، وتبعته جماعات فى شيكاغو (بالولايات المتحدة) وبعض البلاد الأخرى »[٢] .

« أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون »[٣] .

---

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام د . إجناس جولد تسيهر ص ٢٨٧ .

(٢) الأعلام د : خير الدين الزركلى جـ ٣ ص ٢٦٢ ط دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان . ط السادسة نوفمبر ١٩٨٤ .

(٣) سورة فاطر ـ ٨ .

الدور الأخير

« شوقى أفندى وحركة العرائس على المسرح »

وما زالت الأحداث تتوالى وأيام التاريخ تتلاحق مملوءة بالحوادث التى تشير بأصابع الاتهام إلى تلك الفرقة الظالمة التى نسيت الله فأنساها نفسها .

• شوقى أفندى حياته ونشأته :

لم ينجب عباس أفندى من الذكور أحداً وكل ما رزقه الله أربعا من الإناث كبراهن « ضيائية خانم » (تزوجها من مرزه هادى أحد أقارب الباب الشيرازى فولدت له شوقى أفندى)[1] .

وكان شوقى أفندى لهذا النسب يعتبر من وجهة نظر البهائيين متميزاً عن غيره من الأشباه والنظائر عالى الكعب فى النسب فهو أفضل لذلك من كل قرين .

والعلة فى ذلك أن أمه ابنة الفرع الأعظم ، وأباه يمت بسبب إلى على محمد الباب فهو مقدس من ناحية أمه وهو مقدس من جهة أبيه .

ولد شوقى أفندى مع أفول القرن التاسع عشر بعد هلاك حسين على المازندرانى حيث كان مقدمة إلى الوجود فى أول أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٨٩٧ م .

وكان فى خطواته التعليمية والتأديبية عجباً من العجب .

رضع لبان البهائية فى طفولته الأولى وأخذ عنها ما أخذ منذ نعومة أظفاره ثم عهد به إلى الكلية الأمريكية ببيروت لبنان فأخذ منها قسطاً من التعليم فهو يسعد

---

(١) راجع : قراءة فى وثائق البهائية ص ١٤٢ .

ثم رحل بعد ذلك إلى بريطانيا حيث إلتحق بكلية (باليوك) فى (اكسفورد) بلندن ، وعاد بعد هذه الرحلة العلمية لباريس مهامه الموكلة إليه .

وفى عام سنة ١٩٣٦م تزوج من « مارى ماكسويل » الأمريكية الجنسية والتى غيرت اسمها بعد الاقتران بشوقى أفندى فصارت « روحية ماكسويل » .

ولم يولدها أحدا من البنين أو البنات .

وعاش شوقى أفندى ستين عاماً ثم مات فى نوفمبر سنة ١٩٥٧ م ثم دفن فى مقبرة النصارى بلندن[1] .

— وصية وعداء :

كان من الطبيعى إذا صارت الأمور على نحو ما كان يريد إله البهائية حسين على المازندرانى أن يتولى الأمر من بعد عباس أفندى أخوه محمد على حسين غصن أكبر حيث كانت وصية البهاء قاضية بذلك فهو الذى قال بعد تأكيد الوصية لعباس من بعده وهو الغصن الأعظم (وقد اصطفينا الأكبر بعد الأعظم ، أمراً من لدن عليم خبير) .

إلا أن الأمور لم تسر على ما كان يهوى البهاء .

أراد عباس أفندى أن يجعل الأمر من بعده فى عقبة وشعر أقرباؤه بذلك فناصبوه العداء .

وهذا العداء كان من الممكن أن يمر دون أن تتسع الشقة لولا أن اليهود قد ارتكز فى طباعهم أنهم حين يتراءى لهم أمر يخالف ما كانوا قد خططوا له يتحرجون لإثباته بألف ذريعة ويعملون على إضعاف ما كانوا قد ارتأوه من قبل حتى لا يقوى على المناهضة أو المناوأة .

---

(١) راجع : قراءة فى وثائق البهائية ص ١٤٢ وما بعدها « بنت الشاطىء » ، والبهائية نقد وتحليل لإحسان إلهى ظهير ص ٣٢٩ وما بعدها .

ونحن نتأمل - مثلا فى هذه المناسبة - ما كانوا قد فعلوه بالبابية والمتعصبين لها حينما أرادوا أن تتحول البابية كلها إلى حسين المازندرانى فى ثوب جديد وتخطيط يلائم العصر الحديث والظروف المواتية .

أوقعوا بين حسين وأخيه صبح أزل العداء المستمر وساعدوا (حسين) على إضعاف أخيه وأصحابه بدءاً من وجودهم فى العراق إلى اجتماعهم فى أدرنه وانتهاءاً بنفى البقية الباقية إلى جزيرة قبرص .

وأوصى البهاء إلى غصن أعظم ثم لأخيه من بعده غصن أكبر بإيعاز من سادانه اليهود إلا أن اليهود قد تراءى لهم أن يتعهدوا بالتربية صغيراً من عقب عباس وتذرعوا لذلك بكل ذريعة فلما لم ينجب عباس أفندى من البنين أحدا زوجوا كبرى بناته لرجل له بالبابية صلة ليتخذوا من هذه وسيلة يعتمدون عليها فى إثبات الولاية والنجابة والكرامة والقداسة لولى العهد القادم ، إنهم يحتاجون إلى إيجاد هذه الذريعة التى تعتمد على هذه الصلة المقدسة ليؤكدوا بها أحقية الوالى الجديد فى خلافة عهد عبد البهاء حيث لم يعد فى الكتب المقدسة متسع أمام حاخامات اليهود لكى يستخرجوا منها نصاً يؤيدون به من يعهد إليه عبد البهاء بالولاية من بعده فنصوص العهد القديم كلها قد استهلكت فى إثبات ألوهية الباب والبهاء ونبوة عباس أفندى نبى عكا وعبد البهاء .

خطط اليهود لهذه الولاية الجديدة وأقنعوا عبد البهاء بالخروج على وصية أبيه ثم أوقعوا بينه وبين أقربائه العداء وأملوا عليه فى نهاية المطاف قراراً ينسبه لنفسه يقضى هذا القرار أولا بطرد أقربائه المقربين الذين حرصوا على تنفيذ وصية أبيهم حسين على من البهائية واعتبارهم رجساً ونجساً وأنهم كالحيوانات بل أضل ثانياً : يقضى القرار بالطرد من البهائية لكل إنسان ركن إلى هؤلاء أو جالسهم أو ناقشهم أو عبر عن ميله إليهم (كل من تقرب إلى غصن أكبر أو اقترب إليه أو إلى أخيه المرزه بديع الله سرا أو جهراً أو عاشرهم أدنى معاشرة

أو تكلم معهم وتحدث إليهم يطرد من البهائية ويخرج من الجماعة فتباً وسحقاً لقوم سوء أخسرين)[1] .

وبهذه الطريقة المدروسة استطاع عبد البهاء في حياته أن يقصي من يعنيهم الأمر من أقربائه عن دائرة الضوء وأن يجعلهم على الهامش من اهتمام البهائيين .

وفي هذا الجو نفسه استطاع عبد البهاء أن يوصي لربيب القوم الذى اصطنعوه لأنفسهم بالأمر من بعده كما يريدون وشدد على هذه الوصية بعد ذكر الحيثيات والمبررات التى تعتبر شوقي أفندى مقدساً ووليا يعتبر اتباعه مرضاة لله عز وجل من جهة واعترافاً بفضله وفضل أبيه من جهة أخرى .

(يا أحبائي بعد فقد هذا المظلوم ، يجب على جميع الأغصان والأفنان وأيادى أمر الله وأحباء الجمال الأبهى ، أن يتوجهوا إلى فرع السدرتين الذى نبت من الشجرتين المقدستين المباركتين شوقي أفندى ، لأنه آية الله وغصنه الممتاز وولى أمر الله ومبين آية الله ومن بعده بكراً بعد بكر من عصى أمره فقد عصى الله ومن أعرض عنه فقد أعرض عن الله ومن أنكره فقد أنكر الحق)[2] .

وبهذه الطريقة التى تلفها الغداسة وتزينها الهيبة القدسية حرص اليهود أن يؤول الأمر إلى شوقي أفندى بنفس الطريقة التى آل بها الأمر إلى أبيه من قبل .

— مهمة وكشف حساب :

تولى شوقي أفندى أمر البهائية بعد هلاك جده لأمه عباس أفندى .

---

(١) ألواح وصايای المباركة وانظر : قراءة في وثائق البهائية ص ١٤١ ـ واللفظ منه ـ ثم البهائية نقد وتحليل إحسان إلهى ظهير ص ٣٢٧ وما بعدها .

(٢) ألواح وصايای المباركة عبد البهاء . انظر : قراءة في وثائق البهائية — واللفظ منه — ص ١٤٢ ، البهائية نقد وتحليل ص ٣٣٩ وبهاء الله والعصر الجديد ص ٢٥٠ .

وكان عليه أن يمارس مهام منصبه بعد توليه مسئولياته .

ولم يكن اليهود مشدودي الأعصاب هذه المرة كما نوهنا إذ كل ما يحتاجون إليه هذه المرة هو الادعاء أن شوقي أفندي ولي وأنه مبارك حيث هو مزيج من شجرتين وطالع اختذى من أصول تربتين مطهرتين الباب والبهاء .

يكفي اليهود هذا القدر إذ إن حجم المجهود الذي يجب عليهم بذله يتناسب تناسباً طردياً مع المهمة التي يقوم بها شخص ما ولقد كانت مهمة الباب والبهاء وعبد البهاء صعبة ولذا احتاج اليهود إلى تركيز جهدهم وبذل أقصى الطاقة لاستخراج الأدلة التي تساند دعائم وجود كل من هؤلاء في موقعه

أما شوقي أفندي فمهمته سهلة ميسورة إن اليهود يجب عليهم أن يحافظوا فقط على دعوى القداسة لشوقي أفندي بمجرد القداسة حتى يزف البشريات في أعقاب ميلاد الدولة الجديدة على أرض فلسطين التي بشر بها جده لأمه ومن قبله جده الأعلى حسين المازندراني .

مهمته إذن أن يكون حامل الدفوف ورافع المزامير ومثير الصخب والضجيج هو وأتباعه إحتفالا بهذا الميلاد لمولود غير شرعي صنعته الصهيونية العالمية وباركه البهاء وذووه من بعده .

ثم عليه من جهة أخرى أن يقدم في سجل حافل كشف حساب بخدماته وخدمات ذويه من قبله ثم يتلقى على هذه الخدمات الجزاء الأوفى ويعلن عن هذا الجزاء الذي تلقاه لكي يشبعه النفوس الضعيفة أن جزاء الخيانة لن يضيع عند اليهود وثمن خراب الأمم عظيم عند الصهاينة ويلوح من طرف خفي أنه لم يعد الشرفاء إلا تمثل الفضيلة وادعاء أنهم شرفاء وليس هناك بقاء صحيح إلا للخائنين .

وفيما يتعلق بمهمته من حمل المشاعل وضرب الدفوف نسوق من النصوص نماذج تؤكد هذا المعنى الذي لم يعد يحتاج بعد إلى تأكيد .

قامت دولة إسرائيل واعترفت بها بعض دول العالم بطريقة أو بأخرى وتبقت

أقدامها على أرض فلسطين مع أفول النصف الأول من القرن العشرين سنة ١٩٤٨م ، وتحقق وعد بلفور وتحققت معه نبوءات عباس أفندى ومن قبله البهاء (١١١) وأعلن شوقى أفندى تحت ضوء المشعل الذى يحمله ومن خلال ضجيج الدفوف التى يضرب عليها من فرحه بتحقق نبوءة أجداده من قبله قال : « لقد تحقق الوعد الإلهى لأبناء الخليل ووارث الكليم ، واستقرت الدولة الإسرائيلية فى الأراضى المقدسة وأصبحت العلاقات وطيدة بينها وبين المركز العالمى الجامعة البهائية واعترفت بهذه العقيدة الإلهية »[1] .

وفى عدد سبتمبر سنة ١٩٥١ م ، نشرت مجلة الأخبار الأمرية نص حديث لشوقى أفندى مع الوزير الإسرائيلى لأمور الأديان قال فيه « إن أراضى الدولة الإسرائيلية فى نظر البهائيين واليهود والمسيحيين والمسلمين أراض مقدسة وقد كتب حضرة عبد البهاء قبل أكثر من خمسين سنة أنه فى النهاية ستكون فلسطين موطناً لليهود وهذا التنبؤ طبع فى حينه وانتشر) .

وبلفت شوقى أفندى النظر إلى ما كان قد ذكره عباس أفندى من قبل وطالب بتنفيذه فى المؤتمر الرابع الدعاية بنيودلهى من أنه إذا قامت دولة إسرائيل يجب على المحافل البهائية فى العالم أن يتوجه كل واحد منها لتأسيس فرع له فيها .

نشرت مجلتهم الأمرية فى العدد الرابع لسنة ١٩٥٣ (أمر إلى جميع المحافل البهائية فى العالم لتؤسس كل منها فرعاً لها فى إسرائيل طبقاً لخطة الحفل الأكبر للسنوات العشر من قيام المملكة الإسرائيلية فى الأراضى المقدسة وقد أعلنها حضرة عبد البهاء فى خطابه بالمؤتمر الرابع الدعاية الذى انعقد فى نيودلهى ، قال : إننا ندعو المجتمع البهائى بجميع طبقاته أن يبادروا فى العشر سنوات من قيام دولة بنى إسرائيل إلى تأسيس فروع للمحافل الروحية البهائية الإيرانية والعراقية والأمريكية والاسترالية فى إسرائيل)[2] .

---

(١) توقيعات شوقى أفندى .

(٢) وقد سبق لنا نقل هذا النص من قبل .

وهكذا يتضح الإعلان عن هذه الرابطة التي تربط البهائية بالدولة الوليدة ، هذه الرابطة التي أشارت إليها روحية ما كسويل بحماسة بالغة وفي وضوح وصراحة أكثر .

نشرت في العدد العاشر من المجلة الأمرية لسنة ١٩٦١ مقالا جاء فيه :

(.. فإن كان من المقرر لنا الاختيار ، فمن الجدير أن يكون هذا الدين الجديد في أحدث دولة جديدة وفيها يترعرع وفي الواقع يجب أن أقول : إن مستقبلنا ودولة إسرائيل كحلقات السلاسل متصل بعضها ببعض) .

وهذا الحماس من جهة البهائيين والإعلان المتكرر عن فرحهم وغبطتهم بهذه الدولة الجديدة قد قوبل من جهة إسرائيل بحماس مماثل واحترام لمشاعر البهائيين لا يقل عن احترام البهائيين لمشاعرهم .

والنصوص الثابتة تشرح هذا كله بغاية الوضوح .

نشرت مجلتهم الأمرية في العدد الخامس من سنة ١٩٥١ م تحت عنوان (أمر يستحق الإنتباه : خبر انعقاد الجمعية البهائية العالمية نشر في جميع الصحف الإسرائيلية بمختلف اللغات وأذاعته الإذاعة من تل أبيب لعدة مرات مع تقديم التهاني إلى البهائيين لمناسبة أعياد نيروز ورضوان وقد عبر ممثلوا البهائية العالمية عند اجتماعهم بالرئيس بن جوريون عن امتنان الجامعة البهائية للمعاملات الودية من الحكومة الإسرائيلية مع البهائيين وقدموا كتاب تقدير وامتنان لما تبذله الحكومة الإسرائيلية من عناية وتفهم في حل قضايا البهائيين مع تمنيات ممثليهم بتقدم وازدهار إسرائيل) .

وفي المجلة نفسها العدد العاشر من سنة ١٩٥٣ تحت عنوان (بشارة عظمى) أمراً نصه : (لقد اعترفت الحكومة الإسرائيلية بفرع المحفل البهائي الإيراني في إسرائيل وقد تم بالفعل تسجيله وأصبحت له شخصية حقوقية وقد قال الهيكل المبارك - شوقي أفندي - إن لهذا الأمر أهمية كبرى فلأول مرة في تاريخ هذه

العقيدة يسجل فرع لها فى بلد يعترف به رسمياً ، مع أن أصل المحفل فى مؤسسته المركزية بإيران لم يعترف به ولم يسجل وليست له شخصية حقوقية) .

فقالت الدكتورة عائشة عبد الرحمن من توقيعات شوقى أفندى ما يفيد احترام إسرائيل لمشاعر البهائيين ويؤكد أن إسرائيل قد دفعت ما يجب عليها للبهائية جزاء خدماتهم حتى تأسست دولة إسرائيل [(اعترفت — إسرائيل — بأصالة واستقلال هذه العقيدة الإلهية وأقرت بها لتسجيل عقد الزواج البهائى وأقرت ما سبق إليه الانتداب البريطانى من إعفاء جميع الممتلكات البهائية من الضرائب والرسوم وزادت على ذلك فألغت جميع الأوقاف الإسلامية فى مروج عكا وجبل الكرمل لبناء المقام الأعلى . وأقرت بصورة رسمية الأيام التسعة المباركة) . فى شرع البهائية : يوم النيروز مستهل السنة البهائية ، ويوم مولد النقطة الأولى ، الباب الشيرازى وعيد ظهوره بدعوته مبشراً ببهاء الله ، وعيد ميلاد البهاء ، وعيد الرضوان ، وعيد الاستقلال ، . . . . .

« وهى أعياد فرح وانبساط ولهو ، تعزف فيها الموسيقى وترتل الآيات والألواح وتلقى الخطب المختصرة اللائقة بالمقام » . عملا بما شرعه البهاء فى الأقدس : [قد انتهت الأعياد إلى العيدين الأعظمين ، أما الأول ، أيام فيها تجلى الرحمن على من فى الإمكان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا .

والآخر يوم فيه بعثنا من بشر الناس بهذا الاسم الذى به قامت الأموات وحشر من فى السماوات والأرضين . . . كذلك قضى الأمر من لدن آمر عظيم . طوبى لمن فاز باليوم الأول من شهر البهاء الذى جعله الله لهذا الاسم العظيم . طوبى لمن يظهر فيه نعمة الله على نفسه إنه ممن أظهر شكر الله بفعله المدل على فضله الذى أحاط بالعالمين ، قل إنه لصدر الشهور ومبدأها وفيه تمر نفحة الحياة على الممكنات ، طوبى لمن أدركه بالروح والريحان ، نشهد أنه لمن الفائزين]
٢٦٤ — ٢٦٨

الأيام الثلاثة الأخرى ، بقية النسعة هى « أيام شهادة النقطة الأولى وصعود بهاء الله وعبد البهاء فيحتفل بهـا بالسكون والخشوع ويحرم الاشتغال فيهـا » ذكرى إعدام الباب الشيرازى وموت البهاء وعبده وأيامهم هـذه النسعة معترف بها رسمياً فى إسرائيل ولا تكاد فرصة تفوت دون أن يعبر أقطابها عن تقديرم لولاء البهائية وتوثيق الروابط بها »[1] .

ونطوى ما نطوى من الوثائق الدامغة ونحن لا نمل من التأكيد عن سلامة الفرض الذى افترضناه وصحة المقولة التى صدرنا بها هـذا الحديث من أن البهائية والصهيونية العالمية ولدا جميعاً عوامل شر وقلق وعوامل فساد وإفساد وقمة تدمير ودمار وارتبط كل منهما بالآخـــر عـلى هـذا الطريق الفاسد فى أخلاقه وسلوكه .

« ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون »[2] .

---

(١) قراءة فى وثائق البهائية ص ١٤٦ وما بعدها .
(٢) الروم : ٤١ .

« البهائية بعد الشجرة المجتثة »

ورحل عن الوجود شوقى أفندى ولم يعقب ولداً ولا بنتاً فكان هو آخر غصن معتبر فى شجرة البهاء (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)[1] .

وحين اجتثت هذه الشجرة كان على البهائيين أن يتجهوا وجهة أخرى. وهذه الوجهة لم تكن من فراغ لقد مهد لها اليهود من قبل على لسان الباب والبهاء وعبد البهاء .

إتجه البهائيون بتوجيه اليهود إلى تأسيس بيت العدل فى حيفا بعد أن استقرت الدولة الإسرائيلية واستقرت فيها التشكيلات البهائية الممثلة للمحافل البهائية فى جميع أقطار الدنيا .

والمرء حين يقرأ لأول مرة تشكيل بيت العدل البهائى ويتأمل الأعضاء فيه يجد نفسه مشدوها إذ أنه لو لم يقرأ اللافتة البهائية اظن نفسه داخل أعلى تشكيل للماسونية العالمية .

حين تشكل بيت العدل فى حيفا لأول مرة سنة ١٩٦٣ إنتخب الصهيونى الأمريكى « (ميسون) ليكون رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفة البهائية فى العالم »[2] .

وكانت العضوة البارزة الثانية فى هذا التشكيل هى « روحيه ماكسويل » زوجة شوقى أفندى الهالك وهى أمريكية الجنسية على نحو ما مر سلفاً .

وهذا التشكيل على هذا النحو له دلالة خاصة .

---

(١) إبراهيم : ٢٦ .

(٢) البابية والبهائية ومصادر دراستهما ص ٥٢ .

وبقيت البهائية تعمل عملها وتستكمل أدوارها على نحو ما كان عليه شوقى أفندى من مساندة اليهود فى كل ما تقول وتفعل وتبرير أقوالها وأفعالها بشكل يقبله العقل والمنطق أو يأباه الفكر والوجدان .

— من النفاق إلى الخفاء :

من الواضح إلى الآن أن البهائية كانت تعمل بشكل ظاهر وسافر فى كل المجتمعات الشرقية والغربية على السواء ولكنها كانت تظهر شيئاً وتعتبره هدفاً لها وتبطن شيئاً آخر وهو الهدف الحقيقى الذى تسعى إليه .

إتضح هذا فى عصر عباس أفندى وما قبله غير أن البهائية قد افتضح أمرها فى عهد شوقى أفندى وما بعده حين أعربت عن فرحها الشديد بقيام دولة إسرائيل وتحقيق الوعد لأبناء موسى الكليم ، وحين رأت البهائية أنها لم تعد فى حاجة إلى النفاق حيث وجدت لها من الدولة الجديدة قوة سياسية وعسكرية تدافع عنها .

ومن المعروف أن النفاق لا يكون إلا فى حالات الضعف أو الشعور به ، لحين يشعر الإنسان بضعفه أمام غيره من الأقوياء ولا يريد أن يتنازل عن مبادئه لذلك القوى يضطر الضعيف لمالاته كى يتق شره ويتفادى آثار غضبه .

وهذا هو الموقف الحقيقى والوضع الطبيعى الذى مر به كل من الباب والبهاء وعبد البهاء ، إلا أن الأمر يختلف غاية الاختلاف بالنسبة إلى شوقى أفندى ولم لا وإسرائيل قد أصبحت لها دولة ارتبط مصير البهائية بها على نحو ما صرحت به « روحية ما كسويل » من قبل وخلف هذه الدولة الوليدة ثقل يهودى عالمى يحرك سياسة الدول الكبرى لصالحها ومن خلفها أيضاً الأمم المتحدة صنيعة الماسونية العالمية التى تدافع عن جرائم اليهود وتسد تمردهم ! »

لم يعد شوقى أفندى والظروف كما ترى محتاج إلى النفاق أو الممالاة ، ولماذا النفاق ولماذا الممالأة ؟ !

إن الخلافة الإسلامية رمز الوحدة والتضامن التي تستطيع بوازع الدين أن تجمع المسلمين على قلب رجل واحد قد سقطت ، وإن ممتلكاتها قد توزعتها دول أوربا فيما بينها وأصبح المسلمون مقهورين وشتات متفرقين يلعقون الجراح بعد أن قطعت منهم السواعد وعطلت أيديهم وأرجلهم .

لم يعد شوقي إذن في حاجة إلى النفاق فأعلن عن المستور من الأهداف وأزاح الستار عن كل خفايا الصدور والقلوب .

وما هي إلا أيام أوسنون معدودات حتى بدأت الإنتفاضة تعمل عملها وبدأت الشعوب تشعر بظلمها وتجمع إرادتها وتحررت بعض الدول الإسلامية وبدأت تراجع أوراقها القديمة لتعرف من العدو ومن الصديق وكانت البهائية على رأس القائمة تتربع القمة في العداء للإسلام والمسلمين فأغلقت المحافل الدولية بقرارات رسمية في مصر سنة ١٩٦٠ وفي العراق صدرت وزارة الداخلية كتاب رقم ٢٦٦٨ في ١١ / ٤ / ١٩٦٥ يقضي بحظر النشاط البهائي إلا أنها على ما يبدو لم تكن جادة في تنفيذ القرار ثم صدر تشريع آخر عن مجلس قيادة الثورة بمرسوم رقم ١٠٥ لسنة ١٩٧٠ بمقتضاه يحظر النشاط البهائي في العراق على جميع مستوياته بكل حزم وشدة . راجع البابية والبهائية عباس كاظم ص ٨٩ وما بعدها .

ثم توالت القرارات بعد ذلك بإلغاء المحافل البهائية في معظم الدول الإسلامية .

وكان على اليهودية العالمية أن تتصرف فوجدت أن هذه فرصة سانحة لتحويل عمل البهائية من عمل معلن إلى عمل سري في البلاد الإسلامية .

وكلما أمعنت البهائية في إخفاء أمرها كان ذلك أجدى لها وأفضل في تحقيق ما يسند إليها من مهام .

لقد أصبحت إسرائيل من وجهة نظرها حقيقة واقعة وأن البلاد الإسلامية من حولها يتربصون بها وهي تخشى أن تجتمع كلمة الدول الإسلامية وأن تجتمع

قلوب الشعوب الإسلامية على قلب رجل واحد جسور وغيور يطالب الأمة بكرامتها وأرضها التى سلبت منها فى غفلة من الزمن والتاريخ .

إن اليهود يحسبون لهذه اللحظة ويخططون لها ولا مانع أن يقوم جهازهم المدرب منذ القدم فى سد بعض الثغرات وإحداث بعض الإضطرابات والعمل على الحيلولة ما أمكن حتى لا يجتمع المسلمون على قلب رجل واحد .

ولا تستطيع البهائية أن تقوم بوظيفتها الجديدة إلا إذا أمعنت فى السرية والخفاء هويتها لا يجوز للعضو البهائى أن يعلن بحال من الأحوال عن نفسه كبهائى إذ أنه بالإعلان عن نفسه لا يستطيع أن يقوم بمهامه التى توكل إليه على على نحو يرضى سادته ومخدوميه .

إن البهائى لا بد وأن يشغل الأماكن الحساسة فى الإعلام مثلا حتى يوجه مشاعر الجماهير وعقولهم ويصرفهم بشكل أو بآخر عن مقصدهم الصحيح .

وفى الأدب والفن حتى لا يترك فرصة للشاعر تمر من غير أن يستقطبها بالزيف ويشغلها عن الجادة وينصرف بها عن الفضيلة والأخلاق .

وفى الإدارة والاستثمار حتى لا يترك الناس فرصة يستغلونها ليسدوا الثغرات فى بنائهم الإقتصادى .

وفى الدين والعلم حتى يحدثوا الخصومات المتعددة بين المتدينين ويفتعلوا نوعاً من العداء بين الدين والعلم .

وفى السياسة والقيادة لا بد وأن يزيفوا كل تقرير حتى لا يتمكن سياسى مهما أوتى من الحنكة أن يقف على تصور صحيح لمجريات الأمور فى بلده . الخ .

وظيفة جديدة ومهمة صعبة لا يمكن أن يقوم بها البهائى إلا وهو متوارى خلف الستار كاتم لهويته وولائه الأول لقيادته فى حيفا ولكنه لا يظهره ولائه المتدفق لقيادته فى حيفا ولكنه يحرص من أعداء المسلمين حتى

لا يعلمون بما يفعله وحرصه غاية الحرص ألا يجتمع المسلمون على كلمة مهما كانت الدواعى والأسباب .

كتب الأستاذ / محمد حسنين هيكل وهو يؤرخ للصعوبات التى كانت تقابل الخمينى أثناء إعداده الثورة ضد الشاه ما خلاصته .

أن الشاه الإيرانى برغم أنه كان يملك قوة ضاربة من الجيوش والعتاد كان يزهو بها ويختال ويعتبر نفسه طاووس المنطقة بلا منازع إلا أنه كان يخشى فى لحظة من اللحظات أن يجتمع الجيش مع الشعب على كلمة واحدة ذلك الشعب الذى كان يئن من وطأة الظلم وثقل الاستعباد .

ولكى تزول مخاوفه لم تعجز اليهودية العالمية التى تخطط له من وراء ستار والتى من مصلحتها أن يبقى الوضع فى الدول الإسلامية على ما هو عليه أن تجد له الحل كى تزول مخاوفه فاختارت له كل العناصر التى تعمل فى سلاح الإشارة من البهائيين الذين لا يشعرون للوطن بولاء ولا للإسلام بذرة انتماء .

وإذا كان المسئول عن سلاح الإشارة بهائى فعلى الشاه أن يهدأ فى نومه وأن يقول لمن يحب تلك القولة المأثورة - نم فالخارف كاهن أمان - وهذا ما حدث بالفعل اكتشفت الثورة الشعبية فى إيران مهما كان تقديرنا لها أن سلاح الإشارة أيام الشاه كانت كل أفراده من البهائيين[1] .

وهكذا تعمل البهائية على جميع المستويات فى الدول الإسلامية فى حالة من الخفاء الكامل والسكون الذى لا يعلن عن نفسه إلا فى الأوقات المناسبة[2] .

---

(١) راجع محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله الخمينى أو الثورة الإيرانية فى طبعته العربية - بتصرف .

(٢) من حين لآخر تظهر فى مصر بعض الخلايا البهائية ولم نر فى مرة من مرات الظهور أننا قد توصلنا إلى زعيم من زعمائها فى مصر فيما عدا ظهور

وهذا الخفاء نفسه قد جعل الكشف عنهم أمر صعب بل محاولة الوقوف على إحصائية تبين عن عددهم أمر يعتبر من قبيل الرجم بالغيب .

كتب اليهودى المجرى عن محاولة ضبط الإحصاء البهائى وصعوبة ذلك قال : (وربما أن من صالح البهائيين سواء أكانوا فى فارس أم فى البلاد الاسلامية الأخرى الإبتعاد عن الجهر بمعتقداتهم المناقضة للدين الإسلامى مناقضة تامة ، مصطنعين التقية لكتمانها أصبح من العسير أن ندلى بإحصاء ولو تقريبياً عن عدد أتباع البابية بفرعيها .

ومع ذلك فالقس « إسحق أدمز » وهو أحدث من كتبوا عن البابية يقدر عددهم - وقد يكون مغالياً فى تقديره - بثلاثة ملايين فى فارس وحدها وهو ما يقرب من ثلث مجموع السكان فى هذه البلاد)[1] .

(وفى التحقيق مع البهائيين فى « خلية طنطا ١٩٧٢ » سأل رئيس النيابة المحقق زعيما منهم عن عدد البهائيين فقال : « إنهم يزيدون على ستين مليوناً فى العالم وأما فى مصر فيبلغ عددهم من خمسة آلاف إلى ستة آلاف »)[2].

وكان أمل اليهودية العالمية أو على الأقل زعماء اليهود فى فلسطين ألا يظهر البهائية خبر وأن يظل عملهم فى كتمان لا يعلن عن نفسه ولا يبين عن هوية مرتكبه .

من مصلحة اليهود ذلك حتى يصلوا إلى حقيقة أغراضهم ولكن الرياح غالباً

= بعض العناصر فى خلية القاهرة سنة ١٩٧٥ حيث تم الكشف عن نائب البهائى لمصر والسودان وشمال أفريقيا . حسين بيكار الرسام المشهور بالأخبار . راجع قراءة فى وثائق البهائية .

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام : إجناس جولدتسيهر ص ٢٧٩ .

(٢) الأخبار القاهرية ١٦ / ٣ / ١٩٧٢ وانظر قراءة فى وثائق البهائية .

لا تأتى على هواه فلسمع هنا وهناك من حين إلى آخر عن خلية اكتشفت أو عن جماعة قد وقعت فى أيدى البوليس فى هذه الدولة أو تلك .

الأمر الذى جعل إسرائيل تدافع عن نفسها أمام المجتمعات العالمية وتبين من حين إلى آخر على المستويات الرسمية أن البهائية دين سلام ومحبة فاستكتب البهائية من حين لآخر رسائل تدعو فيها إلى السلام والإخاء وسوف نختار رسالة سرية لنكشف بها عن هذه الخطة اليهودية .

كتبت مجلة الاعتصام القاهرية تقول : —

وثيقة سرية للمجلس الروحى البهائى

موجهة إلى أصدقاء البهائية بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة للسلطان نقدمها لدائرة القضاء المصرى العادل .. الذى ينظر قضية البهائيين فى مصر !

أعزائى أصدقاء البهائية :

الفترة الحلوة التى نعيش حالياً ، تجلب معها أشياء جديدة وعاطفة أخباراً تعطى الفرد دفعة إلى الأمام ، وتجعله يتنفس الصعداء .. هذا ما قام به المجلس الروحى الأعلى فى الآونة الأخيرة من إعلامنا بمناسبة عقد المؤتمر السنوى التاسع عشر ، الشىء الذى لم نعد نتذكره قبل ١٠ سنوات .. وهذه المرة أيضاً لا يختلف عن سابقه :

١ — خلال هذه الفترة تم تسليم ما يزيد على ٧٠ من كبار المسئولين فى العالم رسالة السلام للبيت العالمى للعدالة .. حسب آخر المعلومات فقد سلمت رسائل السلام إلى الدول التالية : « ألاسكا » ، « بهاما » ، « بوتسوانا » ، « كوستاريكا » ، « الدانمرك » ، « ألمانيا » ، « غواتيمالا » ، « جمهورية أيرلندا » ، « إسرائيل » ، « موريشيوس » ، « سيرلانكا » ، « توغو » ، « أوغندا » ، « ترانسكاى » ، « ترينداد » ، « توباغو » ، « الولايات المتحدة » ، « غرب ساموا » ، « زمبابوى » بالإضافة إلى تسليم عدة رسائل بطرق غير مباشرة هى :

« بلجيكا » ، « هولندا » ، « جمهورية الدومنيك » ، « فرنسا » ، « كامبوديا » ، « ماكاو » ، « بريطانيا » .

٢ — وبالتدريج ستزداد التقارير التى من شأنها حمل كبار المسئولين الرد مباشرة على « البيت العالمى للعدالة » كما حدث فى واقعة كولومبيا ، سويسرا ،

فرانسا ، الدانمرك وجزر المارشال . . فى ١٠ ديسمبر استلم « الرئيس ديفن » رسالة السلام بمناسبة اليوم العالمى لحقوق الإنسان . . هذا ولقد كان لها صدى إعلامى كبير .

٣ — وفى أوربا ذكرت بعض الجهات أن جهات أوربية قامت بنشاط ملحوظ فى الدول الشرقية . . وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على رسوخ أفكارهم ووعيهم المتزايد ، وإننا لنشكر أصدقاءنا وأصدقاء البهائية فى المشرق الذين دخل الإيمان فى قلوبهم ، ومن جانبنا نستطيع أن نساعد فى ازدياد الوعى بين صفوف الأصدقاء فى الشرق . . وذلك بالتعرف عليهم . . بالإضافة لتدريس لغات هذه البلدان فى ألمانيا والاتصال المباشر بالروابط والجمعيات المختصة فى هذا المجال .

٤ — فى الفترة الواقعة بين ١٠ — ١٢ يناير ١٩٨٦ جرى فى بلدة « لانجن هاين » لقاء تاريخى نظمته الدار العالمية العدالة حضره ١٦ عضوا من المجالس الروحية الإنجليزية والألمانية ، تناقش هؤلاء مع « دوغلس مارتين » وهو السكرتير العام لمكتب الإعلام فى حيفا حول العديد من الموضوعات . . منها نشر رسالة السلام بين الوسط الأوربى ، ومواضيع ومشاريع مشتركة وحول رغباتنا فى المستقبل وطموحاتنا .

ولقد رأى المجلس الروحى فى هذا الاجتماع المثل الأعلى لتقوية أواصر العمل المشترك وخاصة على المستوى الأوربى .

٥ — وأخيرا استلم المجلس نسخة من رسالة السلام الأخيرة :

فنى الرسالة المذكورة الصادرة فى ٢ يناير ١٩٨٦ ذكر نبأ آخر اجتماع عقد فى « مدينة حيفا » فنى الفترة بين ٢٧ / ١٢ / ١٩٨٥ ولغاية ٢ / ١ / ١٩٨٦ وحضره ٦٤ عضوا جديداً من مختلف الجنسيات بالإضافة إلى شخصيات بارزة فى الطائفة ، وناقش المجتمعون كل النواحى المتعلقة بالبهائية .

هـذا ومن أهم القضايا التى ناقشها المجتمعون أهداف الخطة السداسية المقبلة ، والتى ستستمر من ٢١ / ٤ / ١٩٨٦ إلى ٢٠ / ٤ / ١٩٩٢ ، وكذلك دعوة المجتمع البهائى للسعى لتحقيق الأشياء التالية :

١ — السعى لزيادة عدد أفراد الطائفة البهائية وإمكانيات دعمها ماديا .

٢ — السعى وراء إعطاء العالم فكرة حسنة عن البهائية .

٣ — نشر الفكر والأدب البهائى فى جميع العالم .

٤ — دعم تنظيم المظاهرات فى كل العالم مع التركيز على تربية الأطفال والشباب ورعايتهم طبقاً للمذهب البهائية .

٥ — دعم العلاقات بين الجمعيات البهائية .

٦ — جمع شمل البهائيين .

٧ — السعى وراء تفهم التطور الاجتماعى والاقتصادى داخل الروابط البهائيـــة .

مع أجمـــل التحيات

المجلس الروحى

٩ / ١ / ١٩٨٦

مجلة الاعتصام القاهرية ـ العددان الأول والثانى ـ رمضان وشوال ١٤٠٦ هـ مايو ويونيو ١٩٨٦ السنة الثامنة والأربعون ص ١٠ ، ١١ .

نهـاية المطاف

صحبنا البهائية قدر ما صحبناها وعشنا معها ماشاء الله لنا أن نعيش من الزمن ، وهذه الصحبة وتلك المعايشة على طولها لم تكن كافية فى حقيقة الأمر حتى تستوعب ما نريد أن نقوله عنها ، ذلك أن الفترة الماضية قد تخللتها بعض الصوارف التى أجبرتنا أحياناً على أن ننصرف عنها إلى غيرها من الأعمال والمهام ، وعلى مستوى آخر فإننا حين خططنا للبهائية لم نقصد إلى ما قصده غيرنا من عرض لتاريخها وتقصى لتعاليمها فقط ، ولكننا ركزنا بالدرجة الأولى على استيطان هذا التاريخ وتحليل هذه التعاليم ، بقصد الوقوف على الهدف الحقيقى الذى تهدف إليه البهائية ، وعلى الغاية النهائية التى يروم البهائيون الوصول إليها ، ونحن حين نخطط الدراسة البهائية على هذا النحو فإننا نكون قد وضعنا أنفسنا أمام صعوبة لا يمكن اجتيازها بسهولة ، ولقد كنا ندرك ذلك من أول الأمر ، غير أننا حين وقفنا على وثائق البهائية أو بعضها ، وقصدنا إلى استبطان الأحداث طبقا لحتمية المنهج وجدنا أنفسنا مضطرين إلى قراءة تاريخ آخر والوقوف على أسرار الأحداث فيه ألا وهو تاريخ اليهودية العالمية وما انبثق عنها من حركات سرية حيث أننا قد وجدنا منذ الوهلة الأولى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين أهداف اليهودية فى العصور الحديثة أو على الأقل الجمعيات السرية المنبثقة عن اليهودية ، وبين ما تقوم به البهائية من خدمات وما تتجه إلى تحقيق هذه الأهداف من وسائل وما تسلكه إليها من أدرب ومسالك ، والقراءة فى تاريخ اليهودية مضنية لأن اليهود بعد أن دخلوا فى جمعيات سرية قاصدين إلى توجيه العالم فى الخفاء وجهة غير شريفة والزج به بكليته إلى الدمار الشامل ستروا منهجهم بستار كثيف من المعميات فأدخرا بتاريخ لا يعرفه الناس واستعملوا مصطلحات ورموز

لا يعرفها سواء فانتهجوا مناهج غير تلك المناهج التى تعارفت عليها الأمم والشعوب من - الجوييم - هذا وكثير غيره قد جعل تتبع الحركات السرية فى التاريخ اليهودى أمر صعب ، وهناك جانب آخر لا يقل إعضالا عن هذا الجانب وهو أن اليهود يتمتعون بشخصية إجتماعية مليئة بالمتناقضات بل ما هو أبعد من ذلك إن الفرد اليهودى نفسه يحمل بين جنبيه نفساً غير متكيفة تكيفاً يجعل المتتبعين له قادرين على إدراجه فى نسق خاص خال من الأمور المتقابلة فى شخص واحد .

وشخصية اليهود على هذا النحو قد طبعتها عدة عوامل أبرزها تلك الثقافة الدينية التى تثقفوا بها ، وهذا النمط الاسوقى الذى خضعوا له ووضعهم داخل المجتمعات فى بلدان العالم من غير أن يذوبوا فى تلك المجتمعات أو يسمحوا بهذا الذوبان . أن التاريخ الثبت يؤكد أن اليهود فى كل أنحاء الدنيا عاشوا جميعا خلف ستار الأسوار العالية التى كانت مصدر التعاليم الدينية وكانت هى الآمرة الناهية المحركة فى نفس الوقت لسلوك اليهود بنمط واحد فى جميع المجتمعات ، وكان بين تعاليم اليهود أن يعيشوا عنصراً صافياً ، لا يختلطون بمجتمع ولا يذوبون فيه وتقاليدهم وعاداتهم متميزة ، وكان هذا المسلك اليهودى سبباً كافياً لجعلهم منبوذين من مجتمعات العالم ، فتعايشوا داخل المجتمعات بشخصية تحمل المتناقضات فإذا أدركوا أن السلطان فى أيديهم داسوا بأقدامهم جميع القيم وظهرت تعاليمهم وتحولت إلى أمر واقع فيقتلون ويسفكون الدماء ويستعبدون الناس ويفعلون بالأموال أفعال المستحل لها الذى لا يرى أى غضاضة فى امتلاكها أو الاعتداء عليها وإذا أحس اليهود أنهم مقهورون مغلوبون أظهروا المسكنة والطيبة والاستعداد للخدمة فى مذلة لا يخجلون من إبرازها ، هذا التناقض

العجيب وكثير غيره يجهل من الصعوبة دراسة تاريخ اليهود ويجعل من الصعوبة الوقوف على شخصية اليهودى فى العالم عبر حقب التاريخ ، وهذه الصعوبة فى الدراسة قد أرجأت ظهور هذا البحث وأخرته بعض الشيء من وقته المتاح له ، ومن جانب آخر فإن البهائية حين ربطت نفسها باليهودية أو على الأقل بالصهيونية السياسية التى انبثقت عن اليهودية بعد ظهور جماعة التنوير فى الوسط اليهودى ما كان لها أن تعلن عن نفسها كخادم للمبادىء الصهيونية فكانت تتوارى خلف شعارات ومبادىء وتستتر خلف دعاوى عريضة كنا نحتاج فى فهمها وتحليل القصد من ورائها إلى بعض الوقت والبحث عن بعض المصادر التى تساعدنا فى استجلاء الأمر والوقوف على حقيقته وهذا سبب آخر ينضاف إلى ما سبقه لكى يؤخر البحث عن ظهوره فى الوقت الذى قررنا أن يظهر فيه .

ولست أدعى أنى قد قلت ما كنت أريد قوله وإنما كل ما أدعيه أنى راض عن هذا البحث حيث أنى قد رأيت أنه صالح لكى يثير أفئدة القراء ويحرك أقلام الباحثين ويلفت أنظار المغررين ويوقظ هؤلاء الشبيبة التى اغترت بالبهائية بعد أن سهلت لها مسالك الرذيلة وقننته تقنيناً يرفع عن مرتكبيها ثقل الترهيب وتأنيب الوجدان .

ومن رأيى أن هذا البحث يضيف إلى القارىء العادى شيئاً آخر وهو أن ديننا قد أصبح اليوم أكثر من ذى قبل فى موضع لا يحسد عليه لأن أهله قد انصرفوا عنه وهو يسير وحده فى هذه الدنيا لا يدافع عنه إلا الله عز وجل ، أصبح الدين الآن مستهدف استهدافا يريد أعداؤه أن يقوضوا مبادئه ويصرفوا أهله عنه ونحن نتأمل فيما حولنا ومن حولنا فلا نجد دينا من الأديان أصبح هدفاً ينال منه الأعداء إلا الإسلام ، فالديانات الأرضية كلها والديانات السماوية بالإجماع

لا ينال منها أحد ولا يعارضها معارض وكان على المسلمين أن يسألوا أنفسهم لماذا يعتبر دينهم هو الدين الوحيد المستهدف من بين ديانات العالم ؟ فالشيوعية مثلا عدوة الأديان ولكننا لا نراها تعادى اليهودية ولا المسيحية ، ولا تأخذ لها موقفا من الوراداشتية أو البرهمية ولكنها تطارد الإسلام فى كل موقع ، وقفت له بالمرصاد حين يريد الحركة هنا أو هناك . والديمقراطية أو المذهب الرأسمالى لا يقيم وزناً للنصرانية ولا يهاجمها لا فى أمريكا ولا فى أوربا ولا فى غيرها من بلدان العالم بل يتعايش معها من غير أن يضيق أحدهما بالآخر ذرعا ، لكن المذهب الرأسمالى لا يكاد يسمع أهله عن الإسلام فى موقع من المواقع إلا وفقدوا السيطرة على أعصابهم يتصيدون لأهله الأخطاء ويزيفون على تاريخ الإسلام من غير احترام لقاعدة العلم ولا توقير لمبادىء المناهج العلمية ، ولو أن العامة من أتباع الإسلام طرحوا على أنفسهم هذا التساؤل — لماذا الإسلام من بين جميع الديانات ؟ — ثم تلمسوا الإجابة التى لا إجابة غيرها لوجدوا أنها لا تكاد تخرج عن طبيعة الإسلام نفسه ، إن الإسلام دين قد جرب عبر حقب من التاريخ ليست قصيرة ، وقد اتسع على خريطة المكان بحيث ضمت الخريطة السياسية مجموعات من البشر مختلفة العادات والتقاليد متباينة فى السلوك وأسلوب تعاملها مع الحياة مختلفة غاية الاختلاف فى مكوناتها الشخصية ، واستطاع الإسلام الذى يحكم هذه المجتمعات جميعا أن يوجه ويسيطر وأن يضبط السلوك واكتسب العالم حضارة ما زالت تأخذ بألباب العلماء وتسيطر على أفكارهم وتحدث عندهم ردود فعل مختلفة فبعضهم يزهو بها ويفخر وبعضهم يحقد عليها ويسخر منها ، ولو قدر لهذا الدين أن يقود حركة الحياة من جديد لذابت كل هذه الأمم وطارت هذه الديانات وأصبح أولئك الذين يعيشون باسم الدين لا يجدون لهم مكاناً على ظهر هذه المعمورة ، فلماذا إذن يظهر هذا الدين ؟ ولماذا يقود هذا العالم ؟ . وكان الطريق المتاح الوحيد

هو ما يرمز إليه هـذا الشعار اليهودى — الشجرة ينبغى أن يقطعها أصحابها — إذ أنه لا يمكن أن يكون هناك طريق آخر للقضاء على الإسلام ومبادئه غير هذا الطريق ، فلا يمكن مثلا أن يشكك أحـد فى قدرة الإسلام على قيادة المجتمع ولا يمكن لأحد أن يقنع أولئك الذين يدينون بالإسلام أن يتركوه إلى غيره ، كما أنه لا يمكن باسم العلم أن يخطأ الإسلام ، فاهتدى اليهود إلى حيلة أن يهدموا الإسلام باسم وحى السماء ، وفى العصر الحديث طلع علينا كثرة من المتنبئين الذين يلبسون لكل مجتمع لبوسه ويتراءون لكل أمة بما يحيل عليها فكان فى الهند بى وفى إيران بى وسمعنا بالقاديانية هناك وبالبهائية هنا والجميع له مراكز القيادة فى حيفا بعد قيام دولة إسرائيل ، إنهم يريدون للإسلام أن لا تقوم له قائمة وحتى رمزه الوحيد وهو الخلافة خططوا لها من الجمعيات السرية ما يسقطها ويقوضها من الداخل وسلطوا عليها قوة من القراصنة فى أوربا ما يقوضها من الخارج ، ولقد سبق لنا القول على سبيل المثال لا الحصر أن السلطان عبد الحميد حين رفض عرض اليهود من الدونم الذين كانوا يعملون لخدمة الصهيونية السياسية ، حين رفض عرضهم المغرى الذى كان سيسد العجز الاقتصادى عنده — ٥٠ مليون جنيه استرلينى لخزانة الدولة ، ٥ مليون جنيه استرلينى منحة خاصة وشخصية مقابل أن يتنازل عن فلسطين أرض الميعاد ، قال وقتها رحمه الله إن فلسطين ليست ملكية خاصة لى حتى أبيعها بخمسة ملايين من الجنيهات ، هـذا مثال من عشرات الأمثلة يوضح أن اليهود لا يريدون للإسلام أن يبقى حيث أن استقالة السلطان عبد الحميد بعد هذا الحادث مباشرة ، قد قدمت له ليوقع عليها ، وكان الذى قدمها إليه هو هرتزل المؤسس الحقيقى للصهيونية السياسية بعد إعلانها وظهورها من كونها ، اليهود لم تهدأ وغيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب لا يهدأون وكان هدفهم إذا لم تستطع القضاء على الإسلام فلا أقل من أن يظل هذا العملاق نائما غط فى سباته .

الك حقيقة لم تعد تغيب عن أحد إن السبب وراء محاربة الإسلام هو أن الإسلام نظام حياة كامل نظم حياة الناس حين حكمهم وخسر الناس ما خسروا حين تولوا عنه وابتعدوا عن ساحته ، وهذا البحث فى نفس الوقت أراه مثيرا للخاصة وإن لم أر أنه مفيد لهم وأنا قانع غاية القناعة بما يمكن أن يتركه هذا البحث من أثر ، إثارة للخاصة ـ وإن لم يقدم شيئاً وراء هذه الإثارة الفكرية ـ وتوجيها للعامة الذين صرفتهم الصوارف وشغلتهم الشواغل عن دينهم وعما يراد بهم امل فى هذا البحث ما يلفت انظارهم ويفتح عيونهم على أعدائهم .

وبعد فلى اعتذار ولى رجاء .

أما اعتذارى فهو أنى قد وعدت حين أمليت بحثا بعنوان [نظرية النبوة فى الإسلام ، أنى سأتبعه بأبحاث تتناول قضايا المتنبئين وكنت أظن وقتها أنى سأتبع بانتظام حركة التنبؤ منذ عصر المبعث إلى عصورنا الحديثة غير أنه قد وكل إلى أن ألقى محاضرات فى البهائية والقاديانية وغيرها فعكست هذه المحاضرات ترتيبى فخرج هذا البحث فى غير وقته ولكنى ما زلت عازما على إصدار سلسلة من الأبحاث تركز على المتنبئين من غير أن ألتزم بالترتيب التاريخى لأولئك الذين ادعوا النبوة ، وعذرى أن هؤلاء الذين ادعوا النبوة قسمان ، قسم ما زال له أثر فى السيطرة على مجتمعات بأكملها أو بعض مجتمعات فى العالم المعاصر ، وقسم آخر طواه التاريخ وأصبح الحديث عنه ذكرى وليس للمتنبئين فيه من أتباع يخشى منهم أو يتطلب الموقف منا أن نجلى آثارهم ونكشف عن المساتير فيما يغطون أو يعملون ، فكان من الطبيعى أن آخذ نفسى بإجلاء القسم الأول والتنبيه إلى خطره مغمضا العين ـ ولو إلى حين ـ عن القسم الثانى ـ معتزما أن أتناوله بالدرس إن أراد الله لنا أن نفرغ من القسم الأول أو أراد لنا أن نتناول القسم الثانى هذا هو اعتذارى .

أما رجائي فهو ما أرجوه من القارىء الكريم في كل كتاب أمليه أن يتتبع القصور وأن يسجلها على ويحصيها ثم يصلح ما استطاع إصلاحه راجيا من الله الأجر والمثوبة ، ويرسل إلى بالمآخذ حتى أستطيع أن أسد الخلل في البحث وأتلافى النقص في الطبعات القادمة إن قدر له ذلك والكمال لله وحده، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، والحمد لله أولا وآخرا .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب (١٩٨٦/٣٨٧٤)

دار الهـدى للطبـاعة
٣ شارع النواوى ـ السيدة زينب

